صفـة البحـر في الشعر العربي

رسالة مقدمة إلى جامعة الخرطوم

لنيل

درجة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها

إعداد

أمل الشعراني مصطفى طـه

(بكالوريوس اللغة العربية مرتبة الشرف 1993، جامعة الخرطوم)

(ماجستير الآداب في اللغة العربية 1996، جامعة الخرطوم)

إشراف

د. عبد ا   محمد أحمد

أستاذ مشارك

قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الخرطوم

2009

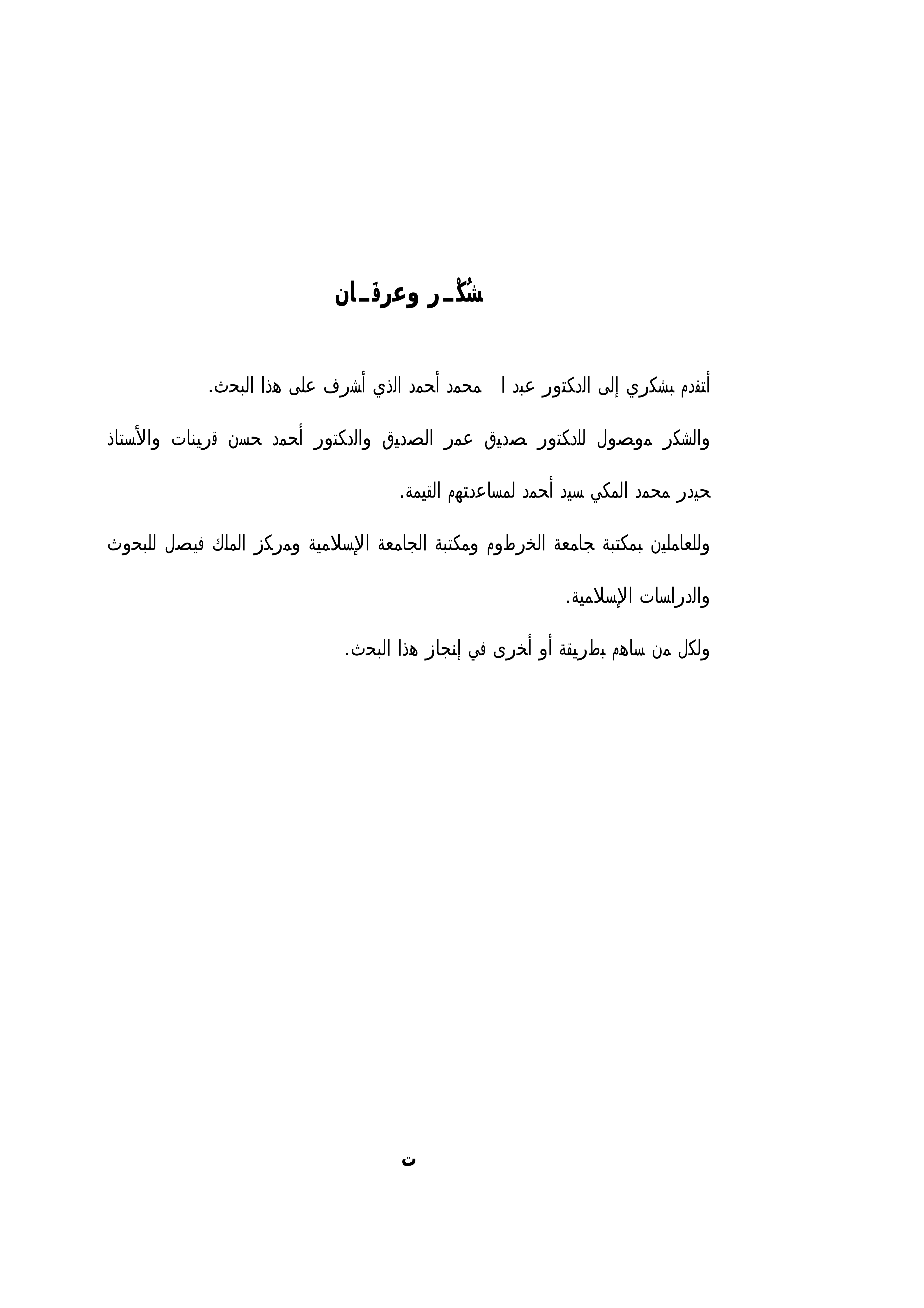
الإهـ ـ ـداءُ

إ قَلـذة كبـدي



''محمـد''

جعله ا شفيـعا لنا



شكـر وعرفـان

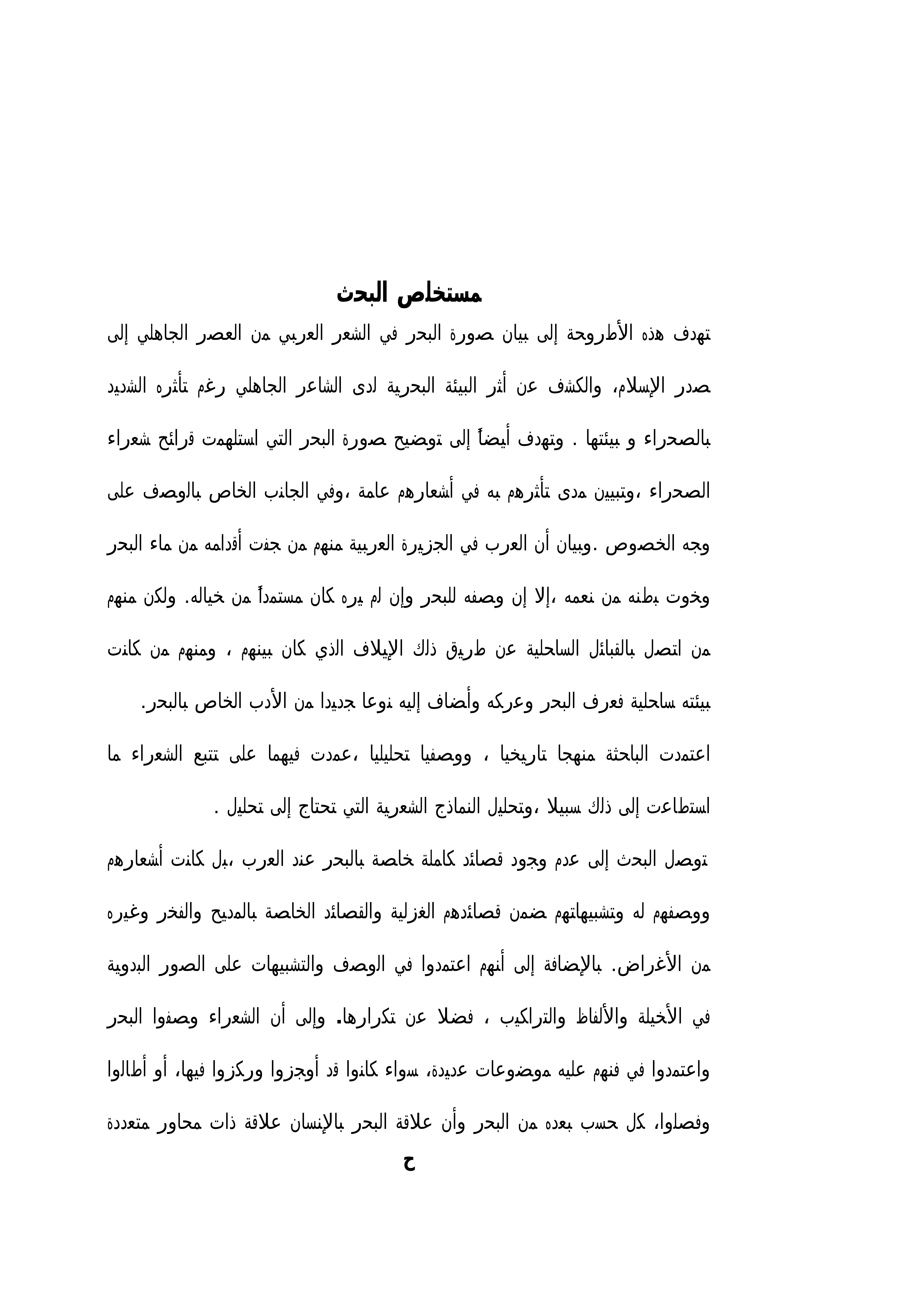
أتقدم بشكري إلى الدكتور عبد ا محمد أحمد الذي أشرف على هذا البحث.

والشكر موصول للدكتور صديق عمر الصديق والدكتور أحمد حسن قرينات والأستاذ حيدر محمد المكي سيد أحمد لمساعدتهم القيمة.

وللعاملين بمكتبة جامعة الخرطوم ومكتبة الجامعة الإسلامية ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولكل من ساهم بطريقة أو أخرى في إنجاز هذا البحث.

المحتويات

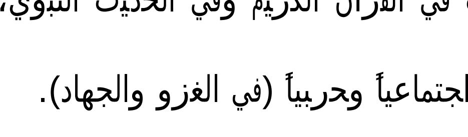


مستخلص البحث

تهدف هذه الأطروحة إلى بيان صورة البحر في الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى صدر الإسلام، والكشف عن أثر البيئة البحرية لدى الشاعر الجاهلي رغم تأثره الشديد بالصحراء و بيئتها . وتهدف أيضاً إلى توضيح صورة البحر التي استلهمت قرائح شعراء الصحراء ،وتبيين مدى تأثرهم به في أشعارهم عامة ،وفي الجانب الخاص بالوصف على وجه الخصوص .وبيان أن العرب في الجزيرة العربية منهم من جفت أقدامه من ماء البحر وخوت بطنه من نعمه ،إلا إن وصفه للبحر وإن لم يره كان مستمداً من خياله. ولكن منهم من اتصل بالقبائل الساحلية عن طريق ذلك الإيلاف الذي كان بينهم ، ومنهم من كانت بيئته ساحلية فعرف البحر وعركه وأضاف إليه نوعا جديدا من الأدب الخاص بالبحر.

اعتمدت الباحثة منهجا تاريخيا ، ووصفيا تحليليا ،عمدت فيهما على تتبع الشعراء ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ،وتحليل النماذج الشعرية التي تحتاج إلى تحليل .

توصل البحث إلى عدم وجود قصائد كاملة خاصة بالبحر عند العرب ،بل كانت أشعارهم ووصفهم له وتشبيهاتهم ضمن قصائدهم الغزلية والقصائد الخاصة بالمديح والفخر وغيره من الأغراض. بالإضافة إلى أنهم اعتمدوا في الوصف والتشبيهات على الصور البدوية في الأخيلة والألفاظ والتراكيب ، فضلا عن تكرارها. وإلى أن الشعراء وصفوا البحر واعتمدوا في فنهم عليه موضوعات عديدة، سواء كانوا قد أوجزوا وركزوا فيها، أو أطالوا وفصلوا، كل حسب بعده من البحر وأن علاقة البحر بالإنسان علاقة ذات محاور متعددة



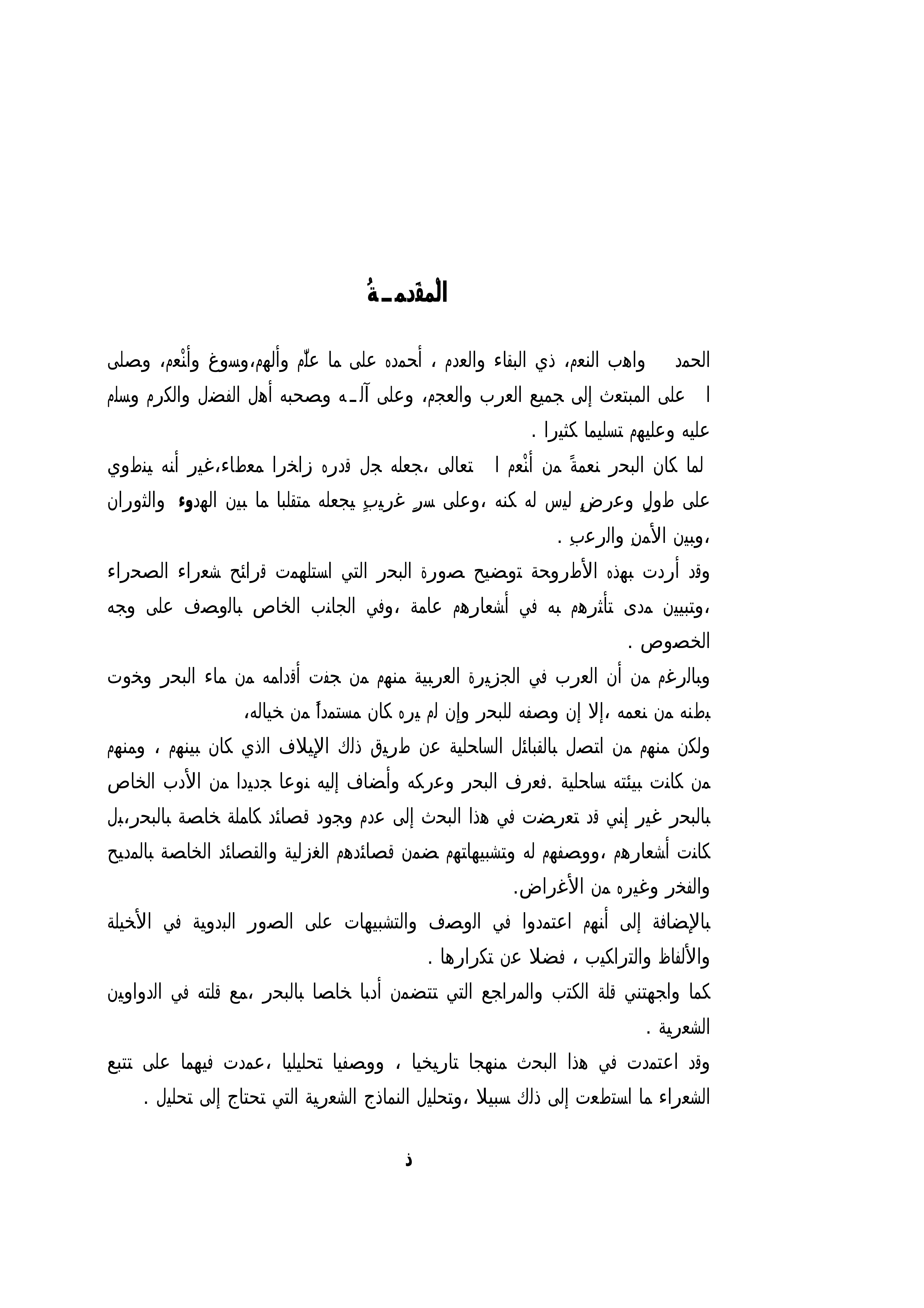
وقضايا عديدة، ذكرها العربي في شعره وذكرت في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي، لتوضح مدى انتفاع الإنسان من البحر اقتصادياً واجتماعياً وحربياً (في الغزو والجهاد).

Abstract

The aim of this thesis is to depict the sea in the Arabic poetry of pre-Islamic era to the early Islam era and to show the impact of the sea environment on the pre-Islamic poet, although he was deeply impressed by the desert and its environment. The thesis has also attempted to explain the sea image that inspired poets' talents and to indicate the extent of its effects on their poem in general and the descriptive poem in particular. Another objective is to show that the Arabs' description for the sea was derived from their imagination without benefiting from its water or graces. Some poets contacted the coastal tribes; others had a coastal environment that helped in adding a new kind of literature on sea.

A historical descriptive analytical approach has been adopted in this research, whenever possible poets have been tracked with analysis of poetic forms that need to be analyzed.

The results show the absence of complete poems related to sea. Poets included their description of the sea in their poems of praise, pride and other purposes. In addition to this, they depended for description and likening on nomadic images that were present in their imagination, words and structures as well as repetition. The Arab poets depended on sea in several topics; some topics were detailed, others were brief. This issue of details and briefness was determined according to their closeness or farness from sea. The study reveals that relationship of man and the sea had several aspects and issues mentioned by the Arab in his poem as well as in the Holy Koran and the Hadith to show to what extent man is benefitting socially, economically and militarily from sea.



المقدمــةُ

الحمد   واهب النعم، ذي البقاء والعدم ، أحمده على ما علّم وألهم،وسوغ وأنْعم، وصلى ا   على المبتعث إلى جميع العرب والعجم، وعلى آلـه وصحبه أهل الفضل والكرم وسلم عليه وعليهم تسليما كثيرا .

لما كان البحر نعمةً من أنْعم ا   تعالى ،جعله جل قدره زاخرا معطاء،غير أنه ينطوي على طولٍ وعرضٍ ليس له كنه ،وعلى سرٍ غريبٍ يجعله متقلبا ما بين الهدوء والثوران ،وبين الأمنِ والرعبِ .

وقد أردت بهذه الأطروحة توضيح صورة البحر التي استلهمت قرائح شعراء الصحراء ،وتبيين مدى تأثرهم به في أشعارهم عامة ،وفي الجانب الخاص بالوصف على وجه الخصوص .

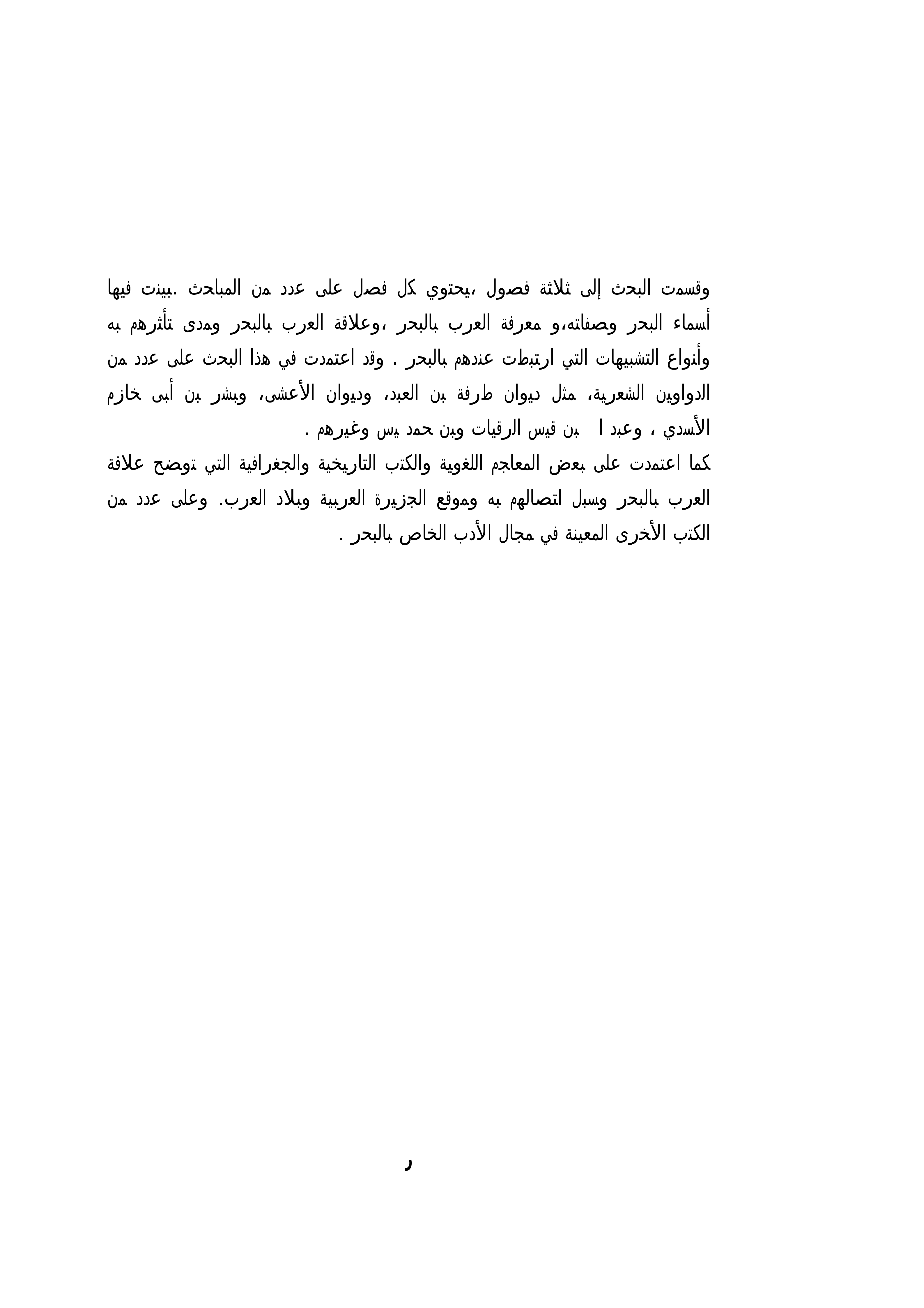
وبالرغم من أن العرب في الجزيرة العربية منهم من جفت أقدامه من ماء البحر وخوت بطنه من نعمه ،إلا إن وصفه للبحر وإن لم يره كان مستمداً من خياله،

ولكن منهم من اتصل بالقبائل الساحلية عن طريق ذلك الإيلاف الذي كان بينهم ، ومنهم من كانت بيئته ساحلية .فعرف البحر وعركه وأضاف إليه نوعا جديدا من الأدب الخاص بالبحر غير إنني قد تعرضت في هذا البحث إلى عدم وجود قصائد كاملة خاصة بالبحر،بل كانت أشعارهم ،ووصفهم له وتشبيهاتهم ضمن قصائدهم الغزلية والقصائد الخاصة بالمديح والفخر وغيره من الأغراض.

بالإضافة إلى أنهم اعتمدوا في الوصف والتشبيهات على الصور البدوية في الأخيلة والألفاظ والتراكيب ، فضلا عن تكرارها .

كما واجهتني قلة الكتب والمراجع التي تتضمن أدبا خاصا بالبحر ،مع قلته في الدواوين الشعرية .

وقد اعتمدت في هذا البحث منهجا تاريخيا ، ووصفيا تحليليا ،عمدت فيهما على تتبع الشعراء ما استطعت إلى ذلك سبيلا ،وتحليل النماذج الشعرية التي تحتاج إلى تحليل .



وقسمت البحث إلى ثلاثة فصول ،يحتوي كل فصل على عدد من المباحث .بينت فيها أسماء البحر وصفاته،و معرفة العرب بالبحر ،وعلاقة العرب بالبحر ومدى تأثرهم به وأنواع التشبيهات التي ارتبطت عندهم بالبحر . وقد اعتمدت في هذا البحث على عدد من الدواوين الشعرية، مثل ديوان طرفة بن العبد، وديوان الأعشى، وبشر بن أبى خازم الأسدي ، وعبد ا بن قيس الرقيات وبن حمد يس وغيرهم .

كما اعتمدت على بعض المعاجم اللغوية والكتب التاريخية والجغرافية التي توضح علاقة العرب بالبحر وسبل اتصالهم به وموقع الجزيرة العربية وبلاد العرب. وعلى عدد من الكتب الأخرى المعينة في مجال الأدب الخاص بالبحر .

التمـهيد

البحر هو آية من آيات ا ونعمة من نعمه التي أنعم بها الخالق على عباده لينتفعوا منها بوسائل مختلفة. سواء كان مصدراً من مصادر الحياة ، أو أُستُخدم في التجارة البحرية، أو استغله الشعراء في الوصف والتشبيه، متخذين سفنه وأسماكه ومستخرجاته التي تستخدم للزينة وسائل للتشبيه والوصف.

يقول النويري في أصل البحر وخلقه[1]: (روي عن ابن عباس رضي ا عنهما أنه قال: لما أراد ا عز وجلّ أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء (ووصف من طولها ومن عرضها) ، ثم نظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء يترقرق لا يثبت في ضحضاح. فما يرى من التموج والاضطراب إنما هو ارتعاده من خشية ا تعالى، ثم ّخلق الريح موضع الماء على متنه، ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء) ، وفسر بهذا **قوله تعالى**: (**وكان عرشه على الماء**).

وقد ذكره الشعراء في أشعارهم بموجه وزبده وظلمته وسفنه ،مختلفين في أوصافهم له وتشبيهاته يقول عنه عمرو ابن كلثوم[2]**:**

ملأنا البر حتّى ضاقَ عنّا   ونَحن البحر نَملأه سفينا [3]

1 . نهاية الإرب في فنون الأدب .مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة 1933 م: ج1   228

2 . وهو من بني تغلب من بني عتاب، جاهلي قديم، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة. (الشعر والشعراء:127)

3 .   ديوان عمرو ابن كلثوم:154

وممن ذكر أمواج البحر واضطرابه وزبده النابغة في قوله[1]:

فَما الفُراتُ إِذا هب الرياح له   تَرمي أَواذيه العبرينِ بِالزبد

أما الاخنس بن شهاب التغلبي[2] فذكر البحر بلفظ آخر في قوله[3]

لُكَيز لَها البحرانِ والسيفُ دونَه وإِن يأتِهِم ناس من الهند هارِب

والبحران المقصود بها بلاد البحرين (ولكنها أتت بالرفع) وقد جاء عنده ذكر البحر في الأبيات بلفظ آخر هو السيف وهو ضفة البحر.

أما أمواج البحر عند امرئ القيس فقد شبّه بها ظلام الليل في هوله وصعوبته ونكارة أمره حين يقول [4]:

وليلٍ كموج البحرِ أَرخى سدوله علي بِأَنواعِ الهموم لِيبتَلي

وجاء ذكر البحر باليم عند الأعشى في قوله[5]:

حرصاً عليها لو ان النَفس طاوعها   منه الضمير ليالي اليم أَو غَرِقا

كما ربط أبوذويب الهذلي[6] بين اضطرام الحرب واشتدادها، وموج البحر فقال[7]:

---

1 . مختار الشعر الجاهلي: شرحه وحققه وضبطه محمد سيد كيلاني، المكتبة الشعبية، ج1: 154،ديوانه: 145

2 . الأخنس بن شهاب بن غنم التغلبي، من رؤساء قومه شهد حرب البسوس (المفضليات:165)

3 . نفسه: 165 –للمفضل الضبي تحقيق.أحمد شاكر وعبد السلام هارون ـ طبع دار المعارف بمصر 1964

4 . هو امرؤ القيس بن حجر بن عمر والكندي من أهل نجد من الطبقة الأولي - نفسه:41.

5 . هو سعيد بن ضبيع وكان أعشى ويكنى أبا بصير جاهلي وأدرك الإسلام ولم يسلم–(الشعر والشعراء:142)

6 . أبو ذؤيب الهذلي هو خويلد بن خالد وكان مخضرما(الشعر والشعراء:397)

7 . شرح أشعار الهذليين: لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق عبد الستار فراج، راجعه محمود محمد شاكر مكتبة دار العروبة القاهرة: ج1: 158

وزاقت كموج البحر تسمو أمامها وقامت على ساق وآن التلاحقُ

وقال أمية بن أبي الصلت:

تناهى البحر في عرض وطول وليس لـه على التـحقيق كنـــه

وأعجب كلّـما شـاهدت فـيـــــــــــــــــــــــه سلامـتنا عـلى الأهـوال منـــــــــــه

فحسـبي أن أراه مـن بعـيـــــــــــــــــــــــــــد وأهرب فوقَ ظهر الأرض عنه

وحسان بن ثابت كان قد ذكر موجه وريحه الشامية في قوله[1]:

ما البحر حين تهب الريح شاميةً فيغـطئل ويرمي العبر بالزبد

وقال أيضا [2]

لساني صـارم لا عـيب فـيه وبحـري لا تـكدره الـــدلاء [3]

أما لبيد بن أبي ربيعة العامري فقد ذكره في معلقته في قوله[4]:

حتّى إذا ألـقت يـداً في كـافراً وأجـن عورات الثُغور ظلامها

وذلك في معرض حديثه عن الشمس وقد غابت . والكافر: البحر

وقال كثير عزة يصف سيلاً[1]

1. ديوانه: 63

2. هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري ويكني أبا الوليد وأبا الحسام، مخضرم ، عاش في الجاهلية 60 سنة وفي الإسلام مثلها. (الشعر والشعراء: 174

3. ديوان حسان ابن ثابت / 31

4. هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري كان من شعراء الجاهلية وفرسانهم وأدرك الإسلام- يكني أبا عقيل.الشعر والشعراء:153

يغادر صرعى من أَراكٍ وتَنضبٍ وزرقاً بِأثباجِ البحارِ يغادر [2]

وقال عنه قيس بن الملوح[3]

ولو تفلتْ في البحرِ والبحر مالح لأصبح ماء البحر من ريقها عذْبا

وقد ذكره الخليل بن احمد الفراهيدي [4] في قوله[5]:

يـداك يـد خـَيرها يرتـَجى وأُخـرى لِأعدائِها غائِـظَه

فَأما الَّـَتي خـَيرها يرتـَجى فأجـود جوداً من أللافظـه

وسمى بذلك لأنه يلفظ الجواهر

ومما ذكر فيه البحر وعلاقته بالسحاب قول (ابن مطير)[6]:

ذَاب السـحاب فَهو بحر كُله وعلى البحورِ من السحابِ سجاء

إذن يمكننا القول بأنه لابد من العناية بمعرفة الشاعر العربي للبحر ومعرفة معناه، وذلك من وصفه لبعض مظاهره من مياه عميقة مترامية، وأمواج عاتية مزبدة. وفي تصويره قديما لبعض جوانب الحياة فيه من أسماك وحيتان، ومن اعتماد العربي في المناطق الساحلية على البحر في معاشه كاستخراج اللؤلؤ، وتسيير السفن العظيمة عليه.

---

1. هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من خزاعة ، وكان رافضياً.(نفسه:313)

2. الجماهر في معرفة الجواهر – تصنيف أبي الريحان محمد بن احمد البيروني – مكتبة المتنبي القاهرة – ص 139، لسان العرب ج:5: 108،ديوانه:88

3. قيس بن الملوح العامري(مجنون ليلى)،نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة:لمحمد أمين المحبي:دار لمعارف مصر :3486

4. الخليل بن احمد بن عمر بن تميم الفراهيدي –من ائمة اللغة والأدب وواضع علم العروض (العين)

5. المستقصي في أمثال العرب . مطبعة دار الكتب المصرية ج1:244

6. نهاية الإرب:254

فضلا عن التصوير الفني البديع الذي استخدمه الشعراء مستمدين صوره من أغواره وزبده، ومن اللؤلؤ والسفن التي على سطحه وغيرها مما يرتبط بالبحر.

فالبحر يثري خيال الشاعر ويستمد الإلهام من جماله ،وهو مصدر للرزق لمن وجد فيه رزقه وربط العمل بالهواية غير عابئ بالأخطار. لذلك جاءت صورة البحر متعددة الألوان بين اللون الكالح الظلمة المكفهر ، إلى لون البريق والأمل والرجاء عند ما ترد عطاياه وتوصف ذخائره وسكانه.

وعلينا أن نتقصى ما يمكن استقصاؤه من الدواوين والمجاميع الشعرية العربية التي تتضمن وصفا للبحر وما يكتنفه (البحر) من ظواهر. بيد أن موضوعات البحر في العصر الجاهلي وصدر الإسلام لم تكن تتضمنها قصائد كاملة، خاصة بالبحر، ولكنها كانت توجد في قصائد المديح أحياناً، أو عندما يصفون مظاهر الطبيعة عندهم كالصحراء، أو السراب، أو وصف الحرب أو غيرها من الأشياء التي يصفونها ويتخذونها غرضاً لأشعارهم.

وللوقوف عند دراسة الشعر الخاص بالبحر تنبثق منه محاور عديدة، منها: الناحية الجمالية في دقة التصوير والتشبيه والوصف، والوثائق الجغرافية والعلمية والتاريخية التي تثري معلوماتنا ـ خاصة عن العربي القديم ـ وتكمل مصادرنا التاريخية والجغرافية وذلك عندما يدلنا علي بعض المواضع مثلا كأنواع البحار وأسمائها، وأنواع الرياح التي كانت تهب عليها (جنوبية أو شامية) وغير ذلك، أو عندما يذكر استخدام الغواص للقار في

سفينته، أو الزيت على جسمه لتفادي ملوحة ماء البحر، أو وضعه على فمه ليمجه في الوقت المناسب. فضلا عن التجارة البحرية التي كانت تتمُ ابتداء من العرض التجاري لبيع اللآلئ والدرر، إلى غيره من أنواع التبادل التجاري عند القبائل الساحلية، أو التي تمت بعد الفتوحات خاصة.

ولم َيفتْهم وصف الرحلات البحرية ومشقتها ، والتي لا تقل مشقة عن رحلتهم البرية الشاقة، بل إن رحلة البحر أخطارها أعظم، وهولها أشد ورهبتها أعظم ، وقد أشارت بعض الأساطير والأمثال القديمة إلى ذلك، فقد قيل[1]: (ثلاثة لا أمان لهم: السلطان والبحر والزمان) وقالوا: (جاور ملكا أو بحراً). وبالتالي فإن (أدب البحر موضوع خصب يتصل بالحضارة الإنسانية بوجه عام وبالحضارة العربية على وجه الخصوص، بل إن أدب البحر العربي يتميز بالتنوع في المادة الأدبية)[2]، وذلك لأن الشاعر العربي كانت له صلة قديمة بالبحر عن طريق الرحلات، وعن طريق نشر الدين الجديد بعد مجيء الإسلام، وبعد نشاط حركة الفتوحات الإسلامية[3].

البحر في اللغة

---

1 . بهجة المجالس لابن عبد البر:يوسف بن عبد ا القرطبي:الدار المصرية لتأليف القاهرة 1969 – ج1: 353

2 . أدب البحر: احمد محمد عطية، دار المعارف مصر 1981 م: ص 8.

3 . شعر الفتوح الإسلامية: د. النعمان عبد المتعال القاضي. دار المنارة للنشر والتوزيع السعودية جدة: 286.

ذكر ابن دريد في كتابه جمهرة اللغة أن: (العرب تسمى الماء الملح والعذب بحراً إذا كثر)[1] وذكر ابن سيده في المحكم: (البحر: الماء الكثير ملحاً كان أو عذباً، وقد غلب في الملح حتى قل في العذب) [2] وأما معنى البحيرة ، فهو مستمد من قول الخليل: (وإذا كان البحر صغيراً قيل له بحيرة ، وأما البحيرة في طبرية فإنها بحر عظيم، وهو نحو من عشرة أميال في ستة أميال) [3]، ونجد هذا الكلام عند ابن منظور كذلك[4].

وقال الأزهري في تهذيب اللغة : قال: (أي الزجاج): وكل نهر ذي ماء فهو بحر، قلت: كل نهر لا ينقطع ماؤه مثل دجلة والنيل وما أشبهها من الأنهار العذبة الكبار فهي بحار، وأما البحر الكبير الذي هو مغيض هذه الأنهار الكبار فلا يكون ماؤه إلا ملحا أجاجاً. ولا يكون ماؤه إلا راكداً وأما هذه الأنهار العذبة فماؤها جار، وسميت هذه الأنهار بحاراً لأنها مشقوقة في الأرض شقاً[5].

وقال الجوهري في الصحاح[6] (كل نهر عظيم بحر)، وعمم ابن فارس فقال: (والأنهار كلها بحار)، ونقل ابن منظور عن الأزهري وسواه ما قالوه ، واقتصر الفارابي على قوله:(البحر نقيض البر)، ومثله الجوهري فقد قال: (البحر خلاف البر).

1 . جمهرة اللغة : لابن دريد الازدي: (321):دار العلم للملايين 0بيروت (مادة بحر

2. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة:لابن سيده 2/ لسان العرب: لابن منظور / ج4 /ط1 /1410ه/1990 م / ص: _دار صادر _بيروت /ت711- 3/

القاموس المحيط : لمجد الدين للفيروز آبادي (817)مادة بحر

3 . كتاب العين:للخليل بن أحمد الفراهيدي(تحت الجذر بحر)

4 . لسان العرب لابن منظور: 420(مادة ملح)

5 . تهذيب اللغة: للأزهري(مادة بحر)

6 . الصحاح:للجوهري دار المعارف بمصر:باب الراء فصل الباء

ويجمع البحر على (أبحر وبحور وبحار) ودليل جمعه من القرآن الكريم **قوله تعالى**: (**ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم)**[1] **وقال تعالى**: (**وإذا البحار سجرت**)[2]، وورد في الصحاح (والجمع أبحر وبحار وبحور)[3] كما جاء في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي[4]. (البحر جمعه بحار). وقد أوردت مجلة مجمع اللغة العربية انه (ورد في معاجم اللغة العربية أكثر من صورة واحدة لجمع كلمة بحر، إذ يجمع على أبحر وبحور وبحار)[5] والبحر مثناه[6] البحران

قال تعالى: (**وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)**[7] أو البحرين استناداً **لقوله تعالى**:(**وإذ قال موسى لفتاه لا**

---

1 . سورة لقمان / آية: 27

2 . التكوير/ آية: 6، والانفطار/ آية: 3.

3 . الصحاح:للجوهري دار المعارف بمصر:باب الراء فصل الراء

4. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتاب والسنة وعن مسند الدرامي وموطأ مالك ومسند ابن حنبل

5 . مجلة مجمع اللغة العربية. / ج 13:17 مطبعة الكيلاني الصغيرة، القاهرة .

6 . معجم ألفاظ القرآن الكريم من الهمزة إلى الضاد / ج1 /1409 _ 1988 ج مصر العربية / الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث

7 سورة فاطر / آية: 12

أَبرح حتى أَبلُغَ مجمع البحرين أَو أَمضي حقُبا)[1]، ويصغر الجمع منه على (أبيحر)، ويصغر المفرد على القياس (بحير)، [2].ولم يرد اللفظ المثنى للبحر في معاجم اللغة .

وقد اهتم علماء العربية بتبيين سبب وقوع هذا الاسم (البحر) على المسمى، وأوردوا عدة تعليلات [3]:

أولها : السعة ، يقول ابن فارس في مقاييس اللغة: (سمي بذلك لاتساعه)

ثانيها: الانبساط، يقول الخليلفي كتابه العين: (سمي به لاستبحاره، وهو انبساطه وسعته) (وتبعه الأزهري في تهذيب اللغة ، وابن فارس في المقاييس، وابن منظور في لسان العرب والزبيدي في كتابه تاج العروس من جواهر القاموس).

ثالثها: العمق ،يقول الجوهري في الصحاح:يقال سمي بحراً لعمقه واتساعه)

رابعها: الشق، يقول الأزهري في تهذيب اللغة : (سمي البحر بحراً لأنه شق الأرض شقا، وجعل ذلك الشق لمائه قرارا، والبحر في كلام العرب الشق ومنه قيل للناقة التي يشقون أذنها شقاً بحيرة)

خامسها: الملوحة، ينقل ابن منظور عن بن بري قوله: (سمي بحراً لملوحته)، غير أن تسمية البحر بالبحر للسعة في الحديث النبوي قد غلبت ؛ لما في ذلك من أشياء ارتبط اسمها بالبحر لسعتها.

---

1 . الكهف /آية: 60، الفرقان / آية:53، الرحمن /آية: 19 ، النحل / آية: 61

2 . تاج العروس(مادة بحر)، القاموس المحيط(مادة بحر).

3 الاشتقاق / لا بن دريد /تحقيق عبد السلام هارون _مكتبة المثنى _بغداد _ط 1979/2/ ص: 93 ،191 508

قال ابن منظور في لسان العرب [1]:(ويسمى الفرس الواسع الجري بحراً؛ ومنه قول النبي، صلى ا عليه وسلم، في مَنْدوبٍ فَرَسِ أَبي طلحة وقد ركبه عرياً: إِني وجدته بحراً أَي واسع الجري؛ قال أَبو عبيدة: يقال للفرس الجواد إِنه لَبحر لا يُنْكَش حضره. وقال الأَصمعي: يقال فَرس بحر وفَيض وسكْب وحث إذا كان جواداً كثير العدوِ وفي الحديث: أَبى ذلك البحر ابن عباس؛ سمي بحراً لسعة علمه وكثرته.)

ولابد أن نذكر أن المعاجم العربية تحتوي على أسماء لمواضع كثيرة مشتقة من البحر من أشهرها (البحرين) وهي قديما (موضع بين البصرة وعمان، (الفراهيدي) ، غير أن الموضع الأهم الذي يجلو عنه غبار النسيان هو أن البحرة أو البحيرة اسم للمدينة المنورة، يقول ابن منظور: (البحيرة مدينة سيدنا محمد صلى ا علبه وسلم وهي تصغير البحرة، وقد جاء في رواية مكبراً)[2].

وفي المعاجم أيضاً أسماء كثيرة لأعلام مشتقة من كلمة (بحر) يقول ابن دريد في جمهرة اللغة[3]:

(وقد سمت العرب بحيرا - بفتح الباء وكسر الحاء - وبحيرا - بضم الباء وفتح الحاء - وبحراً، وبنو بحر بطن من بطونهم، وقد سمت العرب يبحرة الياء زائدة وهو مأخوذ من التبحر والسعة)

1 لسان العرب:مادة بحر:42

2. نفسه

3. جمهرة اللغة:مادة بحر

ومن أسماء العرب أيضا:((بحر (بضم الباء والحاء) - وبحر -(بفتحهما) - يبحر - يبحر بحر - بحران).

ومن الأعلام المشهورين: عمرو بن بحر الجاحظ، وأبو بحر صفوان بن إدريس الأندلسي صاحب كتاب زاد المسافر، وكذلك أبو بحر يوسف بن عبد ومن الصمد الذي رثى المعتمد بن عباد[1].

ومن صفات هذه الأحرف لكلمة بحر أن:

الباء:صفتها الجهر والشدة ، والحاء: صفتها الهمس والرخاوة والراء: الجهر والشدة والتكرار[2]

ومن دلالة هذه الأحرف اللغوية نجد توافقاً لهذه الصفات مع صفات البحر وتصور العرب له، فهنالك حرفان مجهوران بينهما حرف مهموس، أي أن الصوت يرتفع ثم ينخفض ثم يرتفع مرة أخرى ، وكذلك صوت الموج إذ يبدأ بصوت مرتفع ثم ينخفض هنيهة ثم يرتفع مرة أخرى في جزره مواكباً لحركة الموج.

وهنالك حرفان شديدان يتوسطهما حرف رخو ، وهذا يعني أن الشدة والصعوبة ضعف معنى السهولة والرخاوة، مما يدل على رجحان معنى صعوبة ركوب البحر على

---

1 . المغرب في حلي المغرب / لابن سعيد المغربي _ تحقيق د شوقي ضيف _ط2 منقحة دار المعارف 1980 / ج 2 /203

2 . كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان - عالم الكتب _ بيروت _ ج4 /ص: 435. 2/ سر صناعة الإعراب لأبي فتح عثمان بن جني -تحقيق د حسن هنداوي - دار القلم – دمشق ط1 / ج1: 60 ، 61 ، 63، 191 ، 119، 179 3/ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث د رمضان عبد التواب / مكتبة الخانجي /القاهرة ط2 /1958 / ص: 31 -60. 4/ فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي _ دار نهضة مصر / القاهرة / ص: 165_ 168. 5/ دراسات في فقه اللغة: د صبحي الصالح منشورات المكتبة الأهلية _بيروت ط2 / ص: 322 _328 (الأصوات ووظائفها)

سهولته، أي يدل على رجحان هيبة العرب أمام البحر على الاطمئنان منه، وهذا يطابق نظرة العرب القدامى إلى البحر بأن هوله وشدته وهيجه أكثر من سهولته وهدوئه .

أسماء البحر وصفاته:

وأما صفات البحر وخصائصه فكثيرة منها السماحة،والجود والعطاء إلي جانب الهول والرهبة والظلمة وقد تحدث القرآن الكريم عن صفات البحر وخصائصه الخاصة بالخوف في قولة تعالي (أَو كَظُلُمات في بحرٍ لُجي يغْشَاه موج من فَوقه موج من فَوقه سحاب * ظُلُماتٌ بعضها فَوقَ بعضٍ إِذَا أَخْرج يده لَم يكَد يراها * ومن لَم يجعل الله لَه نُورا فَما لَه من نُورٍ (40) . وتحدث كذلك عن عطائه في آيات أُخرى سنذكرها إنشاء ا

وللبحر أسماء كثيرة عند العرب منها – **أخْضر ، أفْيح ، حنْبل ، خُضارة ، خضرم ، خَسيف ،دأْمأ ، رجاس ، رجاف ، زافر ، زفْر ، شَقّ ، طَم ، طَموح ، عليم ، فُرات ،فَياح ، قاموس ، قلْمس ، قميس ، قميس ، لُجاج ، لجي ، مهرقان ، نَوفل ، يم**

وقد أطلق كثير من علماء اللغة اللذين اجتهدوا في جمع اللغة علي أعمالهم اللغوية أسماء من أسماء البحر نحو: ابن سيده الذي أطلق علي مجمعه مجمع البحرين ، والفيروزبادي الذي أطلق علي معجمه القاموس المحيط.

الفَصلُ الأولُ
البحر في التراث الإسلامي

المبحث الأول - البحر في القرآن الكريم:

إن المتتبع لآي القرآن الكريم يجد أن في القرآن الكريم من الآيات ما يؤكد أن للعرب معرفة بالبحر، وأنّهم استغلوا ثروته ومنافعه، وأن تفصيل القرآن الكريم لذكر البحر والسفن التي تمخر عبابه في أكثر من موقع لدليل على أن العرب قد عركوا البحر وعرفوا وسيلة الإبحار فيه، وإلا لا يمكن أن يفاجئهم القرآن بشيء يجهلونه. ودليلنا على ذلك أن ذكر البحر في القرآن الكريم قد ورد في واحد وأربعين موضعاً بلفظ البحر وفي ثمانية مواضع بلفظ (اليم) ليصير عدد آيات البحر في القرآن الكريم تسعاً وأربعين آية. وقد ذُكرت هذه الآيات مجتمعة في تسع وعشرين سورة، هذه السور تعادل ربع سور القرآن الكريم، مما يبين مدى الأهمية الكبيرة التي يوجهها الإسلام وكتابه الكريم إلى البحر. فضلا عن تقصيه لكل ما يتعلق بالبحر من أمور المسلمين التي تفيدهم وتفيد الإنسانية في نمو الحياة وازدهارها وتقدمها، وإدراك أسرارها التي تدل على موجدها ومانحها سبحانه وتعالى.

وقد تناولت الآيات التي تتعلق بموضوع البحر في القرآن الكريم قضايا ومجالات متعددة ذات صلة بالإنسان. من هذه القضايا آيات تتحدث عن البحر من الناحية الاقتصادية لما في ذلك من ركوبه (أي البحر) كوسيلة للمواصلات أو التجارة، أو عبر الأساطيل البحرية، وركوبه للصيد، وحث الإنسان على البحث عن خيرات ا وفضله الذي أودعه في البحر وهنالك آيات تتحدث عن استكشاف أسرار البحر وما فيه بما يفيد الإنسان،

وتوجيهه إلى البحث في علم الفلك وغيره من العلوم المختلفة ((كالصيد واستخراج اللؤلؤ وغيره))، وأخرى تبين أحداثاً تاريخية هامة كقصة نبي الله موسى (عليه السلام)، وبني إسرائيل، وفرعون أهل مصر وغيرها من القصص. وآيات أخرى وعظية سلوكية تربوية توجه الإنسان إلى توثيق صلته بالله تعالي وتشير إلى نعم الله على الإنسان وتكريمه. من هذه الآيات علي سبيل المثال لا الحصر **قوله تعالي في سورة البقرة[1]:(إن في خَلْق السماوات والأرض واخْتلاف الليل والنهار والفُلْك التي تَجري في الْبحر بِما ينفَع الناس وما أَنزلَ اللّه من السماء من ماء فَأحيا بِه الأرض بعد موتها وبث فيها من كُل دآبة وتَصريف الرياحِ والسحابِ الْمسخرِ بين السماء والأرض لآيات لقَومٍ يعقلُون)**.

فالبحر هنا وسيلة موصلات ونقل للإنسان، سواء للتجارة أو غيرها، والنفع في الآية عام يتوجه إلى أي نفع يعود علي الإنسان بالخير. يقول القرطبي[2]: (هذه الآية دليل علي ركوب البحر مطلقاً بتجارة كان أو عبادة كالحج والجهاد).

كما أورد القرطبي في حديث أنس بن مالك عن خالته أم حرام بنت ملحان الآتي إن شاء الله، لما في ذلك من دليل علي ركوب البحر في الجهاد للرجال والنساء، ويري كذلك في **قوله تعالي: (بِما ينفَع الناس)** أي بالتجارة وسائر المآرب التي تصلح بها أحوالهم. فبركوب البحر تكتسب الأرباح، وينتفع من يحمل إليه المتاع. كذلك **قال تعالي في**

---

1 . سورة البقرة الآية: 164

2 . الجامع لأحكام القران للقرطبي ، طبعة دار الريان للتراث ج1: ص 575، 576

سورة المائدة [1]: (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون) ليوجه المولي عز وجل الإنسان إلى الصيد واتخاذه مورداً للغذاء والتمتع به، غير أن الكلام هنا مقيد للمحرمين.

يقول الألوسي[2]: (أحل للمحرمين ما يصاد في الماء بحراً أو نهراً أو غديراً، وهو ما يكون توالده في الماء مأكولاً أو غيره)، ولعل القصد من تحريم الصيد البري في الإحرام تامين الحيوان البرى إلى جانب تهذيب حس المحرم وإشعاره بقرابة الأحياء وحرية أرواحها في جميع الصور والأشكال.

وقال تعالي[3]: (الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار).

ليمتن ا سبحانه وتعالي علي عباده بتسخير الفلك في البحر كوسيلة للمواصلات.

يقول ابن كثير: (جعلها طافية علي تيار ماء البحر تجري عليه بأمره تعالي، وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها المسافات من إقليم إلى إقليم آخر لجلب المنافع من هنا إلى هناك، ومن هناك إلى هنا ، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقاً للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع)[4] .

---

1 . سورة المائدة: آية 96

2 . روح المعاني: للالوسي:دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ج7: ص 30

3 . سورة إبراهيم آية: 32

4 . تفسير القرآن العظيم: لابن كثير دار الأندلس للطباعة والنشر ـ بيروت ج2: ص 519

ويقول الطبري: (سخر لكم الفلك، وهي السفن في البحر، تركبونها وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد، وسخر لكم الأنهار أي ماؤها شراب لكم)[1].

ويقول ا تعالي في سورة النحل[2]: (وهو الذي سخر البحر لِتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (14) وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلاً لعلكم تهتدون (15) وعلامات وبالنجم هم يهتدون (16))

ليوجه القران بهذه الآيات الإنسان إلى خيرات البحر المأكولة الشهية وما فيه من حلي يتجمل بها الإنسان .ثم أشار إلى اتخاذ الفلك وسيلة للموصلات، وحث الإنسان علي البحث عن خيرات ا وفضله الذي أودعه في البحر، لعل ذلك يحمله علي شكر نعم ا الكثيرة، وا سبحانه وتعالي يخبر عن تسخير البحر المتلاطم الأمواج، ويمن علي عباده بتذليله لهم وتيسيره للركوب فيه وجعله السمك والحيتان فيه وإحلاله لحمها حيها وميتها في الحل والإحرام. وما في ذلك من لآليء وجواهر نقية يستخرجونها للاستفادة منها والتحلي بها وتسخيره البحر لحمل السفن التي تمخره، أي تشقه بجؤجؤها يقول القرطبي: (إن تسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه وتذليله بالركوب وغيره)، ومن ضمن نعمه تعالي علي العباد أن جعل في الأرض أنهاراً تجري من مكان إلى مكان آخر رزقاً

1 . جامع البيان في تفسير القران: الطبري: دار المعارف بمصر ج13: ص 133-134

2 . سورة النحل الآيات 14، 15، 16

لهم. وكذلك جعل فيها سبلاً أي طرقاً يسلك فيها من بلاد إلى بلاد. وفي **قوله تعالي:** (**ولتبتغوا من فضله**) أي لتركبوه للتجارة وطلب الحج[1].

وقال ا في سورة الكهف[2]**:(أما السفينَةُ فكَانَتْ لِمساكين يعملُون في الْبحر فأَردت أَن أَعيبها وكَان وراءهم ملك يأْخُذُ كُل سفينَة غَصبا)** حيث نجد في هذه الآية القران الكريم يوجه الناس إلى أن البحر مجال من مجالات العمل، وتذكر الآية بقصة السفينة والمساكين والملك والخضر وموسي عليهم السلام[3]. بوصفه حدثاً تاريخياً ودينياً هاماً. وفي سورة الحج **يقول ا تعالي[4]: (أَلم تَر أَن الله سخر لَكُم ما في الْأَرض والْفُلْك تَجرِي في الْبحر بِأَمرِه ويمسك السماء أَن تَقَع علَى الْأَرضِ إِلَّا بِإِذْنه إِن الله بِالناسِ لَرءوف رحيم)**، فيوجه القرآن الناس إلى أن الفلك تجري في البحر حسب قانون وضعه ا سبحانه وتعالي – وأن علي الإنسان إدراك هذه القوانين ، وهناك السفن الصغيرة والكبيرة العملاقة التي تسير حسب القانون الذي وضعه ا ، فالسفن تجري في البحر بقدر ا وتذليله إياها[5].

وفي سورة الجاثية **يقول ا تعالي**: (**الله الذي سخر لَكُم الْبحر لتَجرِي الْفُلْك فيه بِأَمرِه ولتَبتَغُوا من فَضله ولَعلَّكُم تَشكُرون**)

---

1 . القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج1: 85

2 . سورة الكهف آية: 79

3 . الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن ج3: 16

4 . سورة الحج آية: 65

5 . سورة الجاثية آية: 12.

يقول الطبري: (إن ا سخر البحر لتجري السفن فيه بأمره لمعايشكم وتصرفكم في البلاد لطلب فضله فيها ولتشكروا ربكم فتعبدوا وتطيعوا) [1]

في سورة الرحمن **يقول ا تعالي[2]: (وله الجوار المنشآتُ في البحر كالأعلام)** كالأعلام أي كالجبال، فالقرآن الكريم يوجه الإنسان إلى كبر وضخامة السفن حتى تكون كالجبال، المنشآت الظاهرات السير إقبالاً وإدباراً وقد شُبهت السفن بالجبال وهذا من إعجاز القران الكريم.

وقال تعالي في سورة فاطر[3]: (وما يستوي البحران هذا عذب فُراتٌ سائِغٌ شَرابه وهذا ملح أُجاج ومن كل تأكلُون لحما طَريا وتَستَخْرجون حليةً تَلبسونَها وتَرى الفُلك فيه مواخر لِتَبتَغُوا من فَضله ولعلكم تَشكُرون). يذكر القران البحر الملح والعذب منبها علي قدرته العظيمة في خلقة الأشياء المختلفة ،وذلك في خلقه البحر بين العذب الزلال، وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار والعمران والبراري والقفار وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك .وبين الملح الأجاج (هذا ملح أجاج) أي مر مالح زعاف، وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار[4].

1 . نفسه: جامع البيان في تفسير القرآن: ج16: 2

2 . سورة الرحمن آية: 24

3 . سورة فاطر آية: 12.

4 . سورة فاطر آية: 12

ثم ذكر ا سبحانه وتعالي نعمه علي خلقه من المأكل والملبس مما يستخرج من البحر من سمك وزينة، وذكر السفن التي تمخر البحر وتشقه بحيزومها **ومنه قوله تعالي: (لتبتغوا من فضله)**. قال ابن كثير[1]: أي بأسفاركم بالتجارة من قطر إلى قطر ومن إقليم إلى إقليم، وذلك لعلكم تشكرون ربكم علي تسخيره لكم هذا الخلق العظيم وهذا البحر تتصرفون فيه كيف شئتم ،بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات والأرض . فالجميع من فضله ورحمته ما علي الإنسان إلا أن ينتفع بهذه النعم ويجد في شكره تعالي.

وقال تعالي في سورة الأنعام[2]: (قُلْ من ينَجيكُم من ظلُمات البر والبحرِ تَدعونَه تَضرعاً وخُفْيةً لِئن أَنجانَا من هذه لنَكُونَن من الشاكرين) فقد امتن ا تعالى علي عباده في إنجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر أي الحائرين الواقفين سواء في البر أوفي اللجج البحرية إذا هاجت الرياح العاصفة . فحينئذ يفردون الدعاء له وحده لا شريك له. وقد بين القران في نفس السورة **في قوله تعالي:(وهو الذي جعلَ لكُم النجوم لِتَهتَدواْ بِها في ظلُمات البر والبحرِ قَد فَصلنَا الآيات لِقَومٍ يعلمون)**[3] أن من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب علي ا سبحانه وتعالي أي أن ا جلّ شأنه جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين ويهتدي بها في ظلمات البر والبحر.

---

1 . ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ص: 1214

2 . سورة الأنعام آية: 63

3 . نفسه: ص:519

ومن الآيات التي وردت في القرآن في شأن البحر آيات تبين أحداث تاريخية هامة ودينية منها مثلا: ما جاء في سورة البقرة **من قوله تعالي[1]: (وإذْ فَرَقْنَا بِكُم البحر فَأَنجيناكُم وَأَغْرَقْنَا آلَ فرعون وَأَنتُم تَنظُرونَ)**، أي لما خرج موسي عليه السلام ببني إسرائيل بلغ ذلك فرعون فأشتد حنقه عليهم فأرسل في المدائن حاشرين يجمعون له جنوده من أقاليمهم فركب وراءهم في أبهة عظيمة وجيوش هائلة فلحقوهم وقت شروق الشمس ولما انتهوا إلى ساحل البحر وفرعون وراءهم ولم يبق إلا أن يتقاتل الجمعان، أمر ا تعالي موسي أن يضرب البحر بعصاه، فضربه فانفلق البحر، فكان كل فرق كالطود العظيم، أي كالجبل العظيم وصار اثني عشر طريقاً لكل سبط واحد، وأمر ا الريح فانشقت أرضه وجاوزت ببني إسرائيل البحر، فلما خرج آخرهم منه انتهي فرعون وجنوده إلى حافته الأخرى فلما رأى ذلك هاله وأحجم وهاب وهم بالرجوع وجاء جبريل عليه السلام على فرس وديق حائل، فمر إلى جانب حصان فرعون فحمحم إليها، واقتحم جبريل البحر واقتحم الحصان وراءه ولم يبق فرعون يملك من نفسه شيئاً وأمر ا العلي القدير البحر أن يرتطم عليهم، فارتطم عليهم فلم ينج منهم أحد، وجعلت الأمواج ترفعهم وتخفضهم وتراكمت الأمواج فوق فرعون وغشيته سكرات الموت[2].

1 . سورة البقرة الآية 50.

2 . ابن كثير تفسير القرآن العظيم: ص: 717

وورد ذكر هذه القصة في سورة يونس **في قوله تعالى[1]:(وجاوزنَا بِبني إِسرائِيلَ البحر فَأَتْبعهم فرعون وجنُوده بغْيا وعدوا حتى إِذَا أَدركَه الْغَرقُ قَالَ آمنتُ أَنه لا إِله إِلا الذي آمنَتْ بِه بنُو إِسرائيلَ وأَنَا من الْمسلمين)**

ثم قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام حين جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات ا وعظيم سلطانه ما رأوا (فأتوا) أي فمروا (على قوم يعكفون على أصنام لهم) فقالوا: (يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون) وكذلك وردت هذه القصة في سورة الأعراف **في قوله تعالى[2]: (وجاوزنَا بِبني إِسرآئِيلَ الْبحر فَأَتَواْ علَى قَومٍ يعكُفُون علَى أَصنَامٍ لهم قَالُواْ يا موسى اجعل لنَا إِلَها كَما لهم آلِهةٌ قَالَ إِنكُم قَوم تَجهلُون).**

ومن الإعجاز القرآني لكلمة بحر قوله تبارك وتعالى في الآية السادسة من سورة الطور **(والْبحـر الْمسجـُور)** حيث يقسم ا وتعالي بالبحر المسجور وكلمة (سجر) في اللغة معناها المملوء [3]

1 . سورة يونس: آية: 90

2 . سورة الأعراف: آية 138

3 لسان العرب:مادة سجر

المبحث الثاني - البحر في الحديث النبوي:

ورد ذكر البحر في الحديث النبوي الشريف في أحاديث كثيرة وفي مختلف كتب الحديث من صحيح البخاري، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وسنن بن ماجة، وسنن النسائي، والترمذي، وصحيح مسلم، وأبي داوود، وموطأ الإمام مالك والدارمي.كما ورد ذكره في صور مختلفة، مثل ركوب المسلمين للبحر .وغزوات البحر وخيراته ومستخرجاته، وركوب ثبج البحر وغيرها من الأمور التي سأتعرض لبعض منها على سبيل المثال لا الحصر. ومن المسائل التي تعرض لها الحديث في البحر:

إباحة ركوب البحر للتجارة[1]، قال الليث: (حدثني جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة رضي ا عن رسول ا صلى ا عليه وسلم (أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل خرج في البحر فقضى حاجته)، إذ لا يرى بركوب البحر بأسا استناداً **لقول الحق عز وجل: (وترى الفلك مواخر فيه لتبتغوا من فضله)**[2] والاستفادة منه بغرض التجارة والبيع.

وفي الحديث [3]: (حدثنا عبد ا بن محمد، حدثنا معاوية بن عمر وحدثنا أبو إسحاق، وهو الفزاري عبد ا بن عبد الرحمن الأنصاري قال: سمعت أنساً رضي ا عنه يقول: ((دخل رسول ا صلى ا عليه وسلم على ابنة ملحان فاتكأ عندها ثم ضحك،

1 . فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الحافظ بن حجر العسقلاني (773-852): ج4- كتاب البيوع باب رقم 10 (299) حديث رقم 2063

2 . سورة النحل

3 . فتح الباري: ج 6 كتاب الجهاد والسير- باب رقم 63 حديث رقم 2877 ص: 87

فقالت: لم تضحك يا رسول ا ؟فقال: ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل ا مثلهم مثل الملوك على الأسرة. فقالت: يا رسول ا ادع ا أن يجعلني منهم، فقال: اللهم اجعلها منهم. ثم عاد فضحك ، فقالت ـ مثل ـ أو مم ؟ ـ ذاك، فقال لها مثل ذاك، فقالت: ادع ا أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين ولست من الآخرين قال: قال أنس: فتزوجت عبادة بن الصامت فركبت البحر من بنت قرظة[1]، فلما قفلت ركبت دابتها، فوقعت بها، فسقطت عنها فماتت)).

ورد هذا الحديث في باب غزو المرأة في البحر في حديث أم حرام، وفي باب ركوب البحر وخصوص إيراد هذا الحديث في باب الجهاد يشير إلى تخصيصه بالغزو وعلى جواز ركوبه احتجاجاً بقوله تعالى: (هو الذي يسيركم في البر والبحر) ، ويقال إن عمر بن الخطاب كان يمنع الناس من ركوب البحر حتى كان عثمان بن عفان فما زال معاوية يستأذنه حتى أذن له . وبذلك كان معاوية هو أول من ركب البحر للغزو[2].

كما ورد هذا الحديث في كتاب الاستئذان باب (من زار قوماً فقال عندهم[3] من قال يقيل وقت القيلولة "في شرح الحديث الذي يذكر أن الرسول (ص) إذا ذهب إلى قباء يقيل عند أم حرام، ورد الحديث نفسه في كتاب التعبير[4] في باب رؤيا النهار.مما أورده الحديث

---

1 . هي زوج معاوية واسمها فاختة وقيل كنود

2 . فتح الباري للعسقلاني: ج 6 ص: 76-88

3 . نفسه : ج11 ص: 70

4 . نفسه: ج12 ص: 391 باب رؤيا النهار – 7100

الشريف في ذكر البحر. جاء في كتاب الزكاة[1] باب في ما يستخرج من البحر من عنبر ولؤلؤ وإلي إباحة الاستفادة مما يستخرج من البحر وجواز أخذه ولاشيء فيه.في الحديث- قال الليث حدثني جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي صلي ا عليه وسلم "أن رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل بأن يسلفه ألف دينار، فدفعها إليه، فخرج في البحر فلم يجد مركباً، فاخذ خشبا فنقرها فادخل فيها ألف دينار فرمي بها في البحر فخرج الرجل الذي كان قد أسلفه فإذا بالخشبة فأخذها لأهله حطباً فلما نشرها وجد المال"، وفي الحديث دليل علي إباحة ما يلفظه البحر من مثل ذلك والاستفادة منه وقال ابن عباس رضي ا عنهم: " ليس العنبر بركاز هو شيء دسره البحر". وقال الحسن في العنبر واللؤلؤ الخمس، فإنما جعل النبي صلى ا عليه وسلم في الركاز الخمس، ليس في الذي يصاب في الماء .فقول الحسن فيه دلالة علي ما يستخرج من البحر سواء كان مما يستخرج بسهولة كما يوجد في الساحل مثل العنبر – علي اختلاف أقوال العلماء فيه فمنهم من قال إنه نبات يخلقه ا في جنبات البحر وقيل هو شجر ينبت في البحر فيتكسر فيلقيه الموج إلى الساحل وغير ذلك من الأقوال– أو مما يستخرج بصعوبة كما يوجد بعد الغوص ونحوه. والمهم أن ما يستخرج من البحر من خيرات يستفاد منها ولا شيء فيها.

1 . نفسه: ج3:ص: 392 كتاب الزكاة باب ما يستخرج من البحر حديث رقم 1498

وقد ورد في سنن الدرامي[1] في باب فضل غزاة البحر[2] حديث أم حرام بنت ملحان ،وهو دليل علي فضل الغزو في البحر "أو فضل ركوب البحر للغزو" إذ الغزاة كالملوك علي الأسرة كما ورد عن الرسول الكريم صلى ا عليه وسلم ثم طلب أم حرام بنت ملحان من الرسول صلى ا عليه وسلم بأن يدعو لها ا أن يجعلها منهم وإلحاحها في الطلب عندما رأي الرسول صلى ا عليه وسلم الرؤيا مرة ثانية ثم قول الرسول صلى ا عليه وسلم لها "أم حرام من الأولين " كل ذلك دليل علي فضل غزو البحر وفضل الجهاد فيه.

والجدير بالذكر أن هذا الحديث قد ورد برواية أخري لأنس بن مالك عند ابن ماجه[3] في باب فضل غزو البحر عندما أظهر ا تعالي علي الرسول صلى ا عليه وسلم صور غزاة البحر وأحوالهم حال ركوبهم البحر. ورد كذلك في رواية أخري لأنس بن مالك في سنن النسائي[4] في كتاب الجهاد في باب فضل الجهاد في البحر.

وفي الحديث[5]: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا مالك بن انس: حدثني صفوان بن سليم عن سعيد ين سلمه من آل بن الأزرق، أن المغيرة بن أبي بردة، وهو من بني عبد الدار

---

1 . سنن الدرامي: للأمام الكبير عبد ا بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهران بن عبد الصمد التميمي طبعة دار إحياء السنة النبوية.

2 . نفسه: كتاب الجهاد باب رقم 38: ص 210

3 . سنن بن ماجه: لأبي عبد ا ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ج2

4 . سنن النسائي:للحافظ أبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي ومعه كتاب زهر الربا علي المجتبي للحافظ جلال الدين السيوطي مطبعة مصطفي البابا الحلبي الطبعة الأولي ج 2

5 . نفسه: كتاب الجهاد ص 34

حدثه، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول ا صلي ا عليه وسلم " البحر الطهور ماؤه، الحل ميتته"[1].

1 . سنن ابن ماجه: كتاب الصيد باب رقم 18: ص: 1081 حديث رقم 3246

المبحث الثالث - البحر في الأمثال العربية

لقد وردت أمثال العرب في أشياء مختلفة وكثيرة ، ومعلوم أن الحاجة لمعرفتها شديدة وذلك أن العرب لم تضع الأمثال إلا لأسباب أوجبتها، وحوادث اقتضتها، فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء، وليس في كلامهم أوجز منها، ولا أشد اختصارا. والبحر كأحد الأشياء التي ترد في الأمثال فقد ورد ذكره في أمثال كثيرة نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر

ومما يتمثَّل به فيه ذكر البحر يقال:[1]

ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له: إياك، إياك أن تبتل بالماء

وهو مثل مشهور يضرب عند إلزام الشخص ترك ما لا محيص له عنه عند وجود سببه.

ويقال:أجود من لافظة.[2]

الجود معروف، ضد البخل. ويقال أيضاً: أسمح من لافظة؛ والسماح هو الجود. واختلف في اللافظة، فقيل: البحر لأنها تلفظ بالدرة والهاء للمبالغة.

وقيل: جاء بالطم والرم.[3]

---

1 . زهر الأكم في الأمثال والحكم:للحسن بن مسعود نور الدين اليوسي:المغرب:الدار البيضاء 1401:ص:357

2 نفسه:998

3 نفسه:1018،مجمع الأمثال:لأحمد محمد بن إبراهيم الميداني:طبعة بولاق 1867:ص:493 ،جمهرة الأمثال:الحسن بن عبد ا بن سهل العسكري أبو هلال:طبعة بمباي 1309:ص274

الطم بكسر الطاء المهملة قيل الماء وقيل ما على وجه الماء وقيل ما ساقه من الغثاء.

ويطلق أيضاً على البحر وعلى العدد الكثير وعلى العجب وغير ذلك من المعاني. والرم بكسر الراء: ما يحمله من الغثاء أو ما على وجه الأرض من فتات الحشيش. ومعنى جاء بالطم والرم: جاء بالمال الكثير. وقيل: بالرطب واليابس أو بالتراب والماء أو بالبحر والثرى.

وورد في المثل: إنما هو الفجر أو البحر[1]

أي، إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قدرك، وإن خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه. يضرب في الحوادث التي لا امتناع منها.

كما ورد أيضا: دأماء لا يقطع بالأرماث [2]

الدأماء، البحر. والرمث، خشبات يضم بعضها إلى بعض ثم تركب في البحر للصيد وغيره. يضرب في الأمر العظيم الذي لا يدركه إلا من له أعوان وعدد تليق به.

وذُكر من الأمثال: سال بهم السيل وجاش بنا البحر[3]

1 مجمع الأمثال: للميداني:193

2 مجمع الأمثال:851

3 نفسه: 1098

أي وقعوا في أمر شديد ووقعنا نحن في أشد منه، لأن الذي يجيش به البحر أشد حالاً من الذي يسيل به السيل.

وذُكر أيضا: أسمع من لافظة[1]

قد اختلفوا فيها فقال بعضهم: هي العنزة التي تشلي للحاب فتجيء لافظة بجرتها فرحاً بالحاب. وقال بعضهم: هي الحمامة لأنها تخرج ما في بطنها لفرخها. وقال بعضهم: هي الديك لأنه يأخذ الحبة بمنقاره فلا يأكلها ولكن يلقيها إلى الدجاجة.

ويقال: **أعمق من البحر .وأندى من البحر[2]**

والهاء فيها للمبالغة هنا. وقال بعضهم: هي الرحى لأنها تلفظ ما تطحنه، أي تقذف به. وقال بعضهم: هي البحر لأنه يلفظ بالدرة التي لا قيمة لها.

ومما جاء من المثل أيضا: لا تقعن البحر إلا سابحاً [3].

نصب "البحر" على الظرف، أي لا تقع في البحر إلا وأنت سابح. يضرب لمن يباشر أمراً لا يحسنه.

وجاء: يصبح ظمآن وفي البحر فمه[4]

يضرب لمن عاش بخيلاً مثريا

وجاء كذلك: غني حتى غرف البحر بدلوين[1]

---

1 نفسه:1120

2 نهاية الإرب:450

3 نفسه 2116

4 نفسه:1426،جمهرة الأمثال:331،المستقصي في أمثال العرب:332

وورد عند الثعالبي في كتابه التمثيل والمحاضرة فيما يتمثل به في البحر[2] حدث عن البحر ولا حرج. البحر خلقٌ عظيم يركبه خلقٌ ضعيفٌ، دود على عود.

يـلام أبو الفضل في جـوده وهـل يمـلك البـحر ألاّ يفيـضا

وقيل:

هو البحر إلا أنّه عذب مورد وذا عـجب أن العـذوبة في البحر

آخر:

إذا كنت قرب البحر ما لي مخاص إليه فما يغني اقترابي من البحر

ومما يتمثّل به مما فيه ذكر البحر[3] قول ابن الرومي:

دهـر عـلا قدر الوضيع به وهـوى الرفيع بحـطّه شرفـه

كالبـحر يرسـب فيه لؤلؤه سـفلاً ويعـلو فوقـه جيفـه

وقوله أيضا:

ألا فارجـه واخـشه إنـه هو البـحر فيـه الغنى والغرق

وقوله:

كمثل البحر يغرق فيه حـي ولا ينـفك تـطفو فيـه جيـفه

إن الغريـق بكـلّ حبـلٍ يعـلق

---

1 مجمع الأمثال:1616

2 التمثيل والمحاضرة:عبد ا محمد أبو منصور الثعالبي:دار الكتب بمصر:ص:346

3 نهاية الإرب:254

ومما يتمثل به من أنصف الأبيات قول المتنبي:

ومـن قـصد البـحر استـقلّ السـواقـيا

إشارة إلى ما في البحر من نعم وما فيه من خوف ورهبة .

وقال آخر:

كالبـحر يقذف للقريب جواهـراً　　　منه، ويرسل للبعـيد سحائب

ومما جاء عند الثعالبي من الأمثال في السمك والحيتان[1]:

شر السمك يكدر الماء.

هذا يصيد وهذا يأكل السمكة

سأبقى بقاء الضب في الماء أو كما　　　يعيش بديموم المفازة حوتها

كـيـف يـرجـو البقـاء إن　　　فـارق المـاء حـوته

ويقال:

هل يصبر الحوت عن الماء.

كالحـوت لا يـرويه شـيء　　　صبح ظمآن وفي البـحر فمه

وقالوا:

يعـود الماء فـي النـّهر بعدمـا　　　عفت منه آثار وجفّت مشارعه

ومما جاء في السفينة من المثل عند الثعالبي:

---

1 التمثيل والمحاضرة:348

من كثرة الملاحين غرقت السفينة.

إن السفينة لا تجري على اليبس

سفينة نوح، للشيء الجامع

الفَصلُ الثاني

علاقةُ العربِ بالبحر

المبحث الأول - الرهبة من البحر

إن الإحساس بالرهبة والخوف من البحر شعور عام ومفهوم مطرد، وإن ارتباط البحر بالظلمة وبسمة المجهول قد استقر في روع الكثيرين، فهو مستقر الأهوال والخوف والرعب إلى جانب احتوائه على الخير والآمال.

وقد اقترنت الرهبة من البحر بما يكتنفه من أهوال وصعوبات عند ركوبه للبحر وبما يترتب على هذا الركوب من خسارة تبلغ ضعف عطائه الوفير وسخائه الجم.

هذه الرهبة تتصل بأمواجه المتلاطمة المضطربة ،وبتلك الظلمة الكامنة في أغواره وقيعانه، وقد انبرى الشعراء في تصوير أهوال البحر وهيجان أمواجه، الأمر الذي يهدد راكبه ويهدد السفن التي على ظهره ، بل ويهرعون أحياناً إلى مؤخرة السفن مما يسبب الرهبة والرعب إلى للملاحين على الرغم من أنه هو البحر الجياش المعطاء الزاخر بالمكونات اللافظ بما في داخله من الجواهر. إذن، فالنظرة العامة إلى البحر كانت سلبية، باعتباره عنصراً مخيفاً غير مأمون العواقب

وهذا هو امرؤ القيس يشبه ظلمة الليل وهوله وصعوبته ونكارة أمره بظلمة البحر وهوله ليزيد في الهم، والهم والهموم مدعاة للخوف فيقول[1]:

وليلٍ كموج البــحر أَرخى سدوله　　　　علي بأن ـواع الهموم ليبتلي

1 . ديوانه:48

ويتجلى مظهر البحر بزبده وأمواجه المتلاطمة المخيفة ، يقذف بسفنه بعضها فوق بعض حتى ولو كان يقودها قائد حاذق وماهر، في قول زهير بن أبي سلمى:

عوم القوا دس فقّى الأردمون بها　　　إذا تَرامى بها المغلوِاب الزبد[1]

وأما بشر بن أبي خازم ينقل إلينا خوفهم ورعبهم وهم في رحلتهم البحرية التجارية وسفينتهم التي وصف صناعتها من الألواح والخيوط، وقد عني بها صانعها لتقاوم غضب البحر، فهي الآن تسجد للرياح (والسجود مدعاة للطاعة) ما أن يركبها صاحبها حتى يتذكر ما لديه من الإثم (دليل على إنه في موضع خوف ورعب ، فالمرء يتذكر إثمه في لحظات خوفه) وقد مرت الأمواج من سفينتهم حتى قعدوا وهم يغمضون أعينهم هلعاً ورعباً فيقول[2]:

أجـد إلـد صـفهم ولـقد أراني　　　عـلى قـَرواء تَسـجد للرياح

مـعبدة السـقائف ذات دسـر　مـضبرة جـوانبـــها رداح[3]

إذا ركـبت بصاحـبها خَـليجاً　تَـذكر ما لـديه من جــناح[4]

يـَمر الموج تَحـتَ مشَجرات　يـَلين الماء بالخـُشُبِ الصحاح[5]

ونَحـن عـلى جوانبها قُـعود　نَغـُض الـطرفَ كالإبل القمـاح[1]

---

1 . الأردمون:جمع مفرده أردم وهو الملاح(لسان العرب مادة ردم).

2 . ديوانه: 47 بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الاسدي ,شاعر جاهلي من آهل نجد(الشعر والشعراء:150)

3 . معبدة:مقيرة (لسان العرب مادة عبد) .رداح: واسعة(نفسه مادة ردح)

4 . جناح:الإثم.(نفسه مادة جنح)

5 . الصحاح:أي الصحيح المستقيم(نفسه مادة صحح)

أما سلامة بن جندل فيبين لنا أن البحر يدفع بالسفن الكبيرة في أمواجه وأعماقه التي يغرق فيها حتى السابح الماهر، يقول[2]:

فَـعزتُنا ليسـَت بِشعبٍ بِـحرة ... ولكنـ ـ ـها بحر بِصحراء فَيهق

يقَـمص بِالبوصي فيه غَوارِب ... متى ما يخُضها ماهر اللُج يغرق

أما النابغة فيقول:

يظَلُ من خَوفه الملّاح معتَصماً ... بِالخَيزرانَة بعد الأَينِ والنَجد [3]

وعبيد بن الأبرص فيذكر هول البحر وظلمته في قوله[4]:

كلَـيلٍ مظـلمِ الحجـرات داجٍ ... بهيمٍ أو كبـحرِ ذي بـواص

فالليل مظلم داج، والبحر كذلك تضطرب أمواجه وتتلاطم ويكون مظلما مما يدعو إلى الخوف والرعب والهلع بل هو يزخر في دواخله بأسماك القرش والحيتان المخيفة الملتهمة.

وهذا هو الأعشى يصور لنا ما لاقته السفن والأشجار من أمواج البحر المتلاطمة حتى تسبب ذلك في رهبة راكبه وخوفه، فيقول[5]:

يـكُب السـفـين لِأذقـانه ... ويصـرع بِالـعـَبرِ أَثـلاً وزارا

---

1 . القماح: التي تعاف الماء.(نفسه مادة قمح)

2 . ديوانه:181.وسلامة بن جندل من بني عامر بن عبيد بن زيد مناة بن تميم وهو جاهلي قديم (الشعر ولشعراء:152)

3 . ديوان النابغة: 27.الخيزرانه: السكان (لسان العرب مادة كثل)

4 ديوان عبيد بن الأبرص:85.

5 . ديوانه:145

إذا رهـب المـوج نوتـيه **يحـط القـلاع ويـرخي الزيارا**

فهو يكب السفن الضخمة كباً، ويصرع بزبده الأشجار التي على جانبيه فيسبب بذلك الرهبة والخوف في قلب النوتي (أي الملاح).

ويكرر الأعشى المشهد نفسه عندما يقول[1]:

وما مزبـد من خليج الفـرا **ت يغشى الإكام ويعلو الجسورا**

يـكب الســفين لأذقـانه **ويـصرع بالعـبر أثـلاً ودورا**

ليزيد في نوع الخسارة التي تأتي من (الفرات) عندما يصرع هنا الأشجار والبيوت في قوله (أثلا ودورا).

وهو يجعل البحر ذا لجة عميقة وأمواج مضطربة على الرغم من أنه زاخر معطاء، ولكنه إذا فاض لا يعرف أحداً على ظهره سواء كانت سفينة أم كان هنالك سابح ماهر،وذلك حين يقول[2]:

ما يجعلُ الجـد الظـنون الـذي **جنب صوب اللجب الزاخـر**[3]

مثـل الـفراتي إذا مـا طمـــا **يقـذفُ بالبوصي والماهر**[4]

---

1 . نفسه:164

2 ديوانه: 108

3 . اللجب:اضطراب موج البحر.(لسان العرب مادة لجب)

4 . البوصي:ضرب من السفن.ـفارسي معرب ـ والبوصي:الملاح (لسان العرب مادة بوص)، الماهر: السابح ،الحاذق بكل عمل (لسان العرب مادة مهر)

ويزيد الإحساس بالرهبة والخوف من البحر عندما نعلم أن الملاحين يخشون سطوته ويلوذون منه مذعورين ، وهم الذين تعودوا المكوث على ظهره فترات طويلة قد تصل إلى شهر أو شهور أحيانا.فيتبين ذلك عند الأعشى في قوله:

خَـشـي الصـَراري صـولـةً ـمـنه فـَعاذوا بِالـكَوازِلِ

ويزداد خوف الملاح حتى (يتكأكأ) أي يتمايل من الخوف، فيضطر للجوء إلى مؤخرة سفينته الضخمة والتي لا يعبأ البحر بضخامتها، بل يزيد وتضطرب أمواجه وتتلاطم حتى تكاد تحطم صدر السفينة وهي تنقلب لوجهها. وقد صور لنا الأعشى هذه الصورة المخيفة في قوله:

ومـا مـزبِد من خَليـجِ الفُـرا ت جون غَـواربه تَلتَـطم

يـكـُب الخَـليـَةَ ذاتَ الـقـلا ع قَـد كاد جؤجؤُها ينحطم

تـَكأكـأ مـلّاحـها وسـطـها مـن الخَوف كوثَلها يلتَزم

وهذا هو الأعشى كذلك يصور مصدر الخوف المضاعف من البحر في أثناء بحث غواصه عن الدرة فيقول[1]:

ومارد من غُواة الجِن يحرسـ ـها ذو نيقـة مستَـعد دونَها تَرقـا

حرصاً عليها لو ان النَفس طاوعها منه الضمير لبالي اليـم أوغَرقـا

---

1 . نفسه:367.

في حـوم لُـجة آذي لـه حـدب   من رامها فارقته النَفس فاعتُلقـا

أي فمن رام أو قصد هذه الدرة وطلبها فجزاؤه الموت المحتوم وستعلقه المنية لا محالة ، فهناك الموج الذي يركب بعضه بعضاً، وهناك مارد يقوم على حراستها، لذلك أصبح ركوب البحر نتيجته الموت الحتمي، وليس الرعب والخوف فقط.

على أن الخوف في البحر ليس من الأمواج المتلاطمة والرياح فحسب، بل هو كذلك من أسماك القرش التي تخيف الصياد وترعبه، كما في قول المخبل السعدي[1]:

بلـَبانـه زيـتٌ وأخـرجهـا   مـن ذي غَوارب وسطُه اللخـم[2]

فالخوف هنا من أمواج البحر (ذي غوارب) ومن أسماكه أيضا (اللخم).

وهذا هو الأخطل يصف ملاحه في سفينته التي تعج في الماء فيقول:

تَـرى المـلّاح محتَجِزاً بليف   يـَؤُم بهن آجـــاماً وغابا

إذا التـُبان قـاص عن مشيحٍ   صدفـن ولم يـردن له عتابا [3]

يعـج المـاء تحتَ مسخرات   يصك القار والخَشَب الصلابا [4]

---

1 . المفضليات: 115.

2 . اللخم: سمك القرش:وهو ضرب من سمك البحر يسمى الكوسج.(لسان العرب مادة لخم)

3 . التبان: سروال قصير يستر العورة (نفسه مادة دقر)،قاص: ارتفع(نفسه مادة قاص) . المشح: الجاد الحذر(نفسه مادة شيح) .. صدفن: عدلن.(نفسه مادة صدف)

4 . المسخرات: السفن.(من سخرت السفينة:أطاعت وجرت:لسان العرب:مادة سخر)

يـَعمن عـلى كلاكلهن فيـه ولو يـزجى إليه الفـيلُ هابا [1]

فهو يصف الملاح والسفينة تعج في الماء والرياح تعصف حتى أنها تؤثر علي موضع ثيابه وصدر السفينة يعوم في الماء خائفا. كيف ولو زج بفيل، لهاب البحر وخاف ورهب ورعب. ومن وصف الخوف في ركوب البحر للغزو في السفن، قد روى أن هشام بن عبد الملك استعمل الأسود بن بلال المحاربي علي بحر الشام فقدم عليه أعرابي من قومه فغرض له، وأغزاه ولما أصابت الإعرابي الأهوال كاد عقله أن يزول ،ثم تماسك وقال[2]:

أقـولُ وقـد ولى السفين ملجـجاً وقد بـعدتْ بعد التقربِ صـور [3]

وقـد عصفتْ ريح وللمـوج هـزةٌ وللبحر من تحت السفين هديـر[4]

ألا ليـت أجري والعطاء معاً لهـم وحظي قُتود في الزمام وكـُور[5]

فللـه رأي قـادنـــي لسـفـينة وأخـضر موار السراة يمـور [1]

1

1 . كلاكلهن: صدورهن(الكلكل والكلكال:الصدر:نفسه: مادة كلكل). يزجي: يدفع ويسوق(نفسه مادة زجا).

2 . معجم البلدان 3: 273،الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين ولمخضرمين:للخالديان:سعيد ومحمد ابنا هاشم بن وعلة الخالدي:مصر:لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة:ص:566

3 . ملججاً: يخوض في اللجة (لسان العرب مادة لجج)

4 . الهدير:هدير الماء وهو هنا صوت الماء. نفسه:مادة هدر)

5 . الكور: الرحل وأداته (نفسه مادة كور)، الزمام: خيط يشده في البرة ثم يشد في طرفه المقود(نفسه مادة زمم)، قتود:الرحل وأداته،ومعناه كذلك شجر له شوك (نفسه مادة قتد)

ترى متنَه سـهلاً إذا الـريح أقلعتْ وإن عصفتْ فالسهلُ منه وعور[2]

فيا بـن بـلالٍ للـضلال دعوتـَني وما كان مثلي في الضلال يسير

لئن وقعتْ رجلاي في الأرض مرةً وكان بأصحاب الســفين كرور

3

وسلمتُ من مـْوجٍ كـأن متُونَـه حراء بـدت أركـانُه وثبيــر[4]

ليعتَرضن اسمي لدى العرض خلفةً وذلـك إن كان الإيـاب يسـير[5]

وقد كان في حـول الشربة مقـَعد لـذيد وعيشُ بالحديث

غـــزير[6]

إلا ليتَ شعري هلْ أقُولن لِفـتية وقد حان من شمس النهار

ذرور[7]

دعوا العبس تُدني للشربة قافـلاً له بين أمـواج البحار وكُـور[8]

1 . الموار: المضطرب . يمور: يتحرك ويضطرب (نفسه مادة مور) . السرار:الوسط وهو هنا وسط البحر(نفسه مادة سرر. .

2 . المتن: الظهر وهو هنا السطح(نفسه مادة متن). الوعور: جمع وعر: وهو المكان الغليظ ضد السهل(نفسه مادة وعر)

3 . كرور: رجوع.من الكر(لسان العرب مادة كرر)

4 . حراء وثبير: جبلان بالقرب من مكة(نفسه مادة حنث ـ حراء ـ، وثبير:مادة ثبر)

5: خلفة:يخاف أحدهما الأخر(نفسه مادة خلف)

6 . الشربه: أرض لينة تنبت العشب ليس بها شجر (نفسه مادة شرب)

7 . ذرور: مصدر ذرت الشمس إذا طلعت وهو أو لطلوعها (نفسه مادة ذر)

8 . االقافل: القفول الرجوع(نفسه مادة قفل)

إن أبيات الأعرابي هذي لتصدق ما كان شائعاً من أن الأعراب كانوا يخافون ركوب البحر ويفزعون له اشد الفزع. إذ نجد هذا الأعرابي الذي كان قد انضم إلى القافلة الغازية مقابل عطاء معين ما أن لبثت السفينة تغادر تأخذ سبيلها إلي البحر وتفارق الثغر الذي أبحرت منه وما أن سمع هو أصوات مياه البحر وأمواجه المضطربة المزبدة حتى ملأ عليه الخوف أرجاء نفسه وزهد في العطاء وقد ندم أشد الندم لموافقته على الانضمام إلى القافلة وركوبه البحر. ثم لا يلبث أن يزداد خوفه حين تشتد الريح وتتعالي الأمواج ويعتب في نفسه علي ابن قبيلته الذي أغراه وأغزاه فليته يرجع. ثم يعمد إلى التمني ويطيل فيه عسي أن ينجو من أخطار الأمواج المضطربة العاتية التي بدت له وكأنها جبل حراء أو ثبير أي أنها بدت وكأنها جبال منهارة متهافتة.

وما أن وطأت قدماه الأرض بعد هذا اليأس الذي كان قد أصابه من الرجوع والإياب ثانية فإذا هو يحن إلى موطنه البادية حيث كان يعيش حياة هادئة بين إبله ورمال صحرائه ومرعاه الذي كان يبحث عنه دائماً. إذن فالنظرة العامة للبحر نظر سلبية فهو مظلم، وعبوره صعب وأمواجه المضطربة المتعاظمة هولها عظيم. يقول الحميري[1]: " لا يعلم أحد ما خلف هذا البحر المظلم ولا وقف منه بشر علي خبر صحيح، لصعوبة عبوره وإظلامه، وتعاظم موجه وكثرة أهواله وتسلط دوابه، وهيجان رياحه.

1 . صفة جزيرة الأندلس: للحميري ص: 2

أما ابن الرومي فقد قال في هول البحر وخشيته[1]

فدع عنك ذكر البر إني رأيتُه لمن خاف هولَ البحر شرَ المهاربِ

وقال القسطلي يصف هول البحر[2]:

إليك ركبنا الفلك تهـوي كأنـّها وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربان

على لجج خضر إذا هبت الصبا تـرامى بها فـينا ثبيـ ـر وثهلان

مواثل ترعى في ذراها مـوائلاً كما عبـدت في الجاهليـ ـة أوثان

يقلن وموج البحر والهم والدجى يمـوج بها فيها عيـ ـ ـون وآذان

ألا هل إلى الدنيا معاد وهل لنـا سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

أما ابن حمديس فقد قال في هول البحر[3]

ولو علـمتْ سني لما كان لومها علي سناناً جارحـ ـ ـاً كـل جارحه

لشيبني فـي عنـفوانِ شَبيبتـي لقائـ ـ ـي من الأيـامِ دهياء فادحه

وقَطعي غَولَ القَفرِ في متنِ سابحٍ وخوضي هولَ البحرِ في بطنِ سابحه

وقال كذلك:

---

1 زهر الآداب وثمر الألباب:إبراهيم بن علي بن تميم ألحصري طبعة دار المعارف بمصر ص:997

2 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:لأحمد بن محمد بن يحي التلمساني:طبعة بولاق:ص3435 والقسطلي:هو أحمد بن محمد بن العاصي بن دراج القسطلي الأندلسي

3 نفسه: 4435

أراكَ ركبتَ في الأهـوال بحـراً عـظيماً ليس يـؤمن من خـطوبه

تُسير فـلكه شـرقاً وغَــربـاً وتُـدفَع مـن صـباه إلـى جنوبه

وأصعب من ركوبِ البـحر عندي أُمـور ألـجـأتـك إلـى ركـوبه

وقال أيضا:

لا أركـب البـحـر خـوفـاً عـلي مـنْه المـعاطـب

طـيـن أنـا وهـو مـاء الطـين في الماء ذائـب

وقول ابن رشيق[1]:

البـحر مـر المـذاق صعب لا جعـلت حـاجـتي إليـه

أليـس مـاء ونحـن طـين فـما عـسى صـبرنا عليه

1 نهاية الإرب

المبحث الثاني: التجارة في البحر وأسواق العرب علي البحر:

تُمثل علاقة العرب بالبحر وجهاً بارزاً من وجوه الحضارة العربية الإسلامية، فعبر البحر كانت تجارتهم وتجارة العالم، وبشروا عبره بدينهم ولغتهم وثقافتهم، وعبر البحر أيضا تلقى العرب علوم الأمم الأخرى وثقافاتها واستوعبوها وأضافوا إليها من ثمار الحضارة العربية ، مما أثرى الحضارة الإنسانية.

ولقد نشأ العرب وعاشوا في شبه جزيرة تحيط بها مياه البحار من ثلاثة جوانب جنوباً وشرقاً وغرباً، فكان طبيعيا أن يعرفوا البحر وجماله وتقلباته وسفنه عن طريق القبائل العربية التي كانت تعيش على السواحل .

وأما القبائل التي كانت تعيش في أعماق الصحراء فإنها بحكم الحياة العربية القديمة، قد اتصلت بتلك القبائل الساحلية بطرق متعددة ومختلفة، مثل الحروب التي كانت تنشأ بينهم، أو عن طريق السلب والنهب، أو ما كانت تمليه عليهم الحياة من تبادل وعلاقات تجارية أو ودية أو حتى عن طريق السلم. وقد كان للعرب اتصال بمن حولهم من الأمم، (كالفرس والروم)، وكانت تربطهم بهم علاقات تجارية اقتصادية كما ورد ذلك في قوله تعالى[1]: (**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**(1) **إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**(2)) إشارة لرحلتيهم إلى اليمن والشام.

1 . سورة قريش: آية 1-2

وأما قصة الشعر الجاهلي فتحكي لنا مواجهة الشاعر الجاهلي للطبيعة الصحراوية القاسية التي عاشها واستقى معلوماته منها، وأثرت في موهبته الفّذة وقابليته في نظم الشعر، ولكنه لم يستسلم لهذا الحصار الصحراوي القاسي، بل نجده يخرج منه ليصف لنا أبعد مما كان يدب فيها عندما صور لنا البحر ومظاهر البيئة فيه فأضيفت هذه الظاهرة الجديدة لبيئته الصحراوية، وزادت من تجربته الشعرية.

وقد تفاوت الشعراء الجاهليون في التعبير عن حياة البحر، كل حسب ما أتاحت له الحياة فرصة الدخول فيه، سواء عاش في ظل حياة حضرية تمكن من خلالها التعرف على ذلك الواقع الجديد، أم كانت بيئته التي عاشها قريبة من البحر. (مثل طرفة بن العبد الذي ولد بالبحرين)، فظهرت عندهم تشبيهات جديدة كتشبيه المرأة بالدرة وباللآلئ، وتشبيه الظعن بالسفينة، والرجل الكريم السخي بالبحر، وغيرها من التشبيهات الأخرى، فضلا عن وصفهم للسفن البحرية وما يكتنف هذه السفن بأنواعها، وذكر الحوت والأسماك والتجارة البحرية التي كانت تتم عبر البحر.

والشعراء كعادتهم مولعون بالطبيعة ،والبحر كمظهر من مظاهر الطبيعة ، صلة الشاعر العربي به صلة قديمة، فالجزيرة العربية التي كانت تضم في بقاعها عشرات القبائل العربية التي انتشرت في أرجائها، هذه القبائل منها ما عاش على امتداد سواحلها، ومنها ما ضرب في أعماق الصحراء. وطبيعي أن نجد القبائل التي كانت مضاربها قريبة من البحر أن تكون لها خبرة بالبحر وركوبه.

أما القبائل التي كانت تعيش في أعماق الصحراء، فقد اتصلت وتأثرت بالقبائل القريبة من البحر بطرق مختلفة ، فضلاً عن أن الموقع الجغرافي للجزيرة العربية ساعد على تطور الملاحة في شواطئها ، فهي تحد من ثلاث جهات بخط ساحلي بالغ الطول، يدور من خليج السويس إلى رأس الخليج العربي، حيث تمتد بالقرب من هذه السواحل أخصب بقاع الجزيرة، اليمن وحضرموت وعمان وقد شجع هذا الموقع التجاري على إقامة علاقات مع شرق أفريقيا وشواطئ إيران عن طريق الخليج العربي الذي استطاع العربي الإبحار منه إلى الهند، حيث إن البحر الأحمر والخليج العربي، يكملهما النيل والفرات، ودجلة، ممرات طبيعية للملاحة في حوض البحر المتوسط وشرق آسيا وبذلك يكون العرب قد أطلوا من كلا جانبي جزيرتهم على طريقين من الطرق التجارية في العالم[1]، وقد كان الاتجار مع شمال أفريقيا سهلاً، خاصة الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية (اليمن وحضرموت)، حيث كانت السفن تحمل إليها حاصلات اليمن، ثم تعود وهي محملة بالبضائع الأفريقية الثمينة مثل الأخشاب والعاج وغيرها من بضاعة الزنوج[2]، حيث كانت هذه البضاعة رائجة في أسواق العرب قبل الإسلام، وقد كان للروم سفن تمخر عباب البحر الأحمر، وكانت تصل إلى سواحل أفريقيا وتذهب إلى الهند. كما أننا نجد أن سفن الحبشة كانت تأتي إلى الجار والشعبية وأسواق عربية أخرى لكي تتاجر معها [3]. وكانت

1 . العرب والملاحة في المحيط الهندي: 24 تأليف جورج فاضلو حوراني ترجمة الدكتور يعقوب بكر-مكتبة الأنجلو المصرية: ص: 24

2 . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي: دار العلم للملايين ط1 – بيروت 1971م- 2 7:62

3 . نفسه: 266

سفن الساسانيين تمخر مياه الخليج العربي. كما شجع الفرس الملاحة حيث أسس أول ملوكهم اردشير الأول (255/241م) عدة موانئ بحرية ونهرية [1]، أما السفن الرومانية واليونانية فكانت قوة كبيرة، وكانت سفنهم كبيرة توصف بأنها ذات أربعة صفوف من المجاديف[2]، وكان التجار اليونانيون في البحر الأحمر يسلكون طريقين أحدهما من الإسكندرية مصعداً في النيل ثم يعبر البحر الأحمر حتى أكسوم عاصمة الحبشة، والثاني يبدأ من أيلة ويمتد على طول الشاطئ العربي[3].

ونتيجة لهذا النشاط التجاري الذي ذكرته سابقاً ظهرت عدة أسواق على الساحل العربي ،ولعبت دوراً مهماً في التجارة القديمة،وفي حياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية، وظلت إلى حد قريب من المرافق الحيوية في المنطقة .

يجدر بنا أن نذكر أن هذه الأسواق إما ثابتة؛وهي التي تكون في القرى والمدن وأماكن السكن ،وإما موسمية ؛ وهي التي تعقد في مواسم وتقع في مواضع متناثرة من جزيرة العرب ،ـ على أن أشهر أسواق العرب في الجاهلية وحتى ظهور الإسلام: سوق عكاظ، وذي المجاز، ومجنة،والمربد ـ ونذكر من هذه الأسواق باختصار:

- الجار فرضه أهل المدينة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والبحرين.

---

1 . العرب والملاحة: 91

2 . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 7: 265

3 . العرب والملاحة: 100

- سوق الشعيبة من المراسي القديمة في الحجاز، تقصده السفن الوافدة من أفريقيا حيث تتزود ما تحتاجه ، وتفرغ ما تأتي به من أفريقيا، وميناء عدن[1] الذي كانت تبحر منه السفن إلى الهند.
- كما أن قيام (جرها) على ساحل الإحساء ساعد التجار على المتاجرة مع الهند، وسواحل إيران الجنوبية، كما كانوا يتاجرون مع العربية الجنوبية وأرض العراق.
- سوق المشَقّر وهو حصن بالبحرين قريب من مدينة هجر . وسوق هجر من ارض البحرين ، وسوق عمان تقصدها العرب بعد الفراغ من هجر وتجتمع فيها تجارة الهند وفارس مع تجارة العرب ، وسوق صحار وهي أعمر مدينة علي البحر بعمان .
- سوق الشحر والشحر هو الساحل الجنوبي بين عدن وعمان وهو مقصد تجار البحر والبر ،وسوق عدن التي يرحل إليها العرب بعد سوق الشحر .

وقد كان لقيام هذه الأسواق وغيرها على سواحل الخليج العربي أثر في زيادة النشاط التجاري وأهمية المنطقة حتى أصبح الخليج العربي يعج بالملاحة، وأصبحت السفن البحرية تختم رحلاتها في تيردون (عند مصب الفرات)[2].

إذن فالعرب لابد أنهم استفادوا من هذا الوضع التجاري المزدهر في منطقتهم، بل وخلقوا لهم كيانهم التجاري وصنعوا سفناً خاصة بهم .

---

1 . المفصل: 7: 272، 273

2 . العرب والملاحة :92

ويمكننا إن نقول أن العرب أهل تجارة عركوا البحر وعرفوا عنه شيئا ليس بالقليل، ولما جاء الإسلام زادت صلة العربي بالبحر عن طريق الدعوة لنشر الدين الجديد ونشاط حركة الفتوحات الإسلامية. هذا فضلاً عن دعوة القرآن الكريم الصريحة إلى ركوب الجواري المنشآت في البحر كالأعلام[1].

وعن الموقع الجغرافي الذي تحدثت عنه من قبل والذي تتمتع به الجزيرة العربية وساحل الخليج العربي.

وإننا لنجد بعض الشعراء قد أشار إلي السفينة وهي محملة بالبضائع، وإن هذا أقوم لسيرها في البحر وسط الأمواج ، حيث ورد ذلك عند بشامة بن الغدير في قوله[2]:

وإن أَدبـرت قـُلتَ مشحونَـةٌ　　　أَطـاع لها الـريح قلعاً جـفولا [3]

وجاء ذكر السفن المحملة الثقال عند النابغة الذبياني في قوله [4]:

لـه بـحر يقـمص بالعـَدولي　　　وبالخُـلُج المحـَملة الثـقـال

إن ورود مثل هذه الإشارات في الشعر عامة والجاهلي علي وجه الخصوص يعني أنهم كانوا لهم تصور حول التجارة البحرية. وأن هذا النشاط دخل إلى الحياة العربية كغيره من النشاطات منذ زمن بعيد، والذي يزيد هذا الاعتقاد ويؤكده ما نجده عند بشر بن أبي خازم من وصف للرحلة التجارية البحرية عن طريق السفن ، حيث ركب هو ومن

1 . ينظر سورة البقرة: 164، سورة إبراهيم:(35) ،والإسراء:(66)

2 . المفضليات:المفضل الضبي:تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ،طبع دار المعارف بمصر1964 10:21

3 . مشحونة: السفينة المملؤة (لسان العرب مادة شحن)

4 . ديوان النابغة: 152. الخلج: السفن الكبيرة

معه على ظهر سفينة في رحلة تجارية إلي الهند جلبوا فيها المسك والبخور، وهذا يعني إن العرب عرفوا طريق الهند البحري وأقاموا علاقات تجارية مع الهند.

يقول بشر بن خازم الأسدي[1]:

أُجـالِد صـفهم ولـقَد أَرانـي ... عـلى قـَرواء تَسـجد لِلرياحِ [2]

معـَبدة السـقائِف ذات دسـرٍ ... مـضبرة جوانبــُها رداحِ [3]

إِذا ركـبت بِصاحـبها خَليـجاً ... تَـذَكر ما لَديه من جنـاحِ [4]

يـَمر الموج تَحتَ مشَجـرات ... يـلين الماء بِالخُشُبِ الصحاحِ [5]

ونَـحن على جوانـِبها قُـعود ... نـَغُض الطَرفَ كَالإِبِلِ القماحِ [6]

فَـقَد أوقرن من قُسـط ورنـد ... ومِـن مسك أَحم ومن سـلاحِ [7]

فَـطابت ريحهن وهن جـون ... جـآجِئُهن في لُجـَجٍ مـلاحِ

والأبيات تصف رحلة بحرية تجارية في سفينة ضخمة ألواحها مجتمعة مشدود بعضها إلي بعض بالحبال ومطلية بالقار. ويقول إنه لم يكد يركبها هو ورفاقه حتى سارت

---

1 . ديوان بشر بن أبي خازم: 47

2 . القرواء:الناقة طويلة السنام (لسان العرب مادة قرو) وهو هنا السفينة العظيمة . تسجد للرياح:تطيعها وتميلها (أساس البلاغة تحت الجذر سجد)

3 . معبدة: مقيرة (لسان العرب مادة عبد) . السقائف: جمع سقيفة وهي لوح السفينة (نفسه مادة سقف) . الدسر: جمع دسار، وهو خيط من ليف تشد به ألواح السفينة وهو مسمارها (نفسه مادة دسر. . مضبرة: الضبر:الجمع أي مجتمعة الألواح (نفسه مادة ضبر) . رداح: عظيمة(نفسه مادة ردح)

4 . الجناح: الإثم أو هو الميل إلى الإثم ، أو ما تُحمل من الهم والأذى(نفسه مادة جنح).

5 . المسجرات: السفن(نفسه مادة سجر)

6 . غض بصره: كفه_مادة غضض) . القماح: الإبل التي تعاف الماء(نفسه مادة قمح)

7 . القسط: عود هندي يجعل في البخور والدواء(نفسه مادة قسط). الرند: عود طيب الرائحة(نفسه مادة رند). الاحم: الأسود(نفسه مادة حمم).

بهم في عرض البحر وحتى تعالت الأمواج من حولها واضطربت ففزع هو وأصحابه، وأخذوا يستعيدون ما اقترفوا من الذنوب في هذا الموقف العصيب والأمواج تتقاذف سفينهم يمنة ويسرة تكاد تحطمها وهم يجلسون علي أطرافها والرعب يملأ قلوبهم يغضون طرفهم رعباً ورهبة حتى بلغت بهم المرفأ الذي يقصدونه فأرسـوا السفينة وحملـوها بالبضائع المختلفة من البخـور والعود والدواء والسلاح ثم عادوا وقد انقسمت جآجئ السفن مرة ثانية في لجج البحر استعداداً لرحلة العودة .

وبذلك فالأبيات لها قيمة تاريخية كبيرة، إذ تبين صلات العرب التجارية ببلاد الهند ونوع البضائع التي كانوا يحملونها من هنالك، فضلاً عن طريقة العرب قديما في صناعة السفن "كما ذكرت من قبل.

وعند ضابئ بن الحارث نجد صورة للسفينة الغسانية[1] " نسبة إلي غسان القبيلة المشهورة في اليمن ، ليدلل علي وجود تجارة بحرية فيقول[2]:

تَـدافُع غَسانية وسطَ لُـجة ـإذا هي همت يوم ريحٍ لِتُرسلا

وسواء كان هذا أم ذلك فقد ورد ذكر البحر كثيراً في حياة العرب في الجاهلية وفي الإسلام متخذين سفنه وأسماكه ومستخرجاته التي تستخدم للزينة وسائل للتشبيه والوصف.وقد مثلت بعض القصائد فيه وثائق تاريخية هامة توضح علاقة العرب بمن حولهم ،ونوع هذه العلاقة ، كما وتبين نوع النشاط التجاري الذي كان يتم بينهم.

1 . معجم البلدان: 5: 203

2 . الأصمعيات: 181

المبحث الثالث: صيد اللؤلؤ والحوت

أولا صيد اللؤلؤ

اللؤلؤ جنس يشمل على نوعيه الدر الكبار والمرجان الصغار، يقول البيروني[1]: قال أبو عبيدة: الدر كبار الحب والمرجان صغاره، واللؤلؤ يجمعهما)).

وقال أبو الحسن اللحياني: (الدر واللؤلؤ هو الكبار))، ولم يخالف في المرجان أنه الصغار إلا أنه منع اللؤلؤ أن يقع على المرجان لا محالة، مستندا إلى قول النابغة:

بالدر والياقوت زين نَحرها ومفَصلٍ من لُؤلُؤٍ وزبرجد

ونجد ذكر اللؤلؤ أيضا في قوله[2]:

أَخَذَ العذارى عقدها فنَظَمنَه مـن لُؤلُؤٍ متَتابِعٍ متَسرد

وسواء كان هذا أم ذاك فقد حظيت هذه الثروة من لدن الشاعر الجاهلي بالعناية والاهتمام، فقد ذكر لنا أسماءها المشهورة، ووصفها وصفاً دقيقاً، واستخدمها في التشبيهات المختلفة، وبين لنا العيوب، وذكر كذلك رحلة الغواص وبحثه الدائم في صيده عن اللؤلؤ للحصول عليه. وأسماء اللآلئ كثيرة في اللغة العربية ومن أسمائها المشهورة اللؤلؤة

---

1 . الجماهر في معرفة الجواهر: تصنيف أبي الريحاني. ص: 105

2 . ديوان النابغة:95

،والدر، المرجان، والنطف، والتومة، والتوامية، واللطمية، والصدفية، والسفانة، والجمانة، والونية، والهيجمانة، والخريدة ، والحوصة، والخصل[1].

وقال النابغة في ذكر الصدفية - نسبة إلى الصدف - يصف امرأة[2]:

أو درة صدفـية غَواصـُها بهج متى يرها يهل ويسجد [3]

نظراً إلى أنها تكون مكنونة ومحفوظة في الصدف مما يزيد في صونها ووقايتها .

وسواء ذكرت بالصدفية أو التوم أو التؤامية أو غيرها من الأسماء إنما يصفون بها المرأة تارة أو قطرات الندى الواقعة على أغصان الشجر تارة أخرى أو غيرها من التشبيهات والوصف.

وقال الأسود بن يعفر:

يسعى بها ذو تُومتين مشَمر قـنأت أناملُه من القُرصاد

وقد جاء ذكر اللؤلؤ عند المفضل النكري في قوله[4]:

فـَدمعي لُؤلُؤٌ سلس عـراه يخر على المهاوي ما يليقُ

في تشبيه دمعه باللؤلؤ

كما نجد وصفاً للؤلؤ في شعر امرئ القيس في قوله[5]:

1 . الجماهر: 107

2 . مختار الشعر الجاهلي: 184. وديوانه: 92

3 . يهل: يرتفع صوته بالتلبية(لسان العرب مادة هلل)

4 . الأصمعيات: 20

5 . ديوانه: 51

فأسبلَ دمعي كفَضّ الجمان أَو الـدر رقـراقه المنحدر

وقال أيضاً[1]:

إذا ما استحمت كان فطر حميمها على متنتيها كالجمان لدى الجالي

وقال امرؤالقيس في ضرورة ثقب اللؤلؤ عندما وصف النساء وهن يتحلين بالجواهر:

غَرائِر في كَن وصونٍ ونعمةٌ يحلين ياقوتاً وشَذراً مفَقرا

والمفقر: المثقوب للنظم في الأسلاك.

ومثال التشبيه الطويل في هذا النوع من الوصف قول المسيب بن علس أو الأعشى ميمون بن قيس لأن الأبيات تنسب إلى كل منهما[2]:

كجـمانَة البحري جـاء بِـها غَـواصها من لُجة البـحرِ[3]

صـلب الفؤاد رئيس أَربـعة متَخـالِفي الألوانِ والنَـجرِ [4]

فتـَنازعوا حتّى إِذا اجـتَمعوا أَلـقَوا إِليه مقالِـد الأمـرِ[5]

وعَـلَت بِهم سجحاء جـاريةٌ تَهوي بِهم في لجة البـحرِ[1]

1 . نفسه:105

2 . خزانة الأدب للبغدادي:3 : 213 "يقول البغدادي إن أبا عبيده وابن دريد وغيرهما نسبا هذه الأبيات للأعشى، أما الأصمعي فقد أثبتها للمسيب بن علس وقد نقلها هو من ديوان الأعشى، وهي جزء من قصيدة يمدح فيها قيس بن معد يكرب الكندي ". ومعروف أن المسيب خال الأعشى، وان الأعشى كان راويته وكان يطرد شعره ويأخذ منه، مما يجعل ذاك أدعي أن يخلط بين شعري كل منهما.

3 . الجمانة: حبه تعمل من فضة كالدرة (الصحاح تحت الجذر جمن)، لجة البحر: معظمه.

4 . صلب الفؤاد –قوية شديدة ، رئيس أربعة – حال ، متخالفي الألوان - صفه لأربعة . النجر: الأصل(لسان العرب مادة نجر)-، أي هؤلاء الأربعة أصلهم مختلف وألوانهم مختلفة.

5 . تنازعوا: اختلفوا وتشاجروا(نفسه مادة شجر)

حـتّى إذا ما ساء ظنّـهـم   ومضى بهم شَهر إلى شَهر

ألـفى مراسيـ ـ ـه بتَـهلكة   ثبتَت مراسيها فما تَجـري[2]

فَـانصب أسقفُ رأسـه لبـد   نـُزعت رباعيتاه للصبـر[3]

اشـفى يمج الزيت ملتَمـس   ظـمآن ملتَهب من الفَـقر[4]

قتَـلت أباه فـَقال أتـ ـ ـبعه   أو أسـتَفيد رغيبةَ الـدهر[5]

نَصفَ النَهار الماء غامـره   ورفـيقُه بالغَيب لا يـَدري[6]

فأصاب منيتَه فَجاء بـ ـ ـها   صدـفيةً كمضيئَة الجـمر [7]

يعطى بها ثَمناً ويمنَعـ ـ ـها   ويـقولُ صاحبه ألا تَشري [8]

وتَرى الصراري يسجدون لها   ويضـُمها بيـَديه للنَـحر[9]

---

1 . السجحاء: الناقة طويلة طولا عظيما(نفسه مادة سجح) أي السفينة الطويلة.

2 . المراسي: جمع مرساة وهي أنجر السفينة التي ترسي بها يشتد بالحبل ويرسل في الماء فيمسك بها ويرسيها (لسان العرب مادة رسى)، التهلكة: الخطر والهلاك(نفسه مادة هلك)

3 . الأسقف: الطويل (لسان العرب مادة سقف) لبد: متلبد الشعر(نفسه مادة لبد) ، الرباعيتان: سنّان (نفسه مادة ربع) .ونزعت للصبر، خلعت ليشتد احتماله(نفسه مادة نزع).

4 . في خزانة الأدب أشفى، والتصحيح من المخصص لابن سيده 1: 150.لأشفي الذي اختلفت نبتت أسنانه بالطول والقصر، والدخول والخروج. (الغوص علي اللؤلؤ في المصادر العربية القديمة لعبد ا يوسف الغنيم ص: 9)

5 . الرغيبة: العطاء الكثير(لسان العرب مادة رغب). . أي إن أباه هلك في حب هذه الدرة أو في تحصيلها فقال هذا الغائص: اتبع أبي في الهلاك أو استفيد مالا كثيراً.

6 . نصف: أي انتصف(لسان العرب مادة نصف). الماء غامره: مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب حال، وواو الحال محذوفة، والتقدير، والماء غامره .

7 . صدفية: حال من الضمير المجرور في بها .

8 . يمنعها أي حال بينها وبين بيعها(لسان العرب مادة منع). ألا تشتري: ألا تبيع(نفسه مادة شرى).

9 . الشواري: جمع شار وهو المشتري(لسان العرب مادة شرى)

فَتاك شِبه المـــالِكية إذ ... طـَلعت بِبهجتها من الخدر[1]

وهو في ذلك يشبه صاحبته بالدرة التي استخرجها الغواص من أعماق البحر، غير انه توسع في تصوير استعداده واستعداد رفاقه للغوص. فقد ذكر صفاتهم وألوانهم ثم مضي يتحدث عما كان بينهم من جدال في أمر رحلتهم حتى اتفقوا، فركبوا البحر، قضوا فيه مدة طويلة، ثم أرسوا سفينتهم التي كانت تغوص بهم في لجة البحر، وغاص رئيسهم إلي القاع يبحث عن الدر، وأخذ يقذف بالزيت من فمه ليضئ له أسفل البحر، حتى يبصر، وغاب عن أصحابه ساعات متصلة دون أن يعلموا شيئاً من أمره وظل غائصاً حتى أصاب منيته ووقع علي درة داخل صدفها " حين قال عنها صدفية "فأستخرجها وعاد بها إليهم وتوجهوا بها إلى السوق، وغالوا في ثمنها وعرضوا بيعها للمشترين يطلبون فيها سعراً غالياً لنفاستها وروعتها وقد عز عليه بيعها.

وتعد هذه الآبيات وثيقة تاريخية هامة ودقيقه. فقد أنبأتنا بمن كانوا يحترفون الغوص في طلب اللؤلؤ من العرب وغير العرب حيث يقول الشاعر إن هؤلاء الأربعة أصولهم مختلفة وألوانهم مختلفة. ثم يوضح صفات الغواص الجسمية وطبقته الاجتماعية. ولا ينسي وسائل الغوص التي يستعين بها الغواص خاصة الزيت والذي كانت له مهمتان:

1 .الخدر: البيت(نفسه مادة خدر)

الأولى أنه يدهن به جلده حتى لا يؤثر فيه ماء البحر المالح ولا يشققه والمهمة الأخرى أنه كان يمسكه في فمه ويقذفه ويمج به تحت الماء ليضيء له قاع البحر. وهذه طريقة تستعمل في صيد اللؤلؤ[1].

والوسيلة الثانية هي الحبل الذي كان يمسك به شريكه فوق السفينة ينظر ولا يدري ما حل بصاحبه[2].

ولم ينس الشاعر أن ينقل لنا الصراع النفسي الذي عاشه الصياد في بحثه عن اللؤلؤ وهو في مواجهة مع الموت. فأبوه قبله مات بحثاً عن الدرة واللؤلؤ فإما أن يلحق به ،وإما أن يحصل عليها ويتحرر من ربقة الفقر .

ومثاله قول الأعشى ميمون بن قيس[3]:

كأنَّـها درةٌ زهـ ـراء أخرجـ ـها غـواص دارين يخشى دونَها الغَرقا [4]

قد رامـها حججـاً مذ طرّ شاربـه حتّـى تسعسع يرجوها وقد خـفَقا[5]

1 . انظر المخصص: 150/1

2 . حيث يغوص الغواص بحبل معه طرفه ، وطرفه الآخر مع صاحبه (خزانة الأدب 211/3)

3 . ديوان الأعشى: 80 ، مختار الشعر الجاهلي: ج2:325

4 . زهراء: بيضاء صافية(لسان العرب مادة زهر) . دارين: فرضة في البحرين، يجلب إليها المسك من الهند (معجم البلدان: ج2: 432)

5 . حججاً: أعواماً(نفسه مادة حجج) .. طر شاربه: ظهر ونبت (نفسه مادة طرر) ..تسعسع: هرم وكبر حتى ولى (الصحاح: مادة سعسع) . خفق: اضطرب(لسان العرب مادة خفق)

لا النـَفس تونسه منـها فيتركـُها وقد رأى الرغب رأي العين فاحترقا[1]

ومـارد من غُواة الجـن يحرسـها ذو نيقة مسـتـعد دونـها ترقـا

ليست لـه غفلةٌ عنها يطيفُ بـها يخشى عليها سرى السارين والسرقا[2]

حرصاً عليها لو أن النفس طاوعها منه الضمير ليالي الـيم أو غـَرقا[3]

مـن نالها نالَ خُلداً لا انقطاع لـه ومـا تمنّى فأضحى ناعماً أنـقا[4]

تلك التي كلفتـك النفس تأملُـها وما تعلقـت إلّا الحـَين والحـرقا[5]

بدأ الأعشى أيضا في تشبيه محبوبته بالدرة المتوهجة في الحسن، ولكنه سرعان ما قفز إلى تصوير الغواص وهو يصطادها ويستخرجها من لجج عميقة، بل وينتزعها انتزاعا

1 . الرغب:الحرص على الجمع (لسان العرب مادة رغب) .

2 . يطيف: يدور حولها(نفسه مادة طوف) . السرى: سير الليل . السارين: الذين يسيرون بالليل(نفسه مادة سرى)

3 . حومة الماء: معظمه(لسان العرب مادة حوم) . . ألآذى: الموج (نفسه مادة أذى) . الحدب: الموج وتراكب الماء في جريه(نفسه مادة حدب) .اعتلق: علقته المنية فمات(نفسه مادة علق)

4 . أنقاً : الأنق الإعجاب بالشئ (نفسه مادة أنق)

5 . الحرق: الهلاك من احترقت أي هلكت (نفسه مادة حرق).

من البحر ويدفع حياته ثمناً لها، فهي غاية ما يرجوه ويتمناه في حياته فيفيض في وصف طلبه لها، منذ أن يحين موعد رجولته حتى يشيب ويهرم. ولا ينسي الأعشى أن يصور لنا الخوف ومواجهة الموت الجاثم في أعماق البحر لأولئك الصيادين الذين يبحثون عن الدر، كما أنه يصور لنا ندرة هذه الدرة حتى أنها تحرس من قبل الجن ومن قبل مارد عتي يحرسها ولا يغفل عنها، خوفاً عليها من أيدي السارين والسرق (الصيادين). وهو يبين لنا سبب تعلقه بهذه الدرة وحرصه عليها، وقلة مبالاته بالموت من أجلها، فهي درة نفيسة من فاز بها فاز بالنعيم المقيم.

والملاحظ أن الأبيات تصف لنا الغوص وتظهرنا على ما كان يعانيه الغواصون من مشقة وعناء في طلب اللؤلؤ، وما كان يعتريهم ويجيش بصدورهم من أحاسيس وهم يؤدون عملهم ويقدرون له ويفكرون في عاقبته بل ويعلمون مدي العاقبة أحيانا.

كما وصف الأعشى وقاية الصدف للدر من الطين، في قوله[1]:

من كُل مرجانَة في البحرِ أخرجها غوّاصها ووقاها طينَها الصدَفُ

أما أبو ذؤيب الهذلي فقد حذا حذو غيره من الشعراء في تشبيه المرأة بالدرة ووصف الغواص وما أصابه من الكلال في سبيل هذه الدرة، فيقول[2]:

كأن ابنَةَ السهمي درةُ قامسٍ لها بعد تَقطيع النُبوحِ وهيج [3]

1 . ديوانه: 211

2 . شرح أشعار الهذليين: 133

3 . القامس: الغائض(لسان العرب مادة قمس). نبوح: والواحد نباحة وهو صدف بيض صغار (نفسه مادة نبح). . الوهج: التوقد(نفسه مادة وهج).

بِكَفي رقاحي يحب نَمـاءها فَيبرِزها لِلبيـعِ فَهي فَريـج [1]

أَجاز إِليها لُجةً بعد لُـجـة أَزل كَغُرنوق الضحول عموج [2]

فَجاء بِها ما شئتَ من لطَمية يدوم الفـُراتُ فَوقَها ويموج [3]

فَجاء بِها بـَعد الكـَلال كَأَنه من الأَينِ محراس أَقَذ سحيج [4]

والضمير في (بها) في البيتين. المقصود الدرة.

فهو يشبه (ابنة السهمي) بالدرة التي قطع الغواص صدفها فخرجت وهي تتوهج وتتقد وهي الآن بكفي تاجر "وهو الغائص" يريد زيادتها ونماءها بزيادة سعر بيعها لأنه قد بذل في سبيلها جهداً وعناء، ومضي سابحاً يتعمج في لجة البحر حتى أتى بها، وجلبت بعد ذلك في اللطائم للبيع.

وأما في قوله في صفة الدرة[5]:

فَجاء بِها ما شئتَ من لطَمية يدوم الفُراتُ فَوقَـها ويموج

1 . الرقاحيّ: التاجر(لسان العرب مادة رقح) .. نماءها: زيادتها (نفسه مادة نما)، للبيع فريج: مكشوف عنها ، للبيع،من فرج أي انكشف(نفسه مادة فرج)

2 . أجاز: قطع(نفسه مادة جوز) .، الأزل:الضيق والشدة (نفسه مادة ادل) والغُرنيق:من طير الماء طويل العنق نفسه مادة غرنق). والضحول:جمع وهو الماء الضحل، أي القليل(جمهرة اللغة: لابن دريد مادة حضل). عموج: يعني السابح يتعمج في البحر، يتلوي يقال: تعمج يتعمج والتعمج تثن وتلو(لسان العرب مادة علهج).

3 . اللطيمة: عير تحمل التجارة والعطر فإن لم يكن بها عطر لم تكن لطيمة (نفسه مادة لطم). تدوم البحار:دام البحر يدوم:سكن أي تسكن (نفسه مادة دوم). تموج: تتحرك..(نفسه ماد موج)

4 . الكلال: الإعياء(نفسه مادة كلل). المحراس: سهم عظيم القذى نفسه مادة حرس) ُ. الأقذ الذي ألزقت قذذه ودققت جداً وقذذه آذانه (نفسه مادة قذذ)

5 . العقد الفريد ج6: ص 216 ، الشعر والشعراء 399،شرح أشعار الهذليين:133

فقد أُخذ عليه وصفه للدرة في ماء الفرات، لأن الدرة لا تكون إلا في الماء الملح، وقد ذكر الدرة بأحد أسمائها وهي اللاطمية.

وممن ذكر أسماءها من الشعراء **سويد بن أبي** كاهل في قوله في التؤامية:

كـالتَـؤامـية إن باشَرتَـها ... قَرت العين وطاب المضطَجع

وقد وصف الشعراء رحلة الغواص في البحر بحثا عن اللآليء ، وما كان يلاقيه الغواص من تعب وعناء ومشقة في سبيل هذه الدرة، والمخاطر التي كان يجابهها من أمواج عاتية، وأسماك وحيتان وتحمل هذه المخاطر إذ الغواص أحيانا كان يبحث عن اللؤلؤ لقصد الكسب والرزق.

ومن التشبيه المفصل بعض التفصيل قول المخبل السعدي[1]:

كعقيلة الـدر استـضاء بـهـا محراب عرش عزيزها العجـم[2]

أغـلى بها ثـمناً وجاء بـهـا شُخـت العظام كأنها سهـم[3]

بلـَبانه زيـتٌ وأخـرجـهـا ... من ذي غـوارب وسطه اللخـم[4]

فيذكر درته بأنها من خيرة الدر وأكرمه، وأن غواصها قد أخرجها من بحر محفوف بالمخاطر ومن أمواج متلاطمة وأسماك .

---

1 . المفضليات: 115

2 . عقيلة: كل شيء أكرمه(لسان العرب مادة عقل). المحراب: صدر المجلس(نفسه مادة حرب)، وهو منصوب على نزع الخافض.

3 . أغلى بها ثمناً أي اشتراها بثمن كثير ..شخت العظام: الشخت في الأصل الدقيق أي غواص دقيق العظام(لسان العرب مادة شخت)

4 . اللبان: الصدر.نفسه مادة لبن) . واللخم:ضرب من سمك البحر يقال له الكوسج/ سمك القرش(نفسه مادة سمك)

وإذا كان جدوى الجواهر هو التزين بها بالتعليق بعد أن يشد بعضها إلى بعض ،الأمر الذي لا يتأتي إلا بثقب اللآليء حتى يحصل النظام وجمال التأليف بعد أن تقطع الأصداف وتخرج الدر. يقول أبو الفرج بن هندو[1].

وما قيمة الدر الثمين وقدره　　ولم تنكسر أصدافه ويفصل

ولكن العارفين بقيمة اللؤلؤ لا يجرؤون علي توالي ثقبها إذا كانت مثمنة وإنما يرمون بها إلى التلامذة الجاهلين بأقدارها، فيستمرون بجراءة علي العمل فيها حتى يفشلون في ثقبها وتتناثر وإن ثقبت زال الخطر ووقف علي ما في داخلها وفي مدار هذا الأمر قال لبيد[2]:

فالماء يجلو متونَهن كمـا　　يجلو التَلاميذُ لُؤلُؤاً قَـشبا

وخير اللؤلؤ ما انعقد علي قشرا إلى أن يصير درا[3] حتى يحصل له الصون والكن والبريق الذي يتميز به، لقوله تعالي: " كأنهن اللؤلؤ المكنون".

أما الصدف فقد قال اللغويون[4]: إنه صدفَ يصدف إذا مال، لأنه يصدف عن اللؤلؤ وصغار الأصداف بلبل، وكباره محار، قال الشماخ بن ضرار[5]:

---

1 . الجماهير: 133

2 الجماهر: 134

3 . نفسه: 4

4 . نفسه: 5

5 . الشعر والشعراء: 57

لهـا منسم مـثلُ المـحارة خـُفه كأن الحصى من خَلفه خَذفُ أَعسرا

وأما **ذوالرمة** فيقول[1]:

وحفٌ كأن النَدى والشَمس ماتعةٌ إذا تَـوقد فـي أَفـنانه التـوم[2]

في تشبيه الندى الواقع على أغصان النبت عند وقوع النهار باللآلئ[3].

وقال جميل بن معمر العذري:

من البيض معطار يزين لبانها جـمان وياقـوتٌ ودر مؤلفُ[4]

فالزينة هنا هي الياقوت والدر والتأليف بينها اللآلئ .

وقال ابن أحمر (الراعي النميري) في وصف حلي المرأة:

كـأن دوي الحـَلي تَحتَ ثيابِـها حصاد السنا لاقى الرياح الزعازعا

جـُماناً وياقـوتاً كـأن فُـصوصه وقـود الغَضا سد الجيوب الروادعا[5]

كما وصف الغوص والغواص والمخاطر التي يلاقيها في سبيل درته في قوله[1]:

---

1 . الجماهر: 109

2 . التوم: المقصود اللؤلؤ0لسان العرب مادة تام)

3 . الجماهر: 109

4 . نفسه: 112

5 . الجماهر في معرفة الجواهر:البيروني: 112

رأي من جريها الغـواص هولاً **هراكـلة وحـيتاناً ونـونـا**

وأسلم نفسه عنداً عليـ ـ ـها **وكـان بنفسه حـيناً ضـنينا**

والهركل: الضخم من كل شي، وعنداً: غضبان.

أما القطامي[2] فقد قال في وصف الغوص والغواص:

أو درةٌ من هـجانِ الـدر أدركـها **مـصعر من رجال الهند قد سهما**

أوفـى على ظـهرِ مسحاجٍ تـقَدمه **غـوارب الماء قد القينَه قُدمـا**

جـوفاء مطـلية قاراً إذا اجتَنَحـَت **بـه غـواربه قحمنَـها قحـَمـا**

حـتى إذا السفن كانَت فَوقَ معتَلجٍ **الـقى المعاوز عنه ثُمتَ انكتمـا**

في ذي حبوك يقَضي الموتُ صاحبه **إذا الصراري من أهواله ارتسـما**

غـواص ماء يمج الزيتَ منغمـساً **إذا الغُـمورةُ كانت فَوقَـه قيـمـا**

حـتى تـناولها والـموتُ كـاربه **في جوف سـ ـاجٍ سوادي إذا قحما**

1 . نفسه:143

2 . نفسه:145/144

ذاكراً الدرة التي يلاقي في سبيلها الغواص ما يلاقي من المخاطر وقد حفه الموت من كل جانب، سواء كانت تلك المخاطر من سكان البحر كالأسماك، خاصة سمك القرش الذي يخافه الصيادون ، أم تلك الظلمة التي يضيئها بما يمجه من الزيت المحمول في فمه، أم أمواج البحر المقحم نفسه فيها.

وقال الخليل بن احمد[1]: في المحارة: أنها اللحم الذي بين دفتي الصدف وهي حيوانه وليس كذلك. وإنما المحارة الصدفة، سواء خلت أو امتلأت باللحم. والأكنان أو العمق في الصدف تعم الجيد والرديء والصغير والكبير وإنما يختص بالبهاء والرونق الكائن في العمق، والأصداف الكبار أكثر الأمر خاليه من اللآليء، ولكن إذا وجد فيها لؤلؤ كان كبيراً، والتي تكثر فيها اللآليء لا تجاوز مقدار الكف. ولقد وضع العرب اثني عشر اسما مختلفا تصف أنواع الصدف والمحار والودع والحلزون التي تعيش في المياه المالحة أو العذبة منها الصدف والمحارة والودعه والدلاع وغيرها.

والمغاصات هي المواضع التي ينجح فيها غوص الغواص بالحصول علي صدف ذي لؤلؤ. وهي مشهورة وإليها تجهز السفن وتزود حيث تنجح في صيدها بقدر البعد من الساحل وبكثرة المكث في البحر عن الساحل. وللمغاصات موانع وعقبات كالآفات الأرضية، والجبال البحرية، لذلك لابد للغائص أن يجتاح اللجج والأعماق بعداً عنها.

1 . الجماهر: 107

والمغاصات المشهورة التي توجد بها موانع بحر القلزم، إذ توجد به حيوانات ضاره كالتماسيح وسمك القرش، "وهو أحد أسباب تسمية قريش قريشاً"[1].

وسواحل بحر فارس كلها مغاصات متصلة عند حدود مكران إلى البحرين، وهي أنفس وأشرف خاصة بالبحرين. وسمي لؤلؤه قطرياً نسبة إلي ناحية في البحرين يقول فيه الراعي النميري:

شَآمِيةٌ هوجاء أو قَطَرِيةٌ   بِها من هباء الشعريين نَسيج

ثانيا: صيد الحوت

بالرغم من أن الشعر العربي ضنين بذكر الحوت، إلا إننا نجد بعض إشارات له في الشعر الجاهلي، ولطريقة صيده ،كما نجد ذكرا لخطورته (كسمك القرش). ولعبيد بن الأبرص قصيدة وعرة الألفاظ، تمثِّل شريحة من واقع بحري ذكر فيها الحوت، كما ذكر فيها السمك، وبالتالي تمثِّل الأبيات قفزة نوعية في المضمون عن الجاهلي، حين يقول:[2]

لِســـانِي بِالقَرِيضِ وبالقَوافي   وبِالأَشعارِ أَمهر في الغَــواصِ

مِن الحــوت الذي في لُجِّ بحرٍ   يجيد السبح في اللُّجج القماصِ

إِذا ما بــاصَ لاحَ بِصفــحتَيهِ   ويبيض في المكر وفي المحاصِ

تُلاوِصُ في المَداصِ ملاوِصاتٌ   لَهُ مَلَصى دَواجِــن بِالمــلاصِ

بَناتُ الماءِ لَيسَ لَــها حَـــياةٌ   إِذا أَخرجــتَهُن مِــن المَــداصِ

---

1 . لسان العرب مادة قرش .. مجلة مجمع اللغة العربية ج: 57 صفر 1406 هـ -نوفمبر 1985 المشرف على المجلة د. مهدي علام .ص: 208

2 ديوان عبيد بن الأبرص:135

إذا قبضت عليه الكـف حـيناً تناعـص تحتهـا أي انتعـاص

وباص ولاص من ماص ملاص وحوتُ البحر أسود أو مـلاص

كلون الماء أسـود ذو قـشور نسجـن تلاحـم السرد الدلاص

والذي ورد عند المخبل السعدي في قوله:

بلـبانـه زيـتٌ وأخـرجها من ذي غوارب وسطه اللخم

أما المزرد بن ضرار فقد شبه الدروع المنيعة بظهر السمكة فقال:

دلاص كظهر النون ما يستطيعها سنان ولا تلك الحظاء الدواخل[1]

وأوس بن حجر فقد قال:

أو سركم إذ لحقنا غير فخركم بأنكم بين ظهري دجلة السمك

أما العجاج الراجز فقد ذكر الحوت في قوله:

موسى وموسى فوقـه التابـوتُ

وصاحب الحـوت وأين الحـوتُ

والحوتُ في هيت الردى ما هيتُ

للحـــوت في أثنائه بيـوتُ

وزبد البحـــر له كتـيتُ

تراه والحـــوتُ له نئيـتُ

1 التشبيهات:لإبراهيم بن محمد بن أبي عون:ط:بيروت:ص:23

وجوشَـــن البـَحر له مبـيتُ

يدفَع عنه جـوفَه المسـحوتُ

وقال رؤبة:[1]

كالحوت لا يرويه شَيء يلْهمه   يصبح ظمآن وفي البـحر فَمه

وقال عنه أبو نخيلة الراجز[2]

تغـمه النشـرة والنسـيم   فَـلا يـزال مغرقـاً يعوم

في البحر والبحر له تخميم   وأمـُـه الوالـدة الـرؤوم

تَـلهمه جـهلاً ومـا يريم

وذلك لأن السمك يأكل بعضه بعضاً.

وقال عنه الفرزدق:[3]

إذا الحوتُ من حوماتهن اختَلَجنَه   تَزعم في أَشدافهن وجرجرا

وقال كذلك:

ولـكن ربـي رب يـونُس إذ دعـا   من الحوت في موجٍ من البحر سائِل

أما جرير فلم يذكره إلا في بيتين أحدهما: [4]

ومـا صبري عن الذَلـفاء إلّا   كَصبر الحوت عن ماء الفُرات

---

1 الحيوان: 103:7

2 الحيوان للجاحظ ج1: 31

3 ديوانه:104

4 ديوانه:98

والأخر قوله :

تَـغَمده آذي بـحرٍ فَـغَمه وأَلقاه في الحوت فَالحوتُ آكلُه

وابن الرومي كان له اهتمام بحوت سيدنا يونس حين يقول[1]:

نجـا يونس في اللـجـَ ة من حـاوية الحـــوت

بتســـبيحٍ له منـــجٍ وعـته أذُن الحــــوت

فكم نـوعٍ من الآفـــــا ت مصروف عن الحوت

وحـيتانكُم نَســــــْلٌ أتـى من ذالـك الحـُوت

وقد حزن من التسـبيـ ح ميراثـاً عـن الحـوت

فما إن يطـمع الصـَيا د فـي ذُريـة الحـــوت

ولم تعي ُأذن الحوت عند ابن الرومي تسبيح سيدنا يونس فحسب بل درسه وتعلمه ولجأ إليه كلّما أصابه السأم وذلك في قول ا بن الرومي:

تعلم حـوتُ يونس منـ ه تسبيحاً بـه سلما

فذاك الحـوتُ يدرس ذا لك التسبيح ما سئِما

وأحســب هازباءكُم تعـــلّم منه ما علما

فليس ينـاله صـــيد وكيف ينـالُ معتصما

وقال أبو نواس عنه:

---

1 ديوانه:77

لو رأى في الجو صدعاً　　لنـزا حـتى يـمـوتا

أو رآه جـوفُ بحـر　　صـار للأنـعاظ حوتـاً

أما السمك فقد ضن ذكره في ا لشعر العربي ولم نعثر منه إلا على إشارات نذكر منها قول ابن الرومي:

الحمد لله الـذي نـجى السمك　　من الشصوص الجائلات والشبك

ولعل السبب في ذلك يرجع لعدم اعتماد العربي عليه في الغذاء واعتماده على الحيوان الصحراوي وفي ذلك يقول أبو نواس:

تَـفَرد قـَلبي فَما يشـتَهِك　　يحب الظباء ويبغض السمك

غير أن الحيوانات المائية ليست كلها سمكاً يقول الجاحظ:(وليس كل عائم سمكة، وإن كان مناسبا للسمك في كثير من الأحيان)[1]**،** وذلك بسبب وجود حيوانات أخري مثل كلب الماء وعنز الماء وخنزير الماء والضفدع والسرطان وغيرها وقد أجمع المحدثون: أن من أعظم ما خلق ا الحية والسرطان والحوت[2]**.**

والسمك من أكثر الحيوانات ذرءاً (أي نسلا) وسواء كثر السمك أم قل فذكر العربي له قليل مقارنة بذكره للبحر ،وسفنه، ودرره، وغواصيه وغيره مما يتعلق بالبحر

1 الحيوان: ج 5:30.

2 . نفسه: 7: 10 ، 15: 30

المبحث الرابع: الحرب في البحر

لم يعد العرب يقيمون في الجزيرة العربية، ولم يعد أفراد قلائل منهم يرحلون إلى الشام والعراق، بل رحلت عشائر كثيرة من قبائلهم لهذين البلدين وأقاموا فيهما، ورحلت عشائر أخرى إلى مصر وبلاد المغرب العربي، وأصبحت البيئة الجديدة للعرب تنساح في مسافات طويلة غنية بالأنهار، الأمر الذي يؤذن بأن يكثر الشعراء من موضوعات وصف البحر، غير أن ذلك لم يحدث تغييراً كبيراً في وصفهم للبحر، وظلت محاولاتهم تقتصر على الموضوعات التي كان قد أرساها لهم الشعراء الجاهليون، لا سيما وصف الرحلة النهرية ووصف الخوف من ركوب البحر. على أن الرحلة النهرية التي وصفوها لم تكن تجارية ولا تاريخية، وإنما كانت تصويراً لارتحال الظعن من مكان إلى مكان .

ولعل قصيدة عبيد ا بن قيس الرقيات، والتي يقول فيها[1]:

غَدوا من دورج الكَريو ن حيثُ سفينُهم حزقُ [2]

إلى أن يقول:

سفائِن غَير مقلعة ـإلى حلوان تَستَبِقُ [3]

---

1 . ديوانه: ص 158.

2 . الكريون: موضع (المياه والأمكنة والجبال:لمحمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري /طبعة بغداد) . حزق. جماعات(أساس البلاغة:الزمخشري مادة حزق) .

3 . غير مقلعة: من قلاع ،والقلع:شراع السفينة أي ليس عليها شراع(لسان العرب مادة قلع).

تعتبر أول مرحلة لنقل الوصف البحري من مرتبة التشبيه الشكلي التقليدي إلى مرتبة التشخيص ، وكذلك قصيدة الأخطل التي صور فيها نساء قومه اللائي نزلن بمكانٍ يتصيفن فيه، عندما قال[1]:

كأن الريطَ فَوقَ ظباء فَلجٍ غَداةَ لبِسن ِللبينِ الثيابا[2]

فَفارقن الخَليطَ على سفينٍ تَشُق بِهن ِأمواجاً صعابا

كان قد صور فيها الرحلة من بدايتها إلى نهايتها واعتنى فيها بذكر الملاح، ووصف ثيابه التي يرتديها وهيئة ماء النهر وأمواجه إلى أن وصلت السفينة إلى غايتها ورست. لنلاحظ أنه خفف قليلاً من الاستيحاء من الخيال البدوي وتخلص ما أمكنه ذلك من التشبيهات الصحراوية إلا من ذكره للإبل التي تتابع لتلحق أخراها بأولاها عندما يزجرها الراعي.

بيد أن البحتري ابتدع نوع آخر من أنواع الوصف المرتبط بالبحر وهو وصف المعركة البحرية بين أسطول العرب وأسطول الروم والذي قال فيه[3]:

ولما تَـولّى البحر والجود صنوه غَدا البـحر من أخلاقه بين أبحرِ[4]

غَدوتَ عـلى الميمونِ صبحاً وإنما غَدا المركَب الميمون تَحتَ المظفرِ[1]

---

1 . ديوان الأخطل التغلبي: ص 520.

2 . الريط: جمع ريطة، وهى الملاءة(لسان العرب مادة ريط).:. فلج: واد بين البصرة وحمى ضرية(نفسه مادة فلج).

3 . ديوان البحتري: 2: 982.

4 . الصنو: الشقيق(نفسه مادة صنو).

أطَلَّ بعطفيه وم‍ـرَّ ك‍ـأنما تَشَوفَ من هادي حصانٍ مشه‍ـر[2]

إذا زمجر النوتي فوقَ علاته رأيتَ خطيباً في ذُؤابة منبْ‍ـر[3]

يغضون دون الإشتيام عيونَهم وفوقَ السماط للعظيم المؤم‍ـر[4]

إذا عصفَتْ فيه الجنُوب اعتلى لها جناحا عقابٍ في السماء مهج‍ـر[5]

إذا ما انكفأ في هبوة الماء خلْتَه تَ‍ـلفّع في أثناء ب‍ـرد محب‍ـر[6]

وحولك ركابون للهول ع‍ـاقروا كُؤوس الردى من دارعين وحسر[7]

تميلُ المنايا حيثُ مالتْ أك‍ـفُهم إذا أصلتُ‍ـوا حد الحديد المذك‍ـر[8]

اذا رشقُوا بالنار لم يك رشقُهم ليقلع إلا عن ش‍ـواء مقتّ‍ـر[1]

---

1 . الميمون: اسم أطلقه ابن دينار على سفينته.

2 . تشوف:تطلع (لسان العرب مادة شوف). العطف: الجانب (نفسه مادة عطف). الهادي: العنق(نفسه مادة هدى). .

3 . العلاة: السندان (لسان العرب مادة علا)

4 . الاشتيام: رئيس الركاب (نفسه مادة شتم). السماط: الصف (نفسه مادة سمط)

5 . عصفت: اشتد هبوبها (لسان العرب مادة عصف).. العقاب: طائر جارح (نفسه مادة عقب). المهجر: الضارب في الهاجرة أي الحر الشديد(نفسه مادة هجر).

6 . انكفأ: مال(نفسه مادة كفا). هبوة الماء: ما ارتفع ودق من الماء(نفسه مادة هبا). أثناء: طياتاً ومطاويه (نفسه مادة ثنى). المحبر: الموشى(نفسه مادة حبر).

7 . الدارع: لابس الدرع(لسان العرب مادة درع). الحاسر: من لا درع عليه(نفسه مادة حسر).

8 . أصلت السيف: جرده من غمده(لسان العرب مادة صلت). الحديد المذكر: أجود أنواع الحديد(نفسه مادة ذكر).

صدمتَ بهم صهب العثانين دونُهم ضـراب كإيـقاد اللظى المتسعرِ[2]

يسـوقُون أسطُولاً كأن سفينـه سحائب صيف من جهامٍ وممطرِ[3]

كأن ضجيج البحر بين رماحهم إذا اختلفتْ ترجيع عود مجرجرِ[4]

تُقـارب مـن زحفيهـم فكأنمـا تُؤلفُ من أعنـاق وحش منَفرِ[5]

فمـا رمتَ حتى أجلَت الحرب عن مقـطّعـة فيهـم وهـامٍ مطَيرِ[6]

عـلى حين لا نَقْع يطوحه الصبـا ولا أرض تُلْفى للصريع المقطّـرِ[7]

وكنتَ ابن َكسرى قبـلَ ذاك وبعـده مليأً بأن تُوهي صفاةَ ابن قيصـرِ[8]

جـدحتَ لـه الموتَ الزعافَ فَعافَه وطار على أَلـواحِ شَطبٍ مسمرِ[9]

---

1 . يقلع: يزول(لسان العرب مادة قلع). الشواء المقتر: اللحم المحترق يتصاعد منه القتار(نفسه مادة قتر).

2 . صهب الحي: شقرها أي الروم(لسان العرب مادة صهب). المتسعر: الملتهب(نفسه مادة سعر).

3 . الجهام: السحاب لا ماء فيه(نفسه مادة جهم).

4 . اختلفت: تداخلت وتضاربت(لسان العرب مادة خلف). العود: المسن من الإبل(نفسه مادة عود). مجرجر: من جرجر البعير إذا ردد صوته في حنجرته(نفسه مادة جرر).

5 . منفر: جافل مفزع.

6 . رام: زال وفارق(نفسه مادة ريم). الطلي: الأعناق(نفسه مادة طلى). الهام: الرؤوس (نفسه مادة هوم)

7 . المقطر: المصروع المطروح على الأرض.

8 . ابن كسرى: يريد أن ابن دينار فارسي الأصل. الصفاة: الحجر الصلد الضخم(نفسه مادة صفا).

9 . جدح: خلط. (لسان العرب مادة جدح)ذعاف: القاتل (نفسه مادة ذعف). الشطب المسمر: الألواح المضروبة بالمسامير، يريد السفينة(نفسه مادة سكك).

مضى وهو مولى الريح يشكُر فضلها عليه ومن يولَ الصانعةَ يشكـُـرِ[1]

إذا المـَـوج لم يبلغه إدراك عينـِـه ثنى في انحدار ـالموج لحظةَ أخْزرِ[2]

تـَـعلـقَ بالأرض الكـبيرة بعدمـا تقنصه جري الـردى المتَمطـر[3]

ولعل الطبيعة الجغرافية للأندلس قد حتمت وجود أسطول بحري منيع لحماية شواطئها المترامية من الفرنجة والمشارقة.

وقد بدأت البحرية الأندلسية في الظهور في عهد الحكم الربقى واشتد ساعد الأسطول الأندلسي في عهد المرابطين، غير أنه مر بفترة خمول وضعف في فترة بني عباد حيث سيطر على البحر الروم دون العرب وآية ذلك أن المعتمد بن عباد أراد أن يستدعى الشاعر الصقلي مصعب بن محمد بن أبى الفرات القرشي من صقلية إلى بلاطه بالأندلس فلم يجرؤ على الإبحار خشية أسطول الروم وكتب للمعتمد قائلاً[4]:

لا تعجبن لرأسي كيف شاب أسى وأعجب لأسود عيني كيف لم يشب

1 . المولي: العبد(لسان لعرب مادة ولى).

2 . الأخزر: الضيق العين(لسان العرب مادة خرز).

3 . المتمطر: المسرع في عدوه(نفسه مادة مطر).

4 . المكتبة العربية الصقلية: ميشيل أمارى، ط ليبسك، ص 628.

البحر للروم لا يجرى السفين به إلا على غرر والبـر للعـرب[1]

وقد كتب شعراء المشارقة في الأسطول الأندلسي ووصفوا سفنه وأساطيله الحربية. وكان الشاعر مسلم بن الوليد هو أول من وصف السفينة الحربية وهى تخوض المعارك البحرية ومن ذلك قوله[2]:

كشَفـتُ أهاويلَ الدجى عن مهوله بـجارية محمولة حـاملٍ بـكر

لطمـتُ بخَديه، الحباب فأصبحت مـُوفقةَ الدايـات مرتومةَ النَحر

إذا أقبلـَت راعـت بقُنة قَرهبٍ وإن أدبـرت راقت بقادمتَي نَسر

تَجافـى بـها النوتي حتّى كأنما يسير من الإشفاق في جبلٍ وعر

تَجلج عن وجه الحبابِ كما انثنَت مخَبأةٌ من كسـر ستر إلى ستر

أطلت بمـ ـ ـجذافين يعتورانها وقـَومها كبح اللـجام من الدبر

فحامت قليـ ـلاً ثم مرت كأنها عـقاب تدلت من هواء على وكر

ثم يمضى فيصف البحار وحذقه في قيادة السفينة فيقول:

أنـافَ بهـاديها ومـ ـد زمامـَها شَديد علاج الكف معتَملُ الظهر

إذا ما عصت أرخى الجرير لرأسها فملكها عصيانَها وهي لا تدري

أما الشاعر ابن هانئ فقد وصف أسطول الفاطميين وهو يغزو ويحارب وهو يمخر عباب البحر ليبث الرعب والخوف مع مدحٍ للمعز فيقول[1]:

1 . غرر: هلال.

2 . ديوان مسلم بن الوليد ، ص 107 – 110.

لـك البر والبـحر العـظيم عبابه		فسـيان أغـمار تُخاض وبيد
أما والجواري المنشآت التي سرت		لـقد ظـاهرتْها عـدةٌ وعديد
قباب كما تُزجى القباب على المها		ولكن من ضمتْ عليه أُسـود
ولله مما لا يـرون كـــــتائب		مسـومةٌ تَحدو بها وجـنُود
وما راع ملْك الـروم إلاّ اطّلاعـها		تـُنـَشر أعـلام لها وبـنُود
عـليها غَـمام مـكْفهر صـَبيره		لـه بارقاتٌ جـمةٌ ورعـود
مـواخر في طامي العـباب كأنّـه		لـعزمك بأس أو لكفّك جـود
أنـافَتْ بها أعلامها وسـما لـها		بنـاء على غير العراء مشيد
إذا زفَـرتْ غَيظاً ترامتْ بمـارجٍ		كما شُب من نَار الجحيم وقُود
فـأنفاسهن الحـامياتُ صـواعقٌ		وأفـواههن الزافراتُ حـديد

والشاعر الأندلسي ابن دراج القسطلي كان قد وصف الأسطول البحري الأندلسي في قصيدة عموميتها كثيراً لذكر ممدوحه ووصف رحلته يقول فيها[2]:

لك الخَير قد أوفى بعهدك خَيران		وبشراك قد آواك عـــــز وسلطان
هو النجح لا يدعى إلى الصبح شاهد		هو النور لا يبغى على الشمس برهان
إليك شَحنا الفـُلك تَهوي كأنها		وقد ذُعرتْ عن مغْربِ الشمس غربان

1 الأدب الأندلسي: 487

2 . ديوان ابن دراج القسطلي: تحقيق الدكتور محمود مكي، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، 1961، ص 86.

على لُججٍ خُضرٍ إذا هبت الصبا   تــــرامى بنا فيها ثَبير وثَهلان

هــوائِلَ تَرعى في ذُراها موائِلاً   كــــما عبدتْ في الجاهلية أوثان

وفي طَي أسمال الغَريبِ غَرائِب   ســكن شَغافَ القلبِ شيب وولْدان

يرددن في الأحشاء حز مصائِبٍ   تــزيد ظَــلاماً ليلها وهي نيران

إذا غيض ماء البحرِ منها مددنَه   بِــدمع عــيونٍ يمتَريهن أَشْجان

وإن سكَنَتْ عنا الرياح جرى بنا   زفــــير إلــى ذكْــر الأحــبة حنان

يقُلْن وموج البحرِ والهم والدجى   تــــموج بــنا فيها عيون وآذان

ألا هلْ إلــى الدنيا معاد وهلْ لنا   سوى البحرِ قبر أو سوى الماء أكْفان

وهبنا رأينا معلَم الأرض هلْ لنا   من الأرضِ مأْوى أو من الإنس عرفان

ظــعائِن عمران المعاهد مقفر   بِــهن وقَــفْر الأرضِ منهن عمران

هــوتْ أمهم ماذا هوتْ بِرحالِهم   إلــى نــازحِ الآفــاق سفْن وأَظْعان

كــواكب إلّا أن أفلاك سيرها   زمــــام ورحــلٌ أو شراع وسكان

كما جاء وصفه للأسطول الحربي في قصيدة أخرى يمدح فيها المنصور بن أبى عامر ويصف أسطوله الذي يشن حرباً على يزيد بن عطية قائلاً[1]:

تحملَ منه البحر بحراً من القَنَا   يــروع بِها أمواجه ويهــولُ

1. ديوان ابن دراج: ص 3 – 9.

بـــــكل معالاة الشراع كأنها ... وقـد حملتْ أُسد الحقائق غيـلُ

إذا سابقتْ شأو الريـاح تخيلتْ ... خـيولاً مـدى فُرسانهن خيُـولُ

سحائب تزجيها الرياح فإن وفَتْ ... أَنـافتْ بأجـياد النـعام فيُـولُ

ظـباء سمامٍ مـا لهن مفاحص ... وزرقُ حـمامٍ مـا لـهن هديـلُ

سـواكن في أوطانهن كأن سما ... بـها الموج حيثُ الراسياتُ تزولُ

كما رفع الآلُ الهوادج بالضحى ... غـداةَ استقلتْ بالخـليط حـمولُ

أراقـم تَفْري ناقع السم ما لها ... بـما حملت دون الغـواة مقيـلُ

إذا نفثتْ في زور زيري حماتَها ... فـويلٌ لـه من نكرها وأليـل[1]

وهذا هو الشاعر ابن الحداد يصف لنا سفينة حربية في الأسطول الأندلسي وهى تخوض غمار الحرب تهاجم الأعداء، وتقذف بالحمم تدور وتحاور وتناور (واصفاً حركتها) فيقول[2]:

هام صرفُ الردى بهامِ الأعادي ... أن سمتْ نحوهم لها أجيـاد

وتـراءتْ بشراعها كـعيونٍ ... دأبها مثلُ خائفيها سهـاد

ذاتُ هـدبٍ من المجاديف حاك ... هدب بـاك لدمعه إسعـاد

حمم فـوقها من البيـض نـار ... كـل من أرسلتْ عليه رمـاد

ومـن الخـط في يدي كل ذمر ... ألـفٌ خطها على البحر صـاد

1. زيرى: هو زيري بن عطية منشئ دولة بن زيري.

2. نفح الطيب، 5: 198.

أما الشاعر أبو الحسن عبد الملك بن عياش القرطبي فيجسد بسالة أسطول الموحدين عندما عبر الأمير أبو محمد عبد المؤمن بن علي سلطان الموحدين من الشاطئ الأفريقي إلى الشاطئ الأندلسي في قصيدة يقول فيها[1]:

حدث عن الروم أقطار أندلـسٍ ... والبحر قد ملأ العـ ين بالعـرب

من كل من يترك ا يجاء حلك ... رٍ إذا اخضرت الغ أُ بالعشبِ

مقلب بـ مشتـ ـاة وهاجـ ـرة يرمى م نقلب السيف بـ ا اء واللـهب

ظهر طـرف بطن سا ة وتع ا اء ... فال شغلٍ والبحر صخب

منهم نـار عاديـة وطود طارق قد ... يصلى ا عابد الأوثان والصلبِ

حـل الإمـام بـه لو يعرف الطود ما ... كالطور كان وسى أ ن الرتـبِ

غشاه من كرم ولو تيقن بأسـاً حـ ـل ... يبسط الفوز الكف للسحـب

ذروتـ ـه منه يعاود هـذا الفتـ ـح ثانيـ ـةً .. ... لعاد كالعهن من خوف ومن رهب

ملك إذا ما دعته ا رب من بعد ... أصناف ما حدثوا سالف ا قب

ما بـ ضرة الأقطـار نازحـة ... طار السف أمام ا حفلِ اللّجب

ولم يفت الشاعر الوشاح لسان الدين بن الخطيب وصف الأسطول الحربي الأندلسي ومعاركه الضارية التي كان يخوضها، وذلك في قصيدته التي مدح فيها الأمير أبا عبد ا إبراهيم بن نصر، إذ قال في سفن الأسطول الأندلسي[2]:

واستَقْبلَتْكَ السـ ـابِحاتُ مواخرا ... تَهوِي إلى ما تَبتَغي وتُؤَمِـ ـ ـلُ

---

1. تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن هلم أئمة وجعلهم وراثين السفر الأول، لعبد الملك بن صاحب الصلاة، تحقيق الهادي النازي، بيروت.ص:132

2. نفاضة الجراب من غلالة الاغتراب: للسان الدين بن الخطيب، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 287 – 297.

تُبدي جوانبها العبوس وإن تكُن ... بالنصر منْك وجوهها تتَهـــالُ

هن الجواري المنْشآتُ وقد غدتْ ... تَخْتَالُ في برد الشبابِ وترفُـــلُ

من كُل طـــائِرة كأن جناحها ... وهو الشراع به القَراخُ تُظـــالُ

جوفاء يـحملُها ومن حملتْ به ... من يعلم الأنْثى وما هي تَحمـــلُ

أطلعن صـبحاً من جبينَك مسفراً ... يجلو الظلام وهن ليلٌ أليــــلُ

وطلعن منْـك على البلاد بطارق ... لِلفتْح والنصر الذي يستَقْبـــلُ

وبقيةٌ من قـــوم عاد أهلكُوا ... ببقية الريح العقيم وجـــُدلُوا

بالباطل البـحت الصراح تعززوا ... فالآن لِلحق المبين تـــذَلَلُوا

كذلك وصف شعراء الأندلس سفن الأسطول الأندلسي، مثل المراكب الحمالة وهى سفن ضخمة معدة لحمل الأسلحة، ومخصصة لحمل الخيل، والحراريق والشواني (من مطايا البحر)، يقول القاضي أبو عبد ا محمد بن يحيى بن غالب في وصف الشواني[1]:

بعثن لتأمين البحـور جنودهـا ... بها أمنت كالبر منهـا بحـورها

شوانى تحكيها انقضاضاً شواهـن ... وإن صرصرت يوماً حكاها صريرها

وإن قيل غربان فمن أجـل أنهـا ... نواعب أرواح العـد إذْ تُعيرهـا

1 الأدب الأندلسي: 480

وإن قيل عقْبان فغير حقيقـــة وإلا على التحقيق فهي وكورهـا

تخطف إذْ تنقض كالنجم يرتجـى بغاثَ العدى عقْبانُها وصقورهـا

تجانبهـا أجناحهـا شبهـاً كمـا نواظرها زرق العيـون وحـورها

لهـا صفحات الماء مثل صحائـف وتلك الجواري المنشآت سطورهـا

ويصور أحمد بن محمد بن الآبار – من شعراء المعتضد بن عباد – صورة الشواني ويصفها باسم الغربان مستنكراً سوادها وطلاء القار عليها، وذلك بسبب أنها جواد أدهم أصيل، إذ إن القار طلاء للأجرب من الحيوان. يقول بن الآبار[1]:

يـا حبذا من بنات الماء سابحةٌ تـطفو لِما شب أهل النار تطفئُه

تُطيرها الريح غرباناً بأجنحة الـ حـمائم البيض للإشْراك تَرزؤُه

مـن كلّ أدهم لا يلفى به جرب فـَما لـ ـراكبه بالـقار يهنؤه

يـدعى غُراباً وللفتخاء سرعتُه وهو ابن ماء وللشاهين جؤْجؤُه

كما وصف أبو عمر بن حربون الشاعر سفينة من نوع "الغراب" فقال[2]:

يا من رأى الفُلْك فوق الموج طافيةً كما كفأتَ قباباً وسطها العمـد

ينساب منهن في أعلى غواربـه أساور سكنت أجوافها أســد

بحر كأن أبا حفص بصهوتـه لقمان والمركب الجارى به لُبـد

1 نفح الطيب: 5: 200

2. المن بالامامة: 254.

تعجبوا من غرابٍ فوق غاربـه **ثهلان ذو الهضبات الشم أو أحد**

وعاين البحر منه فـوق لجتـه **بحراً خضماً له من فضة زبـد**

فالآن قلْ لـذوى الإلحـاد شأنكـم **فما لكم دون هذا الأمـر ملتحد**

وقد أجاد ابن حمديس – من أشهر شعراء الوصف في الأندلس – في وصف سفينة حربية) دقة في التصوير وبراعة في التشبيه، لتبعث الرعب والفزع في قلوب الأعداء فيقول[1]:

رأَوا حـ ـربيةً تَرمي بنفط **لإخـماد النفوس له استعار**

كأن المعملَ في الأنبوب منه **إلـى شَي الوجوه له ابتدار**

كأن منـ ـافس البركان فيها **لأهـوال الجحيم بها اعتبار**

نحـ ـاس ينبري منه شُواظٌ **لأرواح العـلوج بـه بوار**

وكذلك يصور ابن حمديس "لحربية" أخرى في معركة بحرية ضارية بقوله[2]:

وحربية تـرمي بمحرقِ نفْطها **فيغْشى سعوطُ الموت فيها المعاطسا**

تراهن في حمرِ اللّبود وصفْرها **كمثل بنـات الزنج زفّـتْ عـَرائسا**

إذا عثّنَتْ فيـها التنانير خلتَها **تُفَـتح للبـركان عنـ ـها منـافسا**

وكما وصف الشعراء الأندلسيون البحر وسفنه المختلفة خاصة الحربية منها وأساطيله البحرية، وكذلك عمدوا إلى وصف المهرجانات التي كانت تقام لاستعراض

1. ديوان بن حمديس: 239.

2) نفسه: 276.

حركة السفن من خلال الكر والفر ذاكرين في أثناء هذا الوصف السفن التي على صفحة الماء وكأنها كأنه فوق سراب،ووصف ملاحي هذه السفن وجنودها، مشبهين إياهم بالأسود وغير ذلك من التشبيهات يقول ابن اللبانة في وصف مهرجان[1]:

بشـرى بيـوم المهرجـان فإنـه　　　يـوم عليـه من احتفائك رونقُ

طـارت بنـات الماء فيه وريشها　　　ريش الغراب وغيـر ذلك شوذقُ[2]

وعلـى الخليج كتيبة جـــرارة　　　مثـل الخليـج كلاهمـا يتدفـق

وبنو الحروب على الجواري التي　　　تـجري كما تجري الجياد السبق

مـــلأ الكماة ظهورها وبطونها　　　فـأتت كما يأتي السحاب المغدق

خــاضت غدير الماء سابحة به　　　فـكأنما هي في سـراب أينُقُ

عــجباً لها ما خلت قبل عيانها　　　أن يحمل الأسد الضواري زورق

هـــــزت مجاذيفاً اليك كأنها　　　أهـــداب عين للـرقيب تحدق

وكــــــأنها أقلام كاتب دولة　　　في عرض قرطاس تخط وتمشق

والملاحظ في الأبيات براعة الشاعر ودقة وصفه في للعديد من التشبيهات كتشبيه المجاديف تارة بأهداب العين، وتارة أخرى بأقلام وصفحة الماء قرطاس.

1. المعجب في تلخيص أخبار المغرب: لعبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة 1947م، ص: 153.
2. الشوذق والشودق بالذال أو الدال،هو السوار ويقال الصقر (لسان العرب ماد شذق).

ومما قيل في المهرجان أيضاً قصيدة علي بن محمد الأيادي والتي ذكر فيها الأسطول "أي السفينة" وقد حفتها الأمواج، كما عنى بالبحارة وملابسهم وسرعة حركتهم وخفتها، فيقول[1]:

اعجـــب لأسطول الإمام محمد ولحسنه وزمانه المستغـــرب

لبســت به الأمواج أحسن منظر يبدو لعين الناظر المتعجـــبِ

مــن كل مشرفة على ما قابلت إشراف صدر الأجدل المتنصـبِ

دهمـــاء قد لبست ثياب تصنع تَسبي العقولَ على ثياب ترهـبِ

مـن كل أبيض في الهـواء منشر منها وأسحم في الخليج مغيَّـبِ

كمـــلاءة في البر يقطع شدها في البحر أنفاس الرياح الشـذب

محفوفـــة بمجاذف مصفوفة في جانبين دوين صلبٍ صلّـبِ

1. نفح الطيب: 5: 199.

كقَـوادم النسر المرفرف عريتْ   من كاسيات رياشه المتهـــدبِ

تَحتثهــا أيدي الرجال إذا ونَتْ   بمصعد منه بعيد مصــــوبِ

خرقـــاء تذهب إن يد لم تهدها   في كل أوبٍ للرياح ومذْهــــبِ

جوفـــاء تحمل موكباً في جوفها   يوم الرهان وتستقلّ بموكــبِ

ولهــــا جناح يستعار يطيرها   طوع الرياح وراحة المتطــرب

يعلـــو بها حدب العباب مطارةً   في كل لج زاخرٍ مغْلولــــب

تسمـــو بأجرد في الهواء متوجٍ   عريان منسوج الذؤابة شَـوذَبِ

يتنزل المـــــلاّح منه ذؤابةً   لو رام يركبها القطَا لم يركــب

فكأنمــــــا رام استراقَةَ مقْعد   للسمع إلا أنه لم يشْهـــــــبِ

وكأنمــــــا جن ابن داود هم   ركبوا جوانبها بأعنَف مركــــب

سجـروا جواحم نارها فتقاذفوا   منها بألسن مارج متلهـــــبِ

من كلّ مسجورِ الحريق إذا انبرى　　　من سجنه انْصلتَ انصلاتَ الكوكبِ

عـــــريان يقدمه الدخان كأنه　　　صبح يكر على الظلام الغَيهــبِ

ولواحـــــــق مثل الأهلّة جنَح　　　لحق المطالب فائتات المهــربِ

يذهبــــــن فيما بينهن لطافةً　　　ويجئن فعل الطائر المتغلـــبِ

كنضائــض الحيات رحن لواعباً　　　حتى يقعن ببرك ماء الميـــزب

شرعــوا جوانبها مجادفَ أتعبتْ　　　شأْو الرياح لها ولما تَتْعـــــبِ

تنصــاع من كَثَبٍ كما نفر القطا　　　طوراً، وتجتمع اجتماع الربــربِ

والبحـــــر يجمع بينها فكأنه　　　ليلٌ يقرب عقرباً من عقْـــــرب

وعلــى كواكبها أُسود خلافـة　　　تختالُ في عدد السلاح المذْهــب

فكأنمـــا البحر استعار بزيهم　　　ثوب الجمال من الربيع المعجــب

وأما لسان الدين بن الخطيب فقد أبدع في تصويره لملاحٍ في أسطول في قوله[1]:

وبحري تَلاعب في شَريط　　　وجيء الفعل متّصلَ الصمـوت

1. تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس: للدكتور أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت 1969 ، ص: 321.

تَدلّى وارتَقى وسما وأهوى فأعجب في التّماسك والثبــوت

فقُلنا إن يكُن بشَراً ســوياً فَفيــه غَريزةٌ من عنكبـــوت

والملاحظ في شعر البحرية الأندلسية ووصف الأساطيل أنه كان من خلال قصيدة المديح ومن ثم عمد إلى وصف السفينة التي ركبها الممدوح، ووصف مطايا البحر الأخرى الخاصة بالحرب، وإلى وصف البحر الذي عبره بأمواجه وزبده ولججه.

الفَصلُ الثالث

التشبيه بالبحـــــر

المبحث الأول: وصف السفينة وتشبيه الظعن بالسفن

إن أغراض الشعر الجاهلي وموضوعاته كثيرة ،منها الوصف، وقد تضمن الوصف الأتي:

1/ وصف الأطلال، بما فيه من الوقوف على هذه الأطلال والنسيب بالحبيبة.

2/ وصف الرحلة أو المطية من ناقة أو فرس.

3/ وصف الطبيعة من صحراء، أو أودية، أو مطر، أو رياح أو نهر، وأشهر الوصافين في الجاهلية امرؤ القيس[1]، وأصاب ابن رشيق لما قال[2]: (الشعر إلا أقله راجع إلى الوصف ولا سبيل إلى حصره واستقصائه وهو مناسب للتشبيه ومشتمل عليه وليس به ولكنه كثيراً ما يأتي في أضعافه)[3].

والوصف[4] باب من الشعر قلما نجد شاعراً لا يحسن منه شيئاً أو أشياء. . وقد كان الشاعر منهم لا يتعاطي إلى ما يحسن من ذلك ضرورة، بل يشارك في أوصاف كثيرة، ولكنه ينفرد بالشهرة في بعضها من جهة العلم لا من جهة الصناعة، وبدلالة الفطرة القوية

1 . تاريخ الأدب العربي: د . عمر فروخ: ج1 . ط 7، دار العلم للملايين.

2 . العمدة لابن رشيق: ج2: 287

3 . في أضعافه أي في أثنائه(لسان العرب مادة ضعف)

4 . تاريخ الأدب العربي: مصطفي صادق الرافعي: ج3: ط2، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان: ص:121

والطبيعة، بل إن الفرزدق سجد مرة عندما سمع رجلاً ينشد بيتاً للبيد في الوصف يقول فيه[1]:

وجلا السيولُ عن الطلول كأنها زبر تُجِد متونَها أقـــلامها

ولعل الشاعر العربي قد اعتمد في وصفه للبحر على موضوعات عديدة نذكرها تفصيلا إن شاء ا من هذه الموضوعات:

وصف السفينة وتشبيه الظعن المرتحلة في الصحراء بالسفن العظام التي تسير في البحر، ويشترك في هذا الأمر شعراء القبائل التي كانت تنزل بالمنطقة التي كانت تعرف عند القدماء بالبحرين[2]، أما الشعراء الذين كانوا يقيمون في نجد والحجاز فيختلفون في ذلك، منهم من أوجز، ومنهم من أطال وفصل.

ومن الشعراء الجاهليين الذين نهلوا من هذا الباب في الوصف عبيد بن الأبرص[3] إذ يقول[4]:

تأمل خَليلي هل تَرى من ظَعائِنٍ يمانيــَة قَد تَغتَـدي وتَروح

كَعومِ السفينِ في غَوارِبِ لُـجة تُكَفِئُها في ماء دجلةَ ريــــح[5]

---

1 . تاريخ الأدب العربي: مصطفي صادق الرافعي: ص: 121- 123

2 . وهي المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية والتي تمتد من البصرة إلى عمان

3 . هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن سهيل بن مالك بن دودان بن أسد كان شاعراً جاهلياً قديماً ،من المعمرين وينتهي نسبه إلي مضر بن نزار بن معد بن عدنان.(الشعر والشعراء:148)

4 . ديوان عبيد بن الأبرص: تحقيق الدكتور حسين نصار: طبع مكتبة مصطفي البابا الحلبي 1957م، ومختار الشعر الجاهلي: شرحه وحققه وضبطه محمد سيد كيلاني المكتبة الشعبية.ج2:ص: 24

5 . الغوارب:أعالي الموج شُبه بغوارب الإبل(لسان العرب مادة غذا) . اللجة: معظم الماء(نفسه مادة لجج).

جوانبها تَغشى المتالِفَ أَشـرفَت   عليهن صهب من يهود جنـوح

1

في تشبيهه للظعن التي ترتحل في الصحراء وهي تغدو وتروح في تمايل، بالسفن التي تعوم في لجة البحر وهي تتمايل وسط نهر دجلة . ثم وصف ملاحي هذه السفن.

وقال أيضا[2]:

تَبصر صاحبي أَترى حمولاً   تُساقُ كـأَنها عوم السفين

وذلك في التمايل والتأرجح يمنة ويسرة.

ووصف طرفة ابن العبد لظعن صاحبته المالكية ذائع مشهور، وهو قوله[3]:

كأن حدوج المالِكيـ ـَة غُـدوةً   خَلايا سفينٍ بِالنَواصف من دد[4]

عدوليةٌ أَو من سفين ابن يامنٍ   يجور بِها الملّاح طَوراً ويهتَدي[5]

يشُق حباب الماء حيزومها بِها   كما قـَسم التُرب المفايِلُ بِاليد[6]

---

1 . المتالف: مواضع التلف والهلع(لسان العرب مادة تلف) .الصهب: شقر الشعر، وهذه صفة للملاحين(نفسه مادة صهب). جنوح: جمع جانح وأراد موائل(نفسه مادة جنح)

2 . ديوان عبيد بن الأبرص: ص 122.

3 . ديوان طرفة ابن العبد: شرح الشنتمري – تحقيق درية الخطيب واطفي الصقال مطبعة دار الكتب – شرح المعلقات العشر: ص: 42،ديوانه:23

4 . الحدوج: جمع حدج، وهو مراكب النساء(لسان العرب مادة حدج) . الخلايا جمع خلية وهي السفينة العظيمة(نفسه مادة خلا). النواصف: أماكن بين الغلظ واللين ـ الأماكن الواسعة ـ (نفسه مادة نصف) . دد:موضع (نفسه مادة ددا)

5 . عدولية: سفن منسوبة إلى عدولي وهي قرية بالبحرين(لسان العرب مادة عدل). ابن يامن: رجل من تلك القبيلة.. يجور: يميل عن الطريق الصحيح(نفسه مادة جور)

6 . حباب الماء: معظمه(لسان العرب مادة حبب) . حيزومها: صدرها(لسان العرب مادة حزم) . المفايل لعبة لصبيان الأعراب بالتراب يخبؤون الشئ في في التراب ثم يقسمونه قسمين ثم يقول الخابئ لصاحبه:في أي القسمين هو؟فإذا أخطأ قال له:فال رأيك (لسان العرب مادة فيل)

ليصف لنا حدوج المالكية (وقد جاء في لسان العرب أن المالكية منسوبة إلى مالك بن سعد بن ضبيعة) وهي في رحلتها وكأنها السفن التي تقطع الوديان يقودها ملاح يضل تارة ويهتدي تارة، ويجور يمنة ويسرة، وهو يشق الماء بصدر السفينة.وقد استأثره صدر السفينة (جؤجؤها) ـ وهو يشق الماء ـ شأنه في ذلك شأن الشعراء الجاهليين، وذلك عندما يصف صدر السفينة ويشبهه وهو يشق الماء كما يشق لاعب الفال كومة الرمل نصفين بقوله:[1]

يشُق حباب الماء حيزومها بها   كما قسم التُرب المفايلُ باليد

ويتضح من ذلك أن راكب البحر يخاف أن يضل فيهلك، وكذلك راكب الصحراء، كما نجد ذكر البحر عنده مكرراً في أبياته، بل وفي نفس القصيدة كمعلقته المشهورة.

والصورة التي رسمها لنا طرفة بن العبد صادقة تنم عن تجربة عاشها الشاعر نفسه، بل هو لم يكتف بتصويرها وهي تتمايل بين يدي الملاح تضل وتهتدي ، ولكنه أعطانا نوعها أيضاً، فهي إما عدولية أو من سفن ابن يامن.

وهذا التشخيص الدقيق والوصف يدلان على أن صاحبه رجل ليس جاهلاً بالبحر وبما فيه، ولعل عيشته بالبحرين[2] (حيث كان مولده) وتنقله في البلاد ما بين اليمامة واليمن والحبشة[3] يؤكدان ما قلناه.

1 . ديوان طرفة بن العبد: ص: 23، الشعر والشعراء: 98

2 . ديوان طرفة: ص:9

3 . نفسه : ص 11.

ثم يشبه طرفة ناقته بسكان السفينة، ويذكر نهر دجلة في قوله[1]:

وأتلع نَهاض إذا صعدت به　　　كسكّان بوصي بدجلةَ مصعد [2]

فيقول عن ناقته إنها ذات عنق طويل تصعد به كسكان سفينة في نهر دجلة. بل ويذكر نوعاً معيناً من السفن في نهر دجلة، ويوضح دور الدفة في توجيه حركة السفينة ودور العنق في نهوض الناقة بالأثقال، إذ النهوض بالأثقال مما يقتضي أن تكون الرقبة فيه طويلة.

وممن شبه الناقة بالسفينة وأبدع في وصف السفينة المثقب العبدي[3] في قصيدته التي مطلعها:

أ َفاطم قَبلَ بينك متعيني　　　ومنعك ما سألتُك أَن تَبيني

ثُم يقول[4]:

وهن كذاك حين قَطَعن فَلجاً　　　كأن حدوجهن على سفين

يشَبهن السفين وهن بختٌ　　　عراضاتُ الأباهر والشُؤون

كأن الكـور والأنساع منها　　　على قَرواء ماهرة دهيـن [5]

1 . نفسه : 56 ، شرح المعلقات العشر: ص:42

2 . الأتلع: الطويل العنق الممتد(لسان العرب مادة تلع)،... السكان: ذنب السفينة(نفسه مدة سكن). البوصي: ضرب من السفن فارسي معرب (لسان الغرب مادة بوص) . مصعد: مواصلة السير إلى الأمام من صعد أي ارتقى (نفسه مادة صعد)

3 . المثقب هو عائذ بن محصن بن ثعلبة وهو شاعر جاهلي قديم من الفحول(الشعر والشعراء:235)

4 . المفضليات: مفضلية:76 البيت 32 -33 ص: 251

5 . الكور: الرحل (لسان العرب مادة كور). قرواء سفينة طويلة القرا(أي الظهر)(نفسه مادة قرا) . ماهرة: سابحة(نفسه مادة مهر) . دهين: مدهونة(نفسه مادة دهن)

يشُق الماء جؤجؤُها وتَعلو غَوارب كُل ذي حدبٍ بطينِ [1]

فيشبه الناقة في سيرها بالسفينة في حالة هيجان البحر، لما في ذلك من دليل على قوة سيرها . كما يثيره أيضاً منظر صدر السفينة وهو يشق طريق الأمواج المتلاطمة، ويذكر كذلك في الأبيات خشبها وحبالها ودهنها الذي يدهن به ظهره.

أما وصفه (أي المثقب العبدي) للسفن وتشبيهه للظعن بالسفينة فهو أكثر دقةً وأروع تصويراً ، لما في ذلك من بيانٍ لوجه الشبه .

كذلك شبه المرقش الأكبر[2] الظعن بالسفينة في قوله[3]:

لِمن الظعن بالضحى طافيات شبهها الدوم أو خَلايا سفينِ [4]

الدوم: شجر ضخم – أو اسم حصن، أو شجر الدوم المعروف.

وخلاصة مراده هو الوصف بالفخامة والضخامة ،فهي (أي السفن) تشبه في حجمها إما أشجار الدوم الضخمة أو تلك السفن العظيمة.

أما امرؤ القيس فقد ألم بهذا النوع من التشبيه إلماماً سريعاً في قوله[5]:

بِعينَي ظَعن الحي لما تَحملوا لدى جانبِ الأَفلاجِ من جنبِ تَيمرى [6]

---

1 . جؤجؤها: صدرها(نفسه مادة جأجأ)..بطين: البعيد الواسع(نفسه مادة بطن)

2 . هو عمر بن سعد بن مالك بن ضبيعة وهو من فرسان العرب، شاعر جاهلي.(الشعر والشعراء 112)

3 . المفضليات: مفضلية 48: 1

4 . الظعن: الإبل بهوادج النساء (نفسه مادة ظعن).طافيات: عاليات(نفسه مادة طفى) . الدوم: شجر الدوم.المقل أو ضخام الشجر(نفسه مادة دوم))

5 . ديوانه: 91.

6 . بعيني: أي كان ظعنهم بمرأى من العين حين ارتحلوا ..الأفلاج: جمع فلج وهو النهر الصغير(لسان العرب مادة فلت) . الأفلاج وتيمرا موضعان بالشام. بالشام.

فَشَبهتَهم في الآل لما تَكمشوا حـــــدائِقَ دوم أو سفيناً مقَيرا [1]

وهو في هذه الأبيات، فضلاً عن تشبيهه للظعن بالسفينة، وصف سفينته التي تعد نوعاً جديداً من أنواع السفن في ذلك الوقت، فهي قد طليت بالقار لتزداد قوة تجاه ملوحة البحر وأمواجه لأن السفينة لابد أن تكون مقيرة .

وزهير بن أبي سلمي[2] يشبه الظعن بالسفينة في قوله[3]:

يغشى الحداةُ بهم وعثَ الكثيبِ كما يغشي السفائِن موج اللُجة العرك [4]

حيث شبه في روعة ودقة تصوير حمل الحداة الإبل علي صعب الرمال باقتحام النواتية لجة البحر بالسفن، بل ويصف سفينة كبيرة يطلق عليها اسم القوادس فيقول:

عوم القوادس قفّى الأردمون بها إذا ترامى بها المغاوِلب الزبِد [5]

والقوادس: السفن،فهو يصف السفينة ويصف كذلك ملاحي هذه السفن العائمة بأنهم حاذقون في وسط هذا الزبد أو في لجة البحر المتلاطم.

وشبه كذلك زهير الإبل وما عليها من الهوادج والمتاع بالسفينة المحملة فقال[6]:

عوم السفين فلما حالَ دونَهم فند القُريات فالعتكان فالكرم [1]

---

1 . تكمشوا: أسرعوا(لسان العرب مادة كمش).

2 . هو زهير ربيعة بن رياح، ينتهي نسبه إلي مضر وهو احد الشعراء الثلاثة المقدمين علي سائر الشعراء وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة(الشعر والشعراء:61.

3 . مختار الشعر الجاهلي: ج1: ص 2510-. شعر زهير بن أبي سلمي: صنعة الأعلم الشنتمري-دار الكتب العلمية بيروت لبنان . ص: 80

4 . الوعث: اللين(لسان العرب مادة وعث) . والعرك: نعت للموج يعني المتلاطم (نفسه مادة عرك)

5 . الأردمون: جمع أردم وهو الملاح الحاذق(نفسه مادة ردم) .، شعر زهير:280

6 . شعر زهير: 102

وقال أيضاً[2]:

كأن بِغُلَّانِ الرسيسِ وعاقلٍ ذُرى النَخل تَسمو والسفين المقيرا [3]

وجاء ذكر الملاح بلفظ النوتي عند زهير في قوله[4]:

يقطعن أميالَ أجوازِ الفَلاة كما يغشى النَواتي غمار اللُج بالسفُنِ

أما بشر بن أبي خازم[5] فيشبه الظعن بالسفينة ويصف السفينة بقوله[6]:

فكأن ظُعنَهم غَداةَ تَحملوا سفُن تَكَفأُ في خَليجٍ مغربِ [7]

وكذلك وصفها في قصيدته السالفة الذكر والتي يقول فيها[8]:

أُجـالِد صفهم ولقَد أَراني على قَـرواء تَسجد لِلرياح [9]

إِذا ركبت بِصاحبها خَليجاً تَذَكر ما لَـديه من جناح [10]

ونَحن على جوانبِها قُعود نَغُض الطَرفَ كالإِبِلِ القماح

---

1 . القريات والعتكان والكرم: مواضع

2 . شعر زهير: 239

3 . الرسيس وعاقل واديان بنجد أو موضعان أوماءان (لسان العرب مادة رسس) ..

4 . ديوان زهير بن أبي سلمي: 280

5 . هو بشر بن أبي خازم عمرو الأسدي أبو نوفل، شاعر جاهلي . فحل من الشجعان. من أهل نجد.(الشعر والشعراء:150

6 . ديوانه:تحقيق الدكتورة عزه حسن. مطبعة دمشق 1960م: ص: 35

7 . . المغرب: المملوء(لسان العرب مادة إذا).

8 . ديوانه: ص:44

9 . الزوراء: السفينة المهيأة للأسفار.(لسان العرب مادة زور)

10 . الجناح: الإثم(نفسه كادة جنح).

ففي الأبيات دليل علي أنه ركب السفينة مسافرا ، ووصف الرياح التي كانت تعترضها ، ووصف حالهم ،وهم يقعدون على جوانبها وقد تملكهم الخوف والفزع كما نجد عنده صورة متطورة، لسفينة واسعة، ألواحها مطلية بالقار ومشدودة بقوه بمسامير، ركب فيها بشر متاجراً فقال[1]:

معبدة السقائف ذات دسر مضبرة جوانبها رداح [2]

ذاكراً إحكام صنعة السفينة حيث تربط وتشد جوانبها وتشد الألواح بالمسامير حتي تكون قوية، وهي تماثل جسد الناقة التي يضمرها شدة السير حتى تكون قوية. كما يصف جوانب السفينة الواسعة معبدة السقائف ثم يذكر صدرها في قوله[3]:

فَطابت ريحهن وهن جون جآجِئُهن في لُججٍ ملاح [4]

ونجد هذا النوع من التشبيه عند أبي داؤد الإيادي[5]واصفاً سيرها في قوله[6]:

هل تَرى من ظَعائِنٍ باكرات كالعدولي سيرهن انقحام

ويبدو أن السفينة العدولية قد استأثرت باهتمام الشعراء لذاك تكرر ذكرها في أشعارهم حتى أنها عند عمرو بن قميئة[1] قد أطلقت علي الملاح بقوله [2]:

---

1 . ديوان بشر بن أبي خازم:47

2 . الدسر جمع مفردها دسار: وهو المسمار، قال الفراء: الدسر مسامير السفينة التي تشد بها (لسان العرب:مادة دسر)..مضبرة:مجتمعة (نفسه مادة ضبر). سقائف:جمع سقيفة:وهي لوح السفينة.((نفسه مادة سقف)

3 . نفسه : 47.

4 . الجون: السود (لسان لعرب مادة جون).

5 . هو جارية بن الحجاج. وقال الأصمعي هو حنظلة بن الشرقي، وهو أحد نعات الخيل المجيدين، شاعر جاهلي (الشعر والشعر: 129)

6 . الأصمعيات:186

هل تَرى عيرها تُجيز سراعاً   كالعدولي رائحاً من أُوال

والملاحظ أن هؤلاء الشعراء منهم من شبه الظعن في حركتها وسرعتها بالسفن، ومنهم من شبهها وهي تتجشم الأخطار والقفار بالسفن التي تسير في بحر هائج مضطرب، ومنهم من شبهها في شكلها بهيكل السفن ، ومنهم من وصف السفن والملاحين في حذقهم لمواجهة أخطار أمواج البحر. بل وذكروا أنواع السفن من سفن ابن يامن والعدولية كما هو الحال عند طرفه وعمرو بن قميئة. ومن أنواع السفن أيضا القوادس (زهير بن أبي سلمي).

ويذكر لنا النابغة[3] نوعاً آخر من أنواع السفن بقوله[4]:

له بحر يقمص بالعـَدولي   وبالخُلُج المحملة الثقال [5]

مضر بالقُصور يذود عنها   قَراقير النَبيط إلى التلال [6]

1 . هو عمرو بن قميئة بن ذريخ بن سعد بن مالك الثعلبي البكري الوائلي النزاري ،شاعر جاهلي مقدم ،نشأ يتيما أقام في الحيرة مدة وصحب حجراً والد امرئ ـ ـ القيس (الشعر والشعراء:223)

2 . ديوانه:ص:60

3 . هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن ذبيان .ينتهي نسبه إلى مضر، يكنى أبا أمامة ولقب بالنابغة لقوله (نبغت لنا منهم شئون). (مختار الشعر الجاهلي:143).

4 . مختار الشعر الجاهلي:154

5 . يقمص:يحرك كبار السفن(لسان العرب مادة قمط) . الخلج:جمع خليج

6 . مضر: دان بها ولاصق أي البحر(لسان العرب مادة ضرر).قراقير:السفن الطويلة مفردها قرقور وهو ضرب من السفن، وقيل السفينة العظيمة الطويلة (نفسه مادة قرر) وقد جاء ذكرها عند مليح بن الحكم بقوله: وزالت بهم صهب سباط كأنها قراقير في ذي لجة تتعمج (شرح أشعار الهذليين:132).النبيط:جيل من الناس

علي أن هذه الصورة عند النابغة تؤكد أن للعرب سفناً ليست بالقليلة، بل هي قادرة علي حمل الأثقال، وهو ممن شبه الظعن بالسفن، وصور سفن الشحر باليمن وهي من المناطق التي اشتهرت بصناعة السفن وذاع صيتها خاصة، وتقع علي الساحل الغربي من جهة البحر الأحمر فيقول[1]:

كأن الظُعن حين طفَون ظُهراً   سفين البحرِ يممن القَراحا [2]

كما نجد عند الشعراء الجاهليين ذكراً لأنواع أخري من السفن لها مواصفاتها الخاصة ،تدل علي معرفتهم الدقيقة لهذه السفن، فهي عند لبيد بن أبي ربيعة العامري طويلة سقائفها مشدودة بالليف[3] ومدهونة بالدهن سهر عليها صانعها، وهو من أصل هندي فيقول[4]:

كسفينَة الهندي طابقَ درءها   بِسقائِف مشبوحة ودهانِ

وبذلك أصبحت سفينتهم أكثر قوة ومنعة فهي ذات ألواح مشبوحة أي قوية وشديدة تمكنها من الدفع لمواجهة أمواج البحر..

وأما أمية بن أبي عائذ فيقول[5]:

---

1 . ديوانه:ص:213

2 . طفون:علون(لسان العرب مادة طفا) .القراح: الأرض لا ماء فيها ولا شجر(نفسه مادة قرح) .الشحر:صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن (معجم البلدان:2:327)

3 . تمثل هذه الطريقة بداية صناعة السفن عند العرب حيث تشد الألواح بألياف النخيل يقول حوراني: (والراجح) أن ألواح هياكلها لم تكن تثبت بالمسامير بل تشد بخيوط من ليف) . (حوراني: العرب والملاحة:ص1:23).

4 . ديوان لبيد:142

5 . أمية بن أبي عائذ عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام، كان من مداح بني أمية .وهو من شعراء هذيل، (75هـ ـ/695م) (الشعر والشعراء:403).

وتـ ـهفو بهاد لها مثْلـع   كما اطرد القادس الأردمونا

ليصور وجه الشبه بين الحادي والملاح وعناء كل منهما . ونجد صورة السفينة الغسانية عند ضابئ بن الحارث[1] في قوله[2]:

تَـدافُع غَسانية وسطَ لُجـة   ِإذا هي همت يوم ريحٍ ِلتُرسلا

ولم يكتف الشعراء الجاهليون بتشبيه الظعن بالسفينة أو وصف السفينة وأنواعها، بل لجأوا إلى ذكر أجزائها، ليزيدوا بذلك حجة في خبرتهم لركوبها واطلاعهم الواسع عليها.

وهذا هو الأعشى يصور لنا سفينته الكبيرة وهي تقاوم بصدرها أمواج الفرات الهائجة المضطربة، حتى يكاد صدرها يتحطم فيقول:[3]

وما مزبِد من خَليج الفُرا   ت جـون غَـواربه تَلتَطم

يكُب الخَليةَ ذاتَ القـ ـلا   ع قَد كاد جؤجؤُها ينحطم

كما يذكر السفينة ومعاناتها مع الموج، ويذكر البحار في قوله[4]:

يـكُب السفيـن ِلأذقـانه   ويصرع بِالعبر أَثلاً وزارا [5]

ِإذا رهـب الموج نُوتيه   يحط القلاع ويرخي الزيار [1]

---

1 . هو ضابئ بن الحارث بن أرطأة من بني غالب بن حنظلة، تميمي.(الشعر والشعراء:250)

2 . الأصمعيات:181

3 . ديوان الأعشى : 29.

4) نفسه : 145.

5 . الأثل والزار: ضربان من الشجر(لسان العرب مادة أثل)

ولم يفته أن يذكر ا مؤخرة السفينة وملاحيها بقوله[2]:

أضحى يعانَةَ زاخـ ـراً   فيه الغُثاء من المسايل

خَشي الصراري صولةً   منه فعاذوا بالكـَواثل

والصراري هم الملاحون وقد وصف خوفهم ورهبتهم من البحر فاحتموا بمؤخرة السفينة (الكوثل).

ويقول أيضا:

تَـكأكأ ملّاحها وسطَها   من الخَوف كَوثَلَها يلتَزم

وأما عبيد بن الأبرص فنجد ملاحيه من اليهود حيث يقول[3]:

جوانبها تَغشى المتالِفَ أَشرفَت عليهن صهب من يهود جنوح

وعندما يذكر الشعراء الجاهليون عدة السفينة وعتادها وملاحيها فذلك دليل على ملاحظتهم الشخصية والدقيقة في مضمار البحر. فالأعشى عندما يصف سفينته يصفها بأنها ذات شراع وأن ملاحها خبير عارف بأسرار البحر. فهو سرعان ما يرخي حبال الشراع عندما يثور البحر وتتلاطم أمواجه حتى لا تنقلب السفينة.

1 . النوتي: الملاح(لسان العرب مادة نوت). الزيار: الحبل (نفسه مادة زير).

2 . ديوان الأعشى: 245

3 . ديوان عبيد بن الأبرص: 246

وأما المسيب بن علاس فيصبح عنده الشراع وسيلة من وسائل التشبيه. وهو هنا اختار هذا المظهر البحري وشبه عنق ناقته وهي تمده بشراع السفينة وأراد بذلك انه طويل لأن طول العنق صفة جمالية عند المرأة لدى الجاهليين فيقول:

وكأن غاربها رباوةُ مخرمٍ وتَمد ثني جديلها بشراعِ [1]

ومن عدد السفينة سكانها (أي ذنبها)، وقد عمد طرفة بن العبد إلي تشبيه عنق صاحبته بسكان السفينة في ارتفاعه فقال[2]:

وأتلع نَهاض إذا صعدت به كسكّان بوصي بدجلةَ مصعد [3]

وقد وجاء ذكر السفن (بالبوصي) عند الأعشى في قوله**:**

مثلَ الفُراتي إذا ما طَما يقذفُ بالبوصي والماهرِ

بيد أن ذلك النوع من التشبيهات بعدد البحر، دليل واضح علي الثقافة البحرية التي ساهمت البيئة البحرية في تكوينها، لذلك جاءت تشبيهاتهم مستقاة من البحر وظروفه، وكذلك ورود كلمة السفينة باللفظة الفارسية " البوصي" دليل علي أن هذه اللفظة دخلت إلي الساحل العربي عن طريق الفرس، وشاع استعمالها بين الشعراء بحكم ما كان بين الفرس وأقطار الخليج العربي من علاقات تجارية فنجدها أيضا عند سلامة بن جندل في قوله[4]:

يقمص بالبوصي فيه غوارب متى ما يخُضها ماهر اللُج يغرق

---

1 . ديوان المسيب بن علاس: 45

2 . ديوان طرفة بن العبد: 180

3 . سكان البوصي: ذنب السفينة والبوصي ضرب من السفن فارسي معرب (لسان العرب مادة بوص)

4 . ديوان سلامة بن جندل: 181

كما وجدنا اللفظ نفسه عند النابغة، ولكنه عبر عنه بلفظ الخيزرانة فقال[1]:

يظلُّ من خَوفه الملّاح معتَصماً بالخَيزرانَة بعد الأين والنَجد

وقد عثر في شعرهم على لفظ المجداف[2]، ذكره المثقب العبدي في قوله :

تكاد إذ حرك مجدافُها تنسل من مثناتها واليد [3]

وقال المرقش الأكبر أيضا[4]:

تَعدو إذا حرك مجدافُها عدو رباعٍ مفْرد كالزلم

أما الملاح فقد ورد في شعرهم كثيراً بعدة ألفاظ أوردناها سابقاً . والملاح في اللغة النوتي، وهو صاحب السفينة، وسمي ملاحاً لملازمته الماء الملح[5] ويظهر في الشعر الجاهلي قائداً وموجهاً لسفينته في لج البحر، صابراً يعاني مرارة الشدة ويتحمل مشاق البحر وأهواله. وذكر في الشعر بلفظ الملاح عند النابغة[6] ،وبالنوتي عند الأعشى في قوله:

إذا رهـب الموج نُوتيه يحط القلاع ويرخي الزيار

وكذلك عند زهير بن أبي سلمي في قوله[7]:

يقطَعن أَميالَ أَجواز الفَلاة كما يغشى النَواتي غمار اللُج بالسفُن

---

1 . ديوان النابغة: 27. .الخيزرانة: سكان السفينة(لسان العرب مادة خرز).

2 . المجداف بالدال أو بالذال لغتان فصيحتان .ومجداف السفينة خشبة في رأسها لوح عريض تدفع بها (لسان العرب مادة جدف)

3 . ديوان المثقب العبدي: 22

4 . المفضليات: 230

5 . لسان العرب ماده ملح

6 . جاب الرحل: عيدانه(لسان العرب مادة رحل)

7 . ديوان زهير بن أبي سلمي: 239

ويصفه بأنه حاذق ماهر يقود القوادس "أي السفن" في لجة البحر المتلاطم ويطلق عليه (الأردمون) بقوله [1]:

عوم القوادس قفّى الأردمون بها   إذا ترامى بها المغلولب الزبد

هكذا كان ذكر السفينة في الشعر الجاهلي وذكر عددها وملاحيها وتشبيه الظعن المرتحلة في الصحراء بالسفينة. وقد حذا الشعراء في صدر الإسلام حذوهم في تصوير الرحلة النهرية للسفن وتشخيصها برحلة الظعن.

فها هو الحطيئة يذكر السفينة ويحدد الفترة التي قضتها داخل البحر بقوله[2]

لأدماء منها كالسفينة نَضجت   به الحولَ حتّى زاد شَهراً عديدها

وذو الرمة يشبه الناقة بالسفينة، بل ويسميها (سفينة البر) فيقول[3]:

ألا خَيلت مي وقد نام صحبتي   فما نَفر التَهويم إلّا سلامها

طُروقاً وجِلب الرحل مشدودةٌ به   سفينَةُ بر تَحتَ خَدي زمامها [4]

وعبد ا بن قيس الرقيات عمد إلي هذا النوع من التشبيه فقال[5]:

غَدوا من دورج الكَريـو   ن حيثُ سفينُهم حـزقُ [6]

1) نفسه: 280

2 . ديوان الحطيئة: 47 ، أساس البلاغة:وصهباء منها كالسفينة نضحت به الحمل حتى زاد شهرا عديدها والحطيئة هو جرول بن أوس من بني قطيعة بن عبس، لقب بالحطيئة لقصره وقربه من الأرض ويكني أبا مليكة وهو راوية زهير، مخضرم(الشعر والشعراء:86)

3 . ذو الرمة هو غيلان بن عقبة بن بهيس، ويكني أبا الحارث .ديوانه: 431(الشعر والشعراء:326)

4 . جلب الرحل: عيدانه(لسان العرب مادة رحل)

5 . ديوانه: 158

6 . الكريون: موضع(الأمكنة والمياه والجبال:لمحمد بن عمر بن حميد الخوارزمي الزمخشري ط بغداد:227

كـما يغدو نَشاص مـن سحابِ الصيف منطلـقُ

فـَلما أن عـلون النـيـلَ والرايـ ـاتُ تَختفقُ [1]

رأيتُ الجوهر الحكمـي والديـ ـباج يأتلـقُ [2]

وخزَ السوسِ والإضريـج فصلَ بينَه السـرقُ [3]

وخَملَ الأرجوانِ على الـ سفـيـنِ كأنه العلـقُ [4]

سفـ ـ ـائِن غَير مقلَعة إلـى حلـوان تَستبِـقُ [5]

وهو في هذه الأبيات يصف نساء عبد العزيز بن مروان والي مصر وكأنهن يظعن في سفنهن التي تشبه في بياضها السحب البيضاء التي تتراءى في السماء بالصيف، وكيف أنها أقلعت من الكريون إلي حلوان ، فأخذت راياتها ترفرف ،وقد استقرت النساء بداخلها وارتدين الثياب الفاخرة من كل لون . وتزين بالجواهر.

غير أن الرحلة التي وصفها ابن الرقيات كانت علي النيل، أي علي نهر عذب ولكن خُيل إليه أن هذه السفن التي تسير جماعات والنساء المتزينات بأنواع الحرير المختلف الألوان والجواهر، هن نساء ظاعنات علي الهوادج، بيد أنه لم يتعرض إلي معاناة السفن مع الأمواج والرياح، ولا حتى ملاح السفينة الذي عني به شعراء الجاهلية عناية

1 . النشاص: السحاب المرتفع(لسان العرب مادة نشص).

2 . تختفق: تضطرب (نفسه مادة خفق).

3 . الحكمي: نسبة إلى عبد العزيز بن مروان بن الحكم . يأتلق: يبرق(لسان العرب مادة ألق)

4 . العلق: الدم(لسان العرب مادة علق)

5 . غير مقلعة: ليس عليها قلوع أو شراع(نفسه مادة قلع)

كبيرة، وذكروا حذقه ومهارته ومحاولته الدائمة في التغلب علي الموج والرياح، كما لم يذكر من عدد السفينة شيئاً غير شراعها غير أن سفينته لم يكن لها شراع.

أما الأخطل التغلبي فقد حذا حذو ابن الرقيات ، فصور نساء قومه وهن ينتقلن من مكانٍ كن ينزلن به، ويتصيفن فيه إلي موطنهن الأصلي فقال[1]:

كـأن الريطَ فوقَ ظباء فَلجٍ غَـداةَ لبسن لِلبينِ الثِـيابا [2]

فـفارقن الخَليطَ على سفينٍ تَـشُق بِهن أمواجاً صِـعابا [3]

تَـرى الملّاح محتَجِزاً بِليف يـؤُم بِـهن آجاماً وغـابا [4]

إِذا التُبان قَاص عن مشيحٍ صدفن ولم يردن له عـتابا [5]

يـعج الماء تَحتَ مسخرات يصك القار والخَشَب الصلابا [6]

يـعمن على كلاكلهن فيه ولـو يزجى إِليه الفـيلُ هابا [7]

إِذا ما اضطرهن إِلى مضيق ومـوج الماء يطرد الحـبابا [1]

---

1 . ديوانه: 15

2 .يريد انهن إذا ارتدين ثيابهن الفاخرة يظهرن كالظباء الجميلات.

3 . الخليط: هم القوم(لسان العرب مادة خلط) . وقد جعل الإبل هنا كسفن البر التي تحمل القوم.

4 . محتجزاً: شاداً وسطه(نفسه مادة حجز). يؤم: يقصد. الغاب(نفسه مادة أمم) الغابة: جمع غابة وهي من الأرض ذات الشجر المتكاثف(نفسه مادة غيب). الآجام: جمع أجم وهو الحصن(نفسه مادة أجم).

5 . التبان: سروال صغير مقدار شبر يستر العورة(نفسه مادة تبن). قاص: ارتفع. المشيح: الجاد الحريص والحذر (نفسه مادة شيا). صدفن: عدلن والصدوف والصدوف هو الميل عن الشئ(نفسه مادة صدف).

6 . يعج: تسمع له صوتا لشدة تدفقه(نفسه مادة عجج) . المسخرات: السفن من سخرت السفينة إذا أطاعت وجرت وطاب لها السير(نفسه مادة سخر) . يصك: يضرب ضربا شديداً(نفسه مادة صكك).

7 . الكلاكل: جمع كلكل وهو الصدر(لسان العرب مادة كلكل) .. يعمن: يسبحن(نفسه مادة عوم)

تَتابع صرمة الوحدي تَأوي ... لِأولاها إذا الـ ـراعي أَهـابا [2]

رجن بحيثُ تَنتَسغُ المطايا ... فَـ ـلا بقّاً يـخَفن ولا ذُبـابا [3]

إذا أَلـقوا مراسيهن حلّوا ... دبـيب السبي يبتَدر النـقابا [4]

تَفّرج مائِح السبحاء عنها ... إذا نَـزحت وقَد لَذ الشَـرابا [5]

فهو قد تحدث عن نساء من عشيرته كن قد قضين الصيف قريباً منه ، وكان يختلف إليهن، ولما انتهت فترة الصيف عدن إلي بلادهن علي ظهر سفينة عظيمة تعترضها الأمواج المضطربة وكان ملاحها قوياً حذر يقودها ويوجهها في مواجهة الموج المتلاطم حتى وصلت إلي الثغر وألقي الملاحون مراسيها ونزلن منها . ولم ينس الأخطل ثياب الملاح التي تطيرها العاصفة، وهو بهذا الوصف الدقيق والتصوير المستمد من الشعراء الجاهليين في وصف رحلة الظعن ووصف السفينة وما يعتريها من ظواهر طبيعية تعترضها من عواصف وأمواج عالية عاتية، ثم وصف ملاحها الحاذق واعتنى بذكر هيئته وملابسه، وذكر الإبل ومرعاها والقار الذي تطلي به السفينة شأنه في ذلك شأن شعراء الجاهلية فجاءت تشبيهاته صحراوية بدوية. إنما هيأ له ذلك أنه نظر في محاولات سابقيه

1 . يطرد: يتوالى ويتتابع (نفسه مادة طرد). الحباب: احباب الماء:موجه وهو الذي يتبع بعضه بعضا يشبه تدافع الموج بتدافع الإبل(نفسه مادة حبب)

2 . الصرمه: ما جاوز الزود إلى الثلاثين(لسان العرب مادة صرم) .

3 . رجن: نزلن وأقمن والجن:الإقامة (نفسه مادة رجم) . الانتساغ: التباعد والتفرد في المرعي(نفسه مادة نسغ) . المطايا: الإبل مفردها مطية (نفسه مادة مطا)

4 . الدبيب: مشي علي هنيهة (نفسه مادة دبب). السبي: الأسري(نفسه مادة سبى) . النقاب: الطريق الضيق في الجبل واحدها نقب(نفسه مادة نقب)

5 . السبحاء: السابحون(نفسه مادة سبح)

واعتمد عليها ويحس الإنسان إحساساً غامضاً انه تأثر تأثراً ما بوصف بشر بن أبي خازم ألأسدي للرحلة النهرية التجارية التي استشهدنا بها من قبل . ومما يقوى هذا الإحساس أنه كان كثير الرجوع إلي قصائد الشعراء الجاهليين ، كثير التوفر عليها، شديد المحاكاة لها، كثير الأخذ منها ، كما هيأ له ذلك أيضاً أنه كان يتأني في صنْع قصائده وما يزال بها ينقحها ويهذبها حتى تخرج مستويةً في الجودة .

ويقول أيضاً "أي الأخطل" في وصف البحر المزبد الكثيف المياه ذي الأمواج المضطربة التي تقلب الملاح من شدتها مهما كان حاذقاً[1]:

َمـا مزبِد يـعلو جزائِر حامزٍ يشُق إِليها خَـيزراناً وغَـ ـرقَدا [2]

تَـحرز منه أَهلُ عانَةَ بعد ما كَسا سورها الأَعلى غُثاء منَضدا [3]

يقَمص بِالملّاحِ حتّى يشُفه الـ حذار وإِن كان المشيح المـعودا [4]

بِـ ـمطرِد الآذي جونٍ كَأنما زفـ ـى بِالقَراقيرِ النَعام المطَردا

وملاح السفينة دائماً عندهم في صراع مع الأمواج وزبد البحر.

وكان العرب يسمون المكان الذي ترسو عليه السفن وتحط عليه(بالفرض)، وفي ذلك يقول الأخطل:

تري مترع الشيزى الثقال، كأنما تحضر منها أهلُها فُرض البحر[1]

---

1 . ديوان الأخطل: 61.

2 . حامز: قرية بين الرقة ومنبج علي شاطئ الفرات(المحكم والمحيط الأعظم مادة حمز) .

3 . عانة: بلد بالقرب من الرقة، وهي من أعمال الجزيرة(لسان العرب مادة عون) . غثاء منضدة: ما يحمله السيل من القش أو الزبد(لسان العرب مادة غثا)

4 . يقمص: يحرك كبار السفن(نفسه مادة قمص)

ويمكن القول بأن الأخطل نجح في تصوير رحلة الظعن البحرية وتتبعها من بدايتها إلي نهايتها. إلي جانب وصفه الدقيق للبحر وأمواجه وزبده وغثائه ورياحه التي تقمص الملاحين وترعبهم، هذا الوصف الذي استخدمه في تصوير الرحلة البحرية للظعن أو عندما يعمد إلي مدح ممدوحه بل وإنه وصفه كذلك عندما أراد الحديث عن قدح الشراب فقال[2]:

وإجـ ـ ـانَةٌ فيها الزجاج كأنها طوافي بنات الماء في لُجة البحر

والإجانة هي قدح الشراب، وبنات الماء هي طيور الماء كما قال[3]:

وإن لنا بر الـ ـعراق وبـ ـحره وحيثُ ترى القُرقور في الماء يسبح

والقرقور هو المركب الضخم.

وكان أمية بن أبي الصلت قد "قرأ الكتب المتقدمة من كتب ا عز وجل" وكان يحكي قصص ألأنبياء في شعره" كما يقول ابن قتيبة[4]، فوصف رحلة نوح عليه السلام علي ظهر السفينة التي صنعها لينجي بها من آمن من قومه فقال[5]:

تـ َرفَع في جـ ـريٍ كأن أَطيطَه صريفَ محالٍ يستَعيد الدوالِيا [6]

---

1 . قرض: محط السفن(نفسه مادة قرض)

2 . ديوان الأخطل: 13

3 . ديوان الأخطل: 55

4 . الشعر والشعراء: 1: 459

5 . الحيوان: 2: 323

6. الأطيط والصريف: الصوت(لسان العرب مادة اطط، ومادة صرف على التوالي). المحال: البكرة العظيمة. الدواليا: جمع دالية وهي الدولاب التي يستقي بها(نفسه مادة دلا)

على ظهرِ جونٍ لم يعدْ لِراكبٍ   سراه وغيمٍ ألبس الماء داجيا [1]

فصـارت بها أيامها ثم سبعةً   وستَ لـيالٍ دائبات عواطيا [2]

تَشُق بهم تهوي بأحسن إمرة   كـأن عليها هـادياً ونَواتيا

وكان لها الجودي نهياً وغايةً   وأصـبح عنه موجه متَراخيا [3]

ولكنه يذكر سفينة نوح وهي تجري جرياً سريعاً، والأصوات تتعالي من حولها لشدة جريها . تُشْبه هذه الأصوات تلك التي تُسمع حين تدير البقرة الدولاب ويذكر أيضاً أن البحر الذي سارت فيه السفينة ماؤه كثير ولم تسر فيه سفينة ولا راكب من قبل، وقد سارت مسرعة في دقة وإمرةً حسنه كأن عليها قائداً ماهراً يوجهها أو ملاحين حذقه ذوي خبرة ودراية بركوب البحر حتى انتهت إلي غايتها عند الجودي وقد سكن موجه ونضب ماؤه .فسار في وصفه لسفينة نوح علي النهج الذي سار عليه جميع الشعراء الجاهليين، ذلك النهج الذي ذكرته من قبل من ذكر الموج المضطرب وغيره.

كما نجد ذكراً لسفينة نوح عند الأعشى في قصيدة له يصور فيها لهوه وذكريات شبابه مدح في آخرها ممدوحه "إياس بن قبيصة الطائي" ودعا له بقوله[4]:

جزى الإله إياساً خَير نعمته   كما جزى المرء نوحاً بعدما شابا

في فُلكه إذ تبداها لِيصنعها   وظـل يجمع ألـواحاً وأبوابا

1 . دجا الغيم: انتشر وغطي كل شيء(نفسه مادة دجا)

2 . دائبات:: منحبات أي سرن سيرا دائبا يقصدنه ولا يردن غيره (نفسه مادة نحب)

3 . . الجودي: جبل مطل علي الجزيرة في الجانب الشرقي من دجله من أعمال الموصل عليه استوت سفينة نوح لما نضب الماء(نفسه مادة جود)

4 . ديوانه: 53. مختار الشعر الجاهلي: 2: 323

إذ يختم قصيدته بالدعاء لإياس فيقول: يجزيك ا يا إياس خير الجزاء كما جزى نوحاً بعد المشيب، إذ أوحي إليه أن يصنع الفلك " أي السفينة " ليعصمه من الطوفان، فراح يجمع الألواح والأبواب ليتمم صناعتها، ذاكراً بعض الأشياء التي يصنع منها السفينة.

وذكر لفظ السفينة بالفلك إشارة إلي قوله تعالي: (وتري الفلك مواخر فيه) وخطابه عز وجل لهم بلفظ يعرفونه.

إذن فالشاعر العربي كان له اهتمام كبير بالسفينة، وقد شُغل بالسفن أيما شُغل فوصف السفينة وصفاً دقيقا، فشبهها بالظعائن المرتحلة في الصحراء، متأثراً ببيئته الصحراوية البدوية، فخيل إليه أن هذه الإبل التي تسير في الرمال وهي تتمايل في مقاومة الرمال وتتقلب تاركة الأثر بعدها وهي محملة بالهوادج وما عليهن وتشق الرمال وهي تشد في صدورها وتمدها، وقائدها حذق يحاول التغلب علي هذه الرمال، شبهها بالسفن التي تعوم بالماء وملاحها حذق يغالب زبد البحر:

عوم القوادس قفّى الأردمون بها   إذا ترامى بها المغلولب الزبد

ثم أسهبوا في تصوير السفينة التي تعوم في لجج البحر والأمواج المضطربة العاتية تتلاطمها، والبحر مزبد حتى رمي بغثائه. والرياح تعصف بها وظلمة الأمواج تفعل فعلها بالملاحين من رهبة ورعب. فالرحلة في البحر مخيفة كما هي في الصحراء. كما اهتموا بوصف صناعة السفن عندما ذكروا ألواح الخشب والدسر أو الخيوط التي تشد بها السفن ووصفوا أقسامها: جؤجؤها، ووسطها وسكانها "أي ذنبها أو كوثلها (مؤخرتها)"

وأطلقوا عليها أسماء كثيرة حسب حجمها كالقوادس والخلية وبعضها الأخر حسب نوعها أو اسم صانعها كالسفن العد ولية أو سفن ابن يامن والقراقير وغيرها. كما لم تفتهم عددها.

أما الملاح فقد كان له حظ وافر من العناية والاهتمام، فهو ماهر حذق، عليه أن يقاوم ظواهر البحر الطبيعية هذه مع شدتها وعنفوانها، بل عليه أن يكون أكثر حذقاً ومهارة عندما يلوذ من معه بمؤخرة السفينة رعباً وخوفاً حتى يغضوا طرفهم أحياناً من الخوف "أي يغمضون أعينهم" فهو تارة يعتصم بالخيزرانة كما هو عند النابغة:

يظَلُّ من خَوفه الملّاح معتَصماً   بِالخَيزرانَة بعد الأَينِ والنَجد

وتارة أخر يتكأكأ في وسط السفينة كما هو عند الأعشي:

تـَكأكأ مـلّاحها وسطها   من الخَوف كَوثَلُها يلتَزم

وقد وردت عندهم عدة كلمات اسماً للملاح: كالنوتي، والأردمون أو هو أحياناً ملاح يهودي كما هو عند عبيد بن الأبرص:

جوانبها تَغشى المتالِفَ أَشرفَت   عليهن صهب من يهود جنوح

والملاح لابد أن تتوافر فيه صفة المهارة والحذق حتى يتمكن من مقاومة البحر الجبار.

المبحث الثاني: تشبيه الكريم بالبحر

لقد نظم العرب الشعر في كل ما أدركته حواسهم وخطر علي قلوبهم من فنونه وأغراضه الكثيرة ،والمديح وكأحد هذه الأغراض، هو الثناء بما يستحسن من الأخلاق النفيسة كرجاحة العقل، والعفة ،والعدل والشجاعة والكرم.هذه الصفات عريقة في الممدوح وفي قومه تعدد محاسنه الخفية.

وقد شاع المدح عندما ابتُذل الشعر واتخذه الشعراء مهنة، ومن أوائل مداحيهم: زهير والنابغة والأعشى[1].

ومما يتصل بهذا الغرض، تشبيه كرم الممدوح بالبحر أو النهر الفياض . ليكون ذلك أحد الأوصاف المتصلة بالبحر.

ويتمثل تشبيه الشعراء الجاهليين للممدوحين بالبحر في حال فيضانه وامتلائه بالماء بكثرة النوال والعطاء في الممدوح، وهو تشبيه ألم به كثير منهم، مع تفصيلهم له وربما كان الشعراء الذين أكثروا التردد علي الغساسنة في الشام، والوفود علي المناذرة في العراق، هم الذين ابتكروا هذا النوع من التشبيه، ثم نقله عنهم الشعراء الآخرون.

ومنه قول المسيب بن علس يمدح القعقاع بن معبد بن زرارة التميمي حين يقول[2]:

ولأنتَ أجود من خَليجٍ مفعمٍ   متراكم الآذي ذي دفّـاعِ [3]

---

1 . جواهر الأدب: 24 ، 25، 26

2 . نفسه

3 . مفعم: ممتلئ زاخر(لسان العرب مادة فعم) .

وكأن باقَ الخَيل في حافاته   يرمي بهن دوالِي الزراع [1]

ليفوق كرم ممدوحه وجوده، البحر الزاخر الممتلئ والذي تتدافع أمواجه بعضها بعضا.

وأما بشر بن أبي خازم الآسدي فقد مدح أوس بن أبي حارثة الطائي في قوله[2]:

ولـَو جاراكَ أبيض متلِئِب   قُرى نَبط السواد لَـه عيالُ [3]

تَهف يداكَ من هذا وهـذا   وتُغرفُ من جوانبِه السجالُ

لأصبحت السفين مخَويات   على القُذُفات ليس لها بِلالُ

في مجاراة للممدوح مع النهر "نهر الفرات" في الكرم، بل والممدوح عندهم دائماً يفوق هذا النهر في عطاياه.

وكذلك الأمر عند النابغة الذبياني حين يمدح النعمان بن المنذر ويجعله أجود من نهر الفرات المملوء الذي يجود دائماً علي الناس وعلي الأودية فيقول[4]:

فَما الفُراتُ إذا هب الرياح لَـه   تَـرمي أواذيه العبرين بالزبد [5]

يـَـمده كُل واد مترعٍ لجِـبٍ   فيه ركام من الينبوت والخَضد [6]

---

1 . الدوالي: جمع دالية ، وهي البكرة العظيمة ـ آلة السقي ـ (نفسه مادة دلو)

2 . ديوانه: 169

3 . أبيض متلئب: يريد نهر الفرات المطرد المستقيم(لسان العرب مادة طرد). النبط: جيل ينزلون سواد العراق(لسان العرب مادة نبط)

4 . مختار الشعر الجاهلي : 154

5 . العبر: الناصية والجانب(نفسه مادة عبر) ...

6 . مترع: مملؤ(لسان العرب مادة ترع). اللجب: الذي له صوت(نفسه مادة لجب). الركام: ما جمع بعضه على بعض0نفسه مادة ركم). الينبوت: نوع من الشجر(نفسه مادة غيف). الخضد: ما تقطع (نفسه مادة خضد)

يظلُّ من خَوفه الملّاح معتَصماً بالخَـيزرانَة بعد الأينِ والنَجد [1]

يوماً بِأَجـود منه سيب نافلة ولا يحولُ عطاء اليومِ دون غَد [2]

ويقول كذلك في مدح النعمان[3]:

فألفَيتُه يـ ـوماً يبيد عـ دوه وبحر عطاء يستَخف المعابِرا [4]

ليشبهه بالبحر في الجود والعطاء.

أما زهير بن أبي سلمي - أحد الشعراء الثلاثة الذين اشتهروا بالمديح - فقد وصف الممدوح وشبهه بالبحر في قوله[5]:

ينزعن إمةَ أقوامٍ لِذي كَرمٍ بحر يفيض على العافين إذ عدموا [6]

وقال أيضا في ممدوحه [7]:

أغَر أبيض فَياض يفكك عن أيدي العناة وعن أعناقها الربقا [8]

ويقول أيضا في الممدوح[9]:

---

1 . . الأين: الإعياء(لسان العرب مادة أين). النجد: العرق والكرب(نفسه مادة نجد).

2 . السيب: العطاء(نفسه مادة سيب) . النافلة: الزيادة(نفسه مادة نفل). .

3 . ديوانه: 65

4 . يبيد: يهلك(لسان العرب مادة بيد).

5 . ديوان زهير بن أبي سلمي: 110

6 . ديوان ذي الرمة:289

7 . شعر زهير: 74

8 . العناة: الأسير وأصل العن والذل(لسان العرب مادة عنا). الربقا: جمع ربق وهو حبل طويل فيه حلق تجعل فيه رؤوس البهم لئلا ترضع أمهاتها، استعاره استعاره هنا للأغلال(نفسه مادة ربق).

9 . شعر زهير بن أبي سلمي: 158.

متى تَأتيه تَأتي لُج بـحر   تَقاذَفُ في غَواريه السفين

وقال أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلادة [1]:

وما خَليج من المروت ذو حدبٍ يرمي الضرير بخُشبِ الطلح والضال

يـوماً بأجود منه حين تَسـألُه ولا مغـب بتـَرجٍ بين أشـبال [2]

أما الأعشى فقد أكثر من استخدام هذا النوع من التشبيه في مدائحه، مع إطالته له وتأنيه فيه، بل قد يكون ممدوحه المفضل هوذة بن علي الحنفي قد استأثر بأكثر مديحه من هذا الضرب. ومن أمثلة ذلك قوله[3]:

وما مجاور هيت إن عرضتَ له قَد كان يسمو إلى الجرفَين واطلعا [4]

يجيشُ طوفانُه إذ عـب محتَفلاً يكـاد يعلو ربى الجرفَين مطلعا [5]

طابت له الريح فَامتَدت غَواربه تَـرى حوالِبه من موجِه تَرعا [6]

يوماً بأجـود منه حين تَسألُه إذ ضن ذو المال بالإعطاء أو خَدعا [7]

فممدوحه أجود من نهر الفرات بمياهه الغزيرة، فهو مغدق في العطاء حين يضن أصحاب المال أو يبخلون. ويقول أيضاً في مدح[1] هوذة بن علي الحنفي:

---

1 . ديوان أوس بن حجر: 105

2 . المغب: الأسد يفترس يوماً ويترك يوماً(لسان العرب مادة غبب). ترج: موضع ينسب إليه الأسد أو مأسدة بناحية الغور(نفسه مادة ترج)

3 . ديوان الأعشى: 164.

4 . هيت: موضع على شاطئ العراق في هوة من الأرض(لسان العرب مادة هيت) .

5 . جاش: اضطرب(نفسه مادة جاش). عب البحر: ارتفع وكثر موجه(نفسه مادة عبب). حفلُ وأحتفل: اجتمع وامتلأ(نفسه مادة حفل).

6 . حوالب النهر: الفروع التي تعينه وتمده(نفسه مادة حلب). .ترعا: مملوءة إلى نهايتها(نفسه مادة ترع)

7 . ضن: بخل(نفسه مادة ضنن)

وما مزبد من خَليج الفُرا ت يغشى الإكام ويعلو الجسورا [2]

بأجـــود منه بما عنده فيـعطي المئين ويعطي البدورا [3]

يخاطب ممدوحه قائلاً: ليس الفرات ومياهه المزبدة والتي يجود بها على الجسور وعلى الأراضي المرتفعة بأجود منك حين تعطي مئات الإبل وأكياس المال.

ويمدح الأعشى مسروق بن وائل أحد أمراء اليمن وأشرافهم فيقول[4] في ممدوحه:

فإذا رأوه خـــاشعاً خَشَعوا لِذي تاجٍ حـلاحل [5]

أضـــحى بعانَةَ زاخراً فـيه الغُثاء من المسايل [6]

خَشي الصراري صولةً منه فعاذوا بالـــكوازل [7]

فتـــَرى النَبيطَ عشيةً راوي المـَزارع بالحوافل [8]

يـــوماً بأجود نائِلاً مالحضرمي أخي الفَواضل [9]

وقريب منه أو هو المديح نفسه ما قاله الأعشى في مدح قيس بن معد يكرب عندما قال[1]:

---

1 . ديوانه: 205

2 . الآكام: الواحدة أكمة وهو المرتفع من الأرض(لسان العرب مادة أكم).

3 . المئين: المائة من الإبل(نفسه مادة ماي). البدور: مفردها البدره: كيس فيه عشرة آلاف درهم_(نفسه مادة بدر).

4 . ديوانه: 245

5 . خاشعاً: ساكنا(لسان العرب مادة خشع).. الحلاحل: السيد في عشيرته الشجاع (نفسه مادة حلل)

6 . عانة: قرية بالعراق اشتهرت بجودة خمره(نفسه مادة عون). الغثاء ما يحمله السيل من القمش(نفسه مادة غثا) ..المسايل: واحدها المسيل: مجري الماء(نفسه مادة سيل).

7 . الكوائل: مفردها الكوثل: مؤخرة السفينة(نفسه مادة كثل) .

8 . الحوافل واحدها الحافل: من حفل الماء إذا كثر(نفسه مادة حفل)

9 . الحضرمي: نسبة إلى حضرموت بن قحطان بن عابر قوم الممدوح(نفسه مادة حضر).. والفواضل: جمع فاضلة وهي النعم العظيمة(نفسه مادة عرج).

فَما نيلُ مصرٍ إذ تَسامى عبابه ولا بَـحر بانقيا إذا راح مفعما [2]

بِأَجـ ـود منه نائِلاً إِن بعضهم إِذا سئِلَ المعروفَ صد وجمجما [3]

وقوله أيضاً في مدح قيس بن معد يكرب[4]:

وما رائِح روحته الجنوب يروي الزروع ويعلو الديارا

يـ ـ ـكُب السفين لِأَذقانه ويـصرع بِالعبرِ أَثلاً وزارا

إِذا رهـ ـب الموج نُوتيه يحط القلاع ويرخي الزيارا

بِأَجـ ـ ـود منه بِأُدمِ الركا بِ لَطَ العلوقُ بِهن احمرارا [5]

وقوله في مدح قيس بن معد يكرب[6]:

وما مزبِد من خَليج الفُرا ت جون غَـواربه تَلتَطِم [7]

يـ ـكُب الخَليةَ ذاتَ القلا ع قَد كاد جؤجؤُها ينحطم [8]

بِأَجـ ـود منه بِما عنده إِذا مـ ـا سماؤُهم لَم تَغم [9]

---

1 . ديوان الأعشى: 332: 338

2 . تسامي عبابه: ائرتفع موجه(لسان العرب مادة سما) .بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة كانت علي شاطئ الفرات(معجم البلدان:12

3 . جمجم: لم يبين كلامه(نفسه مادة جمم)

4 . ديوانه:145

5 . أدم الركاب: الإبل البيضاء (لسان العرب مادة ركب). لط: لصق وألزق (نفسه مادة لطط). العلوق: الرعي(نفسه مادة علق).

6 . ديوان الأعشى: 315.

7 . الجون: السود وهو من الأضداد يطلقه العرب علي الأبيض والأسود(لسان العرب مادة جون).

8 . الخلية: السفينة الضخمة(نفسه مادة خلا). القلاع: الشراع(نفسه مادة خلا)

9 . . وغامت السماء: أطبق بها السحاب أي أصابها الغيم (نفسه مادة غيم).

ووصف الأعشى ممدوحه كذلك باتساع البحر وكثرة مائه وجوده وعطائه، ومن ذلك قوله[1]:

حباني أخي الجني نفسي فداؤه بأفيح جياش العشيات خضرم [2]

ويجود الأعشى بالمدح حتى يصل به الأمر في مدحه أن يمدح والد ممدوحه وأعمامه بأنهم بحور في الجود، فيقول[3]:

وجــــدتَ علياً بانياً فورثته وطلقاً وشيبان الجواد ومالكا [4]

بحور تَقوتُ الناس في كل لزبة أبوك وأعــمام هم هؤلائكا [5]

أي كانوا كالبحار يفيضون علي الناس من خيرهم ويطعمونهم في أوقات الشدة والجدب .ويصف ممدوحه بأنه أجود من نهر (الفرات) الزاخر الذي يسقي أهل بابل فيقول[6]:

ما النيلُ أصبح زاخراً من مده جادت له ريح الصبا فجرى لها

زبِـداً ببابل فهو يسقي أهلها رغَــداً تُفَجره النَبيطُ خلالها

يـوماً بأجود نائلاً منه إذا نَـفس البخيل تجهمت سؤالها

---

1 . ديوانه: 351.

2 . الخضرم: الكثير الماء(لسان العرب مادة خضرم).

3 . شرح ديوان الاعشي: 242.

4 . علي والد الممدوح (هوذة) و(علي الحنفي) وشيبان وماك وطلق أعمام الممدوح.

5 . قاته: رزقه وأمده بالقوت(لسان العرب مادة قوت) .. اللزبة: الضيق والشدة(نفسه مادة لزب)

6 . شرح ديوان الاعشي: 258

أما عمرو بن سنان الأهتم فقال[1] في تشبيه للقوم بالسخاء:

ولاعبني على الأنماط لعس عليهن المجـاسد والحرير [2]

ولكنّي إلى تَركات قـ ـَومٍ هم الرؤساء والنَبلُ البحور

وقد جعل ممدوحه (بحرا) لكثرة عطائه.

أما الحطيئة فقد قال في ممدوحه[3]:

تَـ ـ ـكاد يداه تُسلمان ردائه من الجود لما استَقبلته الشَمائِلُ

يداك خَليج البحرِ إحداهما دماً تَفيض وأُخـرى فعلُ حزمٍ ونائِل

ومن الواضح أن صورة هذا التشبيه تكاد تكون معادة مكررة عند الشعراء الذين وردت أشعارهم سابقاً، كما أن الألفاظ والقوالب متماثلة عند أكثرهم، غير أن المسيب بن علس وأوس بن حجر قد اختصرا وصف النهر في وقت فيضانه. ولم يطيلا فيه ، في حين أفاض بعض الشعراء في وصف البحر وامتلائه بالماء وما جلب معه من الحطام والركام وأثر اضطرابه في السفن والملاحين، لكي يظهروا أريحية ممدوحيهم وعطائهم الغامر وكرمهم الذي يفوق في كثرته واتصاله مياه أعظم الأنهار والبحار، ويظهر ذلك بوضوح عند النابغة الذبياني والأعشى .

1 . الشعر والشعراء:387:هو عمرو بن سنان الأهتم مخضرم من بني تميم.

2 . اللعس:سواد في الشفتين (لسان العرب مادة لعس).والمجاسد ثياب مصبوغة بالزعفران(نفسه مادة جسد).

3 . ديوانه: 118.

أما ذو الرمة فقد شبه كرم ممدوحه وجوده بنهر الفرات في الجود دون أن يستفيض في وصف النهر فقال[1]:

أتَيناك نَرجو من نَوالِك نَفحةً تكون كأعوامِ الحيا المتَتابعِ [2]

فجـاد كما جاد الفُؤاد فإنما يداه كغَيث في البرية واسع

ليبين أن اختلاف الفترة الزمنية للشعراء كان له كبير الأثر في مثل هذا النوع من الشعر.

ومما جاء في تشبيه الرجل الكريم في الجود بالبحر ما قالته خرقاء (إحدى نساء بني عامر بني ربيعة وكان ذو الرمة يشبب بها) في ذي الرمة[3]:

لقد أصبحت في فرعي معـد مكان النجم في فلك السماء

إذا ذُكرت محاسنه تـــدرت بحار الجود من نحو السماء

حصين شاد باسمك غير شك فأنت غياث محل بالغنـــاء

إذا ضنت سحابة ماء مـزنٍ تثج بحار جودك بارتـواء[4]

والأخطل أحد شعراء الإسلام، كثر شعره في المديح، ومدح بني أمية كثيراً ومما جاء في مدحه لهم، مدحه لعبد الملك بن مروان في قصيدة زعم أنه أفني في نظمها حولاً حتى بلغت خمسة وثمانين بيتاً وما بلغ كل ما أراد، ومما قاله في ممدوحه[1]:

---

1 . ديوان ذي الرمة: 289.

2 . النفحة: نفحة الكرم(لسان العرب مادة نفح) . الحيا المتتابع المقصود به المطر

3) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، للسيد احمد الهاشمي منشورات مؤسسة المعارف بيروت ولبنان، ج2: ص225 ،الأغاني:للأصفهاني:11757

4 . تثُج: الثج: الصب الكثير(لسان العرب ماد ثجج) . خص بعضهم به صب الماء الكثير.

**وما الفُراتُ إذا جاشَت حــوالبه	في حافَتَيه وفي أوساطه العشَر[2]**

**وذَعذَعته رياح الصيف واضطَربت	فَــوقَ الجآجِئ من آذيه غُدر**

**مسحنفراً من جِــبال الروم تَستُره	منــها أكافيفُ فيها دونَه زور**

**يومــاً بأجــود منه حين تَسألُه	ولا بأجهر منه حين يجتَــهر**

وقال أيضاً في مدح الوليد بن عبد الملك[3]:

إن تَك عــبس ولدت وليدا

وولــدت كــلاب بني يزيدا [4]

فَقَــد ولــَدنا ماجِداً حميدا

أغَــر تُهراقُ يــداه جودا

ركب في خَير قُريش عودا

بــحراً به الطاقةُ أن يسودا

ومدح الأخطل ممدوحه فقال[5]:

**لــقَد نَزلتُ بعبد الله منزلةً	فيها عن الفَقر منجاةٌ ومنتَقَد**

**كــأنه مــزبد ريان منتَجع	يعلو الجزائِر في حافاته الزبد**

---

1 . ديوانه: 90، 91

2 . العشر: نوع من الشجر عريض الورق(لسان لعرب مادة عشر)

3 . ديوانه: 63.

4 . هو يزيد بن معاوية

5 . ديوانه: 67.

والمزبد هو الفرات. أي كريم جواد لا يقف دون عطاء شانه في ذلك شأن البحر المزبد الذي لا ينقطع عطاؤه من الماء عن الجزائر والجوانب (الحافات).

والجدير بالذكر أن طبيعة المنطقة التي عاش فيها الأمويون والعباسيون يغلب على مائها الملوحة (البصرة) أي ماء البحر، لذلك نجد عند شعرائهم وصفاً للبحر،ولكنهم كانوا قد تأثروا فيه إلى حد ما ببيئتهم الصحراوية من إبل ونوق وما قطعته هذه الإبل من قفار، الأمر الذي كان يسيطر على شعراء العصر الجاهلي وشعراء بني أمية في ووصفهم للبحر، غير أن الشعراء العباسيين قد اهتموا كثيراً بموضوع الرحلة النهرية ،والذي كان قد طرقه الشعراء الجاهليون ونوعوا فيه ، وصوروا فيه رحلتهم إلى الممدوح أو رحلة الممدوح في أنهار العراق بقصد التنزه. خاصة أنه يمثل جزءاً مهماً من القصيدة العربية، فجاءت قصائدهم في البحر ما بين قصائد عارضوا فيها النماذج الجاهلية القديمة ، وأخرى نحوا فيها منحاً جديداً طابعه يقوم على الإيجاز والتركيز وابتداع المعاني الطريفة واختراع الصور النادرة.

وقد برز من الشعراء في هذا المجال بشار بن برد وأبو نواس وغيرهم من الشعراء، ولكنهم اعتمدوا في وصفهم على التشبيهات والصور البدوية التي كان لها سلطان

قوى على أخيلتهم بألفاظها وتراكيبها وصورها. وخير مثال على ذلك بائية بشار بن برد[1] التي مدح فيها يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري فيقول[2]:

وملعـَبِ النونِ يرى بطنُـه   من ظَهـرِه أخضـر مستَصعبِ[3]

عطشـان إن تأخُذ عليه الصبا   يفحش على البوصي أو يصخَبِ[4]

كـأن أصـ ـواتاً بأرجائِـه   من جـُندبٍ فاض إلى جـندبِ[5]

ركـِبتُ في أهـ ـواله ثـيباً   إليـك أو عـذراء لم تُـركَبِ[6]

لـما تيمـَمتُ على ظَـهرها   لِمجـلسٍ في بطنها الحوشَبِ[7]

هـيأتُ فيها حـين خَيستُها   من حالِكِ اللونِ ومن أصهبِ[8]

فأصـبحت جـاريةً بطنـُها   ملآن من شَتّى فـَلم تُضربِ[9]

لا تَشتَكي الأين إذا ما انتَحت   تُهـدى بِهاد بـعدها قـُلبِ[10]

عـاري الذراعين لِتَحريزها   من مشربٍ غار إلى مشـربِ[1]

---

1 . بشار بن برد بن يرجوخ بن أزدكرد من طخارستان(الشعر والشعراء:455).

2 . ديوانه: ص 49، شرح محمد ناصر الدين، ط :القاهرة:ج مصر العربية

3 . النون: الحوت..

4 . يفحش: يجاوز الحد. عطشان: قليل الماء.

5 الجندب: الجراد.

6 . الثيب: السفينة المستعملة. العذراء: السفينة الجديدة.

7 . الحوشب: العظيم المنتفخ.

8 . خيس:هيأ. الحالك: الأسود. الأصهب: الأشقر.

9 . بطنها ملآن من شتى: أراد أنواع الراكبين.

10 . الأين: الإعياء. الهادي القلب: الملاح العارف المجرب للأمور.

إذا انـجابت عنهـا بتيّـاره وارفض آلُ الشـَـرف الأحدبِ[2]

ذكّرتُ مـن هقلٍ غدا خاضباً أو هقلة ربـ ـداء لم تخضبِ[3]

تَصـ ـر أحـياناً بسكّانـها صـريرِ بابِ الدارِ في المذنَبِ[4]

بمثلـها يجتاز فـي مثـله إن جـد جـدت ثم لم تلعبِ

دعموص نَهر أنشبَت وسطه إن تنعبِ الريـ ـح لها تنعبِ[5]

إلـى إمـامِ الناسِ وجهتُها تجري على غار من الطُحلُب [6]

والملاحظ من القصيدة أن بشار يصف نهر الفرات وحيتانه وأمواجه الهائجة وعبثها بالسفينة الواسعة الضخمة التي كان قد ركبها إلى الممدوح، كما وصف حركة سيرها وملاحها الذي يرشدها في حذر شديد.

ويتضح جلياً أنه اعتمد في أوصافه على الألفاظ البدوية الصحراوية، كتشبيهه للسفينة في اندفاعها بالنعامة وجعله لها "ثيباً أو عذراء"، ووصفه لها بأنها لا تجهدها الرحلة الطويلة الشاقة ولا تضرب لتسرع في سيرها، كما شبه صوت الأمواج المتلاطمة بأصوات الجراد.

---

1 . التحزيز: المبالغة في الحفظ والصيانة. غار: ذهب. المسرب: المجري.

2 . التحزيز: المبالغة في الحفظ والصيانة. غار: ذهب. المسرب: المجري.

3 . الهقل: الفتى من النعام. الخاضب: أحمر الرجلين، لأن ذكر النعام تحمر رجلاه آخر الربيع فشبهوه بالخاضب بالحناء. الهقلة أنثى النعام. والربداء: الغبراء.

4 . السكان: ذنب السفينة. المذهب: شاطئ النهر. الصرير: الصوت المرتفع.

5 . النعيب: صوت الريح.

6 . غار: اسم فاعل من غراه إذا الزق به وغطاه

ويستمر بشار في ذات المعاني والكلمات والتراكيب البدوية في أسلوب مقتبس من الصحراء عندما يتحدث عن رحلته إلى الخليفة المهدي قائلاً[1]:

وقُـربـَت لِمسـير منـك يومئـذ مراكـب منك لم تولـَد ولا تلـد

تَغلـي بِهـن طريـقٌ ما بـه أثـَر في مستَوٍ ما به حزن ولا جـدد[2]

لا في السماء ولا في الأرض مسلكُها ولا تَـقـوم ولا تَمشـي ولا تَـخد[3]

ولا يذُقـ ـن أكالاً ما بـقين ولا يشربن ماء وهن الشُـرع الـورد[4]

جـون مجـللـَةٌ قُعس مجرشَعةٌ ما باتَ يرمضهـا أين ولا خـَضد[5]

تُلوى الأزمةُ فـي أذنابِها وبِهـا في السيـر يعدلٌ إن جارت فتَقتَصد[6]

من كـُل مقربـة لِلسير منقـزة خَـوفاً تَجمـع منها الجؤجؤُ الأجد[7]

1 . ديوان بشار بن برد: 324.

2 . يغلى: يضطرب(لسان العرب مادة فور). الحزن: ما غلظ من الأرض(نفسه مادة حزن). الجدد: الأرض المستوية(نفسه مادة جدد).

3 . تخد: تشق(نفسه مادة خدد).

4 . الأكال: الطعام(نفسه مادة اكل). الشرع: الداخلة في الماء(نفسه مادة شرع). الورد: الواردة للماء(نفسه مادة ورد).

5 . القعس: المرتفعة الأعناق أيمال عنقها ورأسها نحو ظهرها(لسان العرب مادة قعس). المجرشعة: عظيمة الصدر منتفخة الجنبين(نفسه مادة جرشع).

6 . تلوى الأزمة:الأزمة:جمع زمام وهو البحبل الذي يجعل في الخشبة(نفسه مادة زمم)وتلوي الأزمة تربط الحبال في مؤخرتها. يعدل إن جارت فتقتصد: أي بتلك الحبال يتحكم في السفينة، فيهدأ سيرها إن اسرعت.

7 . المقربة: السفن المدناة من الشاطئ(نفسه مادة قرب)،. الأجد: القوى(نفسه مادة أجد).

من سبعة فإذا أنشَـأتَ تَحسبها   وفّاكها كُمـ ـلاً فـي كفـك العـدد

السمر والنَجر والنَجـار يفرعها   والقَفـر والقيـر والألـواح والعمد[1]

فقَد وفت ولهـا في وفقها علـَم   مثـلُ السحابة فـي أقرابهـا زبد[2]

في نُشرة بعد حظّي طيب جادية   جاءت تَهادى بهم من بعد ما هجدوا[3]

فثَـورت بقَـراً ما مثلُهم بقـَر   إن قُمتَ قاموا وإن قُلتَ اقعدوا قَعدوا[4]

فباتَ عرشُك فَـوقَ الماء يحملُه   بحـر تَـلاطَم فيه المـوج والزبد

والريح مرسلةٌ والماء منصـَلتٌ   وأنـتَ مـرتَفقٌ والسيـر منجرد[5]

ولكن بشار في هذه القصيدة أطال وفصل في رحلة السفينة ووصفها بتفاصيل دقيقة مبيناً ما بداخلها وخارجها، بل وحتى أدوات صنعها من ألواح وخشب ومسامير جمعت وحبال لتشدها بالقار الذي تطلى به وصدرها "جؤجؤها" القوى الذي يصارع أمواج المياه العاتية المزبدة والرياح الشديدة التي تزيد من اضطراب الأمر.

ويتجلى الوصف أيضاً في الاستعارة والاقتباس من أوصاف القفار وألفاظها مع بيان لنوع الطريق الذي تسير فيه من حيث السهولة والاستواء وعدم بيان الأثر عليه "أي

1 . السمر: الشد بالمسمار(نفسه مادة سمر) النجر: الخشب والنجار منه أي صاحب النجارة (ننفسه مادة نجر) القير: القار(نفسه مادة قار).

2 . الوفق: التلاؤم(نفسه مادة وفق). الأقراب: الخواصر(نفسه مادة قرب).

3 تهادى:تمايل(نفسه مادة هدى).

4 . ثورت: هيجت(نفسه مادة ثور).

5 . منصلت: ماض(نفسه مادة صلت): السير المنجرد: المتصل(نفسه مادة جرد).

البحر"، ثم عمد إلى موازنة بين الخيل والسفينة التي لا تسرع في عدوها ولا تأكل ولا تشرب ولا تتعب ولا تشتكى ولا تعرق من طول السير وشدة الإعياء، ولكنها تهيج طيور الماء تماماً كما تهيج دابة الصحراء البقر الوحشي في الصحراء.

والملاحظ أن بشار كان قد أكثر من هكذا التصوير "أي رحلة النهر إلى الممدوح أو رحلة الممدوح" ولكنه يكرر فيها معاني وأوصافاً متشابهة يلح فيها على المقارنة والموازنة بين سفينة الصحراء وسفينة البحر، إذ نجد له قصيدة أخرى يمدح فيها الخليفة المهدي بقوله[1]:

وعـذراء لا تَجري بِلَحمٍ ولا دمٍ بعيـدة شَكـوى الأينِ ملحمـة الدبرِ[2]

إذا طَعنَت فيها القَبولُ تَشَمصت بِفُـرسانهـا لا في سهـولٍ ولا وعرِ[3]

وإن قَصـدت دات على متَنَصبٍ ذَليلِ القَرى لا شَيء يفري كَما تَفري[4]

تُلاعـب نينان البحـورِ وربما رأَيتَ نُفوس القَومِ من جريها تَجري[5]

تَحملـتُ منها صاحبي ومنصفيتَـزف زفيفَ الهيق في البلَد القَفـرِ[6]

---

1 . ديوانه: ص 509.

2 . ملجمة الدبر:من ألجم اللجام يريد أن مؤختها مربوطة بحبل تهدى به كما يربط الزمام في وجه البعير ليقاد به.(لسان العرب مادة ألجم)

3 . القبول: ريح الصبا(نفسه مادة قبل). تشمصت: نفرت وأسرعت(نفسه مادة شمص).

4 . قصدت: مشت مشياً مستويا(نفسه مادة قصد). دلت:أي سارت سير الفتاة المتدللة(نفسه مادة دلل) القرا:الظهر (نفسه مادة قرا). يفرى: يشق(نفسه مادة فرا).

5 . النينان: الحيتان(جمع نون وهو الحو

6 . المنصف الخادم (لسان العرب مادة نصف). الزفيف: السير السريع(نفسه مادة زفف). الهيق: ذكر النعام(نفسه مادة هيق).

فالأبيات تصف ركوب السفينة ولكنها تكرر نفس الألفاظ التي توضح أن السفينة لا تتألم ولا تتعب وأنها من ألواح لا لحم عليها ولا دم فيها، وأن لها مقود "دفة السفينة" تقاد به كزمام الناقة، كما شبه سيرها بسير النعام مستعيراً ذات الألفاظ البدوية . ولم ينس ريح الصبا التي تسوقها سوقاً خفيفاً والحيتان التي تلاعبها، وخوف الركاب ورعبهم. ومع ذلك فإن الآمدى أعجب بهذه الأبيات وأثنى عليها وقرر أن وصف بشار للممدوح مع رحلته في السفينة هو الجديد النادر[1].

وسواء أكان بشار الذي كانت له جهود أموية وعباسية أم كان أبو الشيص الذي جاء متأخراً عنه بما يقرب من ثلاثين عاماً، فوصف البحر عندهم ضارب في البداوة متأثر بالقفار.

ونرى ذلك جلياً في قصيدة الأخير(أبو الشيص) في مدح عقبة بن الأشعث[2]:

وبحــر يحار الطَرفُ فيه قَطعتُــه بمهنوءة من غَيــرِ عــر ولا جــرب[3]

ملاحكة الأضلاع محبوكة القَــرى مداخلة الرايات بالقــار والخَشَــب[4]

---

1 . الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: للآمدى: أبوالقاسم الحسن بن بشر، ج2، ص 309، تحقيق السيد أحمد صقر/ طبع دار المعارف بمصر.

2 . الطبقات: لابن المعتز، ص 83.

3 . المهنوءة المطلية بالقطران(لسان العرب مادة هنأ). العر: داء يتمعط منه وبر الإبل وهو الجرب(نفسه مادة عرر).

4 . ملاحكة: شدة التئام الشئ بالشئ(نفسه مادة لحك). الدأيات عظام كاهل البعير(نفسه مادة دأى)شبه به ألواح السفينة.

موثقـة الألواح لـم يـدم متنَها   ولا صفحتيها عقـ ـ ـد رحلٍ ولا قتب[1]

عريضةُ زور الصدر دهماء رسلة   سنـاد خَليـع الرأس مزمومة الذَنَب[2]

جموح الصلا موارةُ الصدر جسرةٌ   تكـاد من الإغـراق في السير تَلتَهب[3]

مجفّـرة الجنبين جوفـاء جونـة   نَبيلة مجرى العرض في ظَهرها حدب[4]

معلمـة لا تَشتكي الأين والوجى   ولا تَشتَـكي عض النُسوع ولا الدأب[5]

ولم يدم من جذب الخشاشة أنفها   ولا خانَهـا رسـم المناسـب والنَقَب[6]

مرققَـة الأخفاف صم عظامهـا   شَديـدة طي الصلب معصوبةُ العصب[7]

يشـق حبـاب الماء حد جِرانها   إذا ما تَفـرى عـن مناكبهـا الحبب[1]

---

1 . القتب: رحل صغير على قدر سنام البعير(نفسه مادة قتب).

2 . زور الصدر: وسطه(نفسه مادة زور). الدهماء: السودا(نفسه مادة دهم) الرسلة: الناقة اللينة العظام، السهلة السير(نفسه مادة رسل). السناد: الناقه القوية طويلة العظام(نفسه مادة سند). خليع الرأس: لا رسن له(نفسه مادة خلع).

3 . الصلوان: مكتنفا الذنب من الناقة واحده الصلا(نفسه مادة صلا).. الجسرة: الناقة الماضية(نفسه مادة جسر). الإغراق: المبالغة(نفسه مادة أغرق).

4 . مجفرة: واسعة(نفسه مادة جفر). جوفاء: فارغة(نفسه مادة جوف).

5 . مقتلة: مروضة مذللة(نفسه مادة قتل). الوجى: الحفاء(نفسه مادة بخص). النسوع: جمع نسع، وهو سير يشد به الرحل(نفسه مادة نسع). الدأب: من دأب أي اجد وتعب).

6 . الخشاشة: العود التي توضع في أنف البعير(نفسه مادة خشش). الوسم:أثر الكي(نفسه مادة وسم). المناسم: جمع منسم، وهو طرف خف البعير(نفسه مادة نسم). والنقب: رقة الأخفاف(نفسه مادة نقب).

7 . معصوبة: مشدودة(لسان العرب مادة عصب).

إذا اعتلجت والريح في بطن لُجة رأيـتُ عجاج الموت من حولها يثب[2]

فكأنما القائل معنى بوصف سفينته وصفاً دقيقاً يتناول صدرها، ووسطها المتسع وألواحها وجريانها في عرض النهر وغيره من الأوصاف. شأنه في ذلك شأن شعراء الجاهلية عندما يصفون نوقهم، كما أنه لم يستحدث في الأوصاف التي أسلفنا فيها الذكر حتى يتبادر إلى أذهاننا أننا أمام شاعر جاهلي لا عباسي، إذن فالشعراء لم يستطيعوا التخلص من آثار البداوة والصحراء في وصفهم. وقد ظهر هذا الأمر عند أبى نواس كذلك – بالرغم من شهرته بالسعي وراء التجديد والثورة على التقاليد عندما قال[3]:

سخـــر الله لِلأميـن مطايـا لم تُسخر لِصاحـبِ المحرابِ[4]

فإذا مـا ركابـه سـرن بـراً سار في الماء راكباً ليثَ غابِ[5]

أسـداً باسـطاً ذراعيه يعـدو أهـرتَ الشـدق كالِح الأنيابِ[6]

لا يعانيـه باللجـام ولا السو ط ولا غَمز رجلـه في الركابِ[7]

عجِب الناس إذ رأوه على صو رة ليـث يمر مـر السحـابِ

سبحـوا إذ رأوك سرتَ عليه كيف لو أبصروك فوقَ العقابِ

---

1 . الجران: باطن العنق(نفسه مادة جرن). تفرى:تشقق(نفسه مادة فرا).

2 . اعتلجت: التطمت بالماء(نفسه مادة علج).

3 . ديوانه: ص 414.

4 . صاحب المحراب هو النبي سليمان بن داوود.

5 . الركاب: الإبل التي يسار عليها(لسان العرب مادة ركب).

6 . أهرت الشدق: وأسعه(نفسه مادة هرت).

7 . الغمز: الضرب.

إن سفينة أبى نواس غريبة وشكلها عجيب، فهي على صورة أسد باسط ذراعيه فاتح فمه تبدو أنيابه لترهب الناس وتفزعهم، أو هي على شكل عقاب.

ثم حذا بعد ذلك حذو الشعراء الجاهليين في بقية القصيدة عندما سمى السفينة (مطية)، مراعياً في وصفها ما توصف به النوق.

وجاء من الشعراء بعد ذلك من قل تأثرهم بالبيئة الصحراوية في تشبيهاتهم أمثال أبي تمام ومسلم بن الوليد، غير أنهم لم يتمكنوا من التخاص من كل الصور الصحراوية، وأبيات مسلم بن الوليد الآتية ستكون خير دليل على ذلك، إذ يقول فيها[1]:

وملتَطـم الأمواج يرمي عبابه — بجـرجـرة الآذي لِلعبـر فالعبـر[2]

مطعمـة حيتـانُـه مـا يغبها — مآكـلُ زاد من غَريق ومن كسـر[3]

إذا اعتَنَقَت فيه الجنـوب تكفأت — جواريه أو قامت مع الريح لا تَجري[4]

كأن مـدب الموج فـي جنَباتها — مدب الصبا بين الوعاث من العفـر[5]

كشَفتُ أهاويلَ الدجى عن مهوله — بجاريـة محمولـة حاملٍ بكـر[6]

---

1 . ديوانه: ص: 105.

2 . العباب: معظم الماء. الجرجرة: صوت الماء. الآذي: الموج. العبر: جانب النهر.

3 . مطعمة: مشبعة. يغبها: يفوتها.

4 . اعتنقت: اضطربت. تكفأت: انقلبت أعاليها فصارت أسافل.

5 . مدب الموج: مضربه. الوعاث: اللينة. العفر: الكثبان الحمر.

6 . كشفت أهاويل الدجى عن مهوله: كشفت أهوال الليل عن هول البحر. الجارية البكر: السفينة الجديدة.

لطَمَـتْ بِخَدَيها الحباب فَأصبحت موفقَـةَ الدايات مرتومةَ النَحـــر[1]

إذا أقبلَـت راعـت بِقُنـة قَرهبٍ وإن أدبـرت راقَت بِقادمتَي نَسـر[2]

تَجافـى بِهـا النوتي حتّى كأنما يسير من الإشفاق في جبلٍ وعــر[3]

تَجلج عن وجه الحبابِ كما انثَنَت مخبـأةٌ مـن كسر ستر إلى ستـر[4]

أطَالَــت بِمجذافيـن يعتورانها وقَومهــا كَبح اللجام من الدبـر[5]

فَحامـت قَليـلاً ثُم مرت كأنها عقـاب تَدلت من هواء على وكـر[6]

أنـافَ بِهاديهـا ومـد زمامها شَديد عـلاج الكَـف معتَملُ الظَهر[7]

إذا ما عصت أرخى الجرير لرأسها فَملكها عصيانَهـا وهي لا تَـدري[8]

كأن الصبا تَحكي بِها حين واجهت نَسيم الصبا مشي العروس إلى الخدر[9]

يممنـا بِها ليـلَ التمام لأربـع فَجاءت لست قَد بقين من الشَهـر[1]

1 . موفقة الدأيات: مخططة الظهر(لسان العرب مادة وقف). مرتومة النحر: الرتم:الدق والكسر(نفسه مادة رتم)

2 . قنة القرهب: القرهب:الثور المسن إي رأسه(نفسه مادة قرهب) . وقادمتى نسر: جناحيه(نفسه مادة قدم)

3 . تجافي: تتنحى ولم يلزم مكانه(نفسه مادة جفا).

4 تجلج: الجلج الاضطراب (نفسه مادة جلج).

5 . يعتورانه:يتبادلانها(لسان العرب مادة عور)

6 . حامت: استدارت من حام:دار (نفسه مادة حوم). الوكر: العش(نفسه مادة وكر).

7 . أناف بهادي السفينة:ارتفع وأشرف بعنقها أي مقدمتها(نفسه مادة نوف).

8 . الجرير: حبل الزمام(نفسه مادة جرر).

9 . الخدر: البيت الذي تستتر فيه العروس(نفسه مادة خدر).

فَما بلغَت حتّى اطـلاح خَفيرها وحتّـى أَتَت لـون اللحا من القشر[2]

وحتّى علاها الموج في جنَباتها بِأرديـة من نَسـج طُحلِبـه خُضر[3]

رمـت بِالكَرى أَهوالُها عن عيونهم فَباتَـت أَهاويلُ السرى بِهـم تَسـري[4]

تَـوم محـل الراغبيـن وحيـثُ لا تُـذاد إذا حلّـَت بِه أَرجـلُ السفـر[5]

ركبنـا إِليه البحـر في مؤخراتـه فَأَوفَـت بِنا من بعد بحرٍ إِلى بحـر[6]

ليصف لنا البحر وقد تلاطمت أمواجه بصوت مرتفع، هذا البحر الزاخر بالحيتان التي تعيش على لحوم الغرقى، ثم يصف الرياح وما تفعله بالموج والسفينة، وعن أهوال الليل التي كشفت عن أهوال البحر، وكيف أن الملاح هدأ من سيرها حتى جنبها الصخور، ووصف لنا لون السفينة الأبيض وصدرها وشكلها ومجدافيها ومؤخرتها والرحلة التي قامت بها من أولها إلى آخرها والزمن الذي استغرقته وهو عشرة أيام، هذه المدة كانت قد

---

1 . ليل التمام: أطول الليالي وهو أطول ما يكون بالشتاء(نفسه مادة تمم).

2 . الاطلاح: الكلال(نفسه مادة طلح).

3 . الطحاب: خضرة تعلو الماء(نفسه مادة طحب).

4 . رمت بالكرى:الكرى:النوم أي نفت النوم عن عيونهم(نفسه مادة كرى9.

5 . تذاد: تدف(نفسه مادة ذود).

6 مؤخراته: أواخر ركوبه(نفسه مادة اخر).

غيرت من لون السفينة من أبيض إلى أخضر لأن الأعشاب المائية علقت بجوانبها ،ونال من الملاح التعب الشديد، وكذلك عني مسلم بن الوليد بتبيان حال المسافرين من غرق ورعب استبدا بهم حتى وصلوا إلى الممدوح.

والملاحظ في القصيدة أنها وإن تخطت المظاهر البدوية الصحراوية في الوصف إلا أنه جنح أحياناً إلى بعض الصور الصحراوية مستمداً منها، كتشبيهه الأمواج وهى تضرب جوانب السفينة، وقطرات الماء تتناثر منها بالرياح التي تهب على الكثبان اللينة، وتطير ذرات رمالها.

وشبه صدر السفينة برأس الثور الوحشي، ومجدافيها بجناحي النسر، كما صور الملاح وهو يهدئ من سير السفينة ليجنبها الصخور بالشخص المتريث الذي يسير في شعب من شعاب الجبال الوعرة، وشبهه وهو ممسك بدفتها يقوم اعوجاجها بالفارس الممسك بلجام الفرس، وحبالها التي تُهدأ بها بزمام البعير. ولكن بالرغم من ذلك إلا إن وصفه تخلص إلى حد كبير من التشبيهات الصحراوية البدوية.

وتأنق أبو تمام في أسلوبه عندما تحدث عن السفينة وقال[1] في وصف رحلته إلى ممدوحه محمد بن عبد الملك الزيات:

حملت رجاي إليك بنتُ حديقـة غلبـاء لم تُلقـح لِفَحلٍ مقرف [2]

---

1 . ديوانه: 2: 396.

2 . بنت حديقة:هي السفينة، لأنها من خشب الحديقة. وجعل الحديقة مؤنثة، والسماء فحلها لأنها تلقحها بالمطر. الغلباء: العظيمة المتكاثفة الملتفة(لسان العرب مادة غلب).

نُتجت وقد حوت الهنَيدةَ وابتَنَت فـي شَطرها وتَبوعت في النَيف[1]

فَأتَت محلّي وهي حملُ بناتهـا تَسـري بقائِمتَـي خَريق حرجف[2]

فاعتامهـا ذو خبـرة بفُحولهـا نَـدس بجِبلَـة خَلفهـا متلَطـف[3]

حتّـى إذا تَمت فلَم يعجِزه مـن أَشلائِهـا مذخـورةُ المتلَهـف

صـارت إلي بجؤجؤ ذي ميعـةٍ قَـدمٍ تَـدف به وعجز مصـرف[4]

تَنسل في لُججٍ حكَت أَغمارهـا فعلَ المحمد في الزمان المجحف[5]

ثُم اجتَنَت شَلوي قَصرتُ جنينَها متَمكنـاً بقَـرارِ بطـنٍ مسـدف[6]

فَمتـى تَعثـر بالرفاق ذَكَرتَـه فَيمـر تَحتي قطـع ليلٍ أَغضـف[7]

فَأجاءها بعد المخاض طُلوقُهـا بمـراهق السنيـن كَهلٍ أَهيـف[8]

عوجـاء تَستَافُ الزمام وتَحتَذي عوجاً يجِدن لها استـلاب النَفنَف[9]

أَشـرت بِطَي الحي في أَثباجِها فَهـوت كَثُعبانِ الصفا المتَخَـوف[1]

---

1 . الهنيدة: مائة سنة(نفسه مادة هند).. تبوعت: مدت باعها (نفسه مادة بوع) أي بقت وطالت.

2 . حمل بناتها:أي ليس فيها شئ غير جنسها وهو الخشب، لأنها كانت تجري على الماء فارغة. ا. الخريق: الريح الشديدة الهبوب(نفسه مادة خرق)...والحرجف:الريح الباردة(نفسه مادة حرجف)

3) الندس: الفطين(نفسه مادة فطن)...الجبلة: الطبيعة والأصل(نفسه مادة جبل)..

4 . جؤجؤ ذو ميعة: الميعة من كل شئ معظمه (نفسه مادة ميع).

5 . الاغمار: جمع غمر، وهو الماء الكثير(لسان العرب مادة غمر). المجحف: يكلف ما لا يطاق (نفسه مادة جحف).

6 . الشلو: العضو(لسان العرب مادة شلا). الجنين: كل مستور جنين(نفسه مادة جنن).. مسدف: مظلم(نفسه مادة سدف).

7 . ليل أغضف: ألبس ظلامه (نفسه مادة غضف). والهاء في (ذكرته) للممدوح.

8 . أجاءها: أتاها(نفسه مادة جيا)وهي هنا أرساها. الطلوق: وجع الولادة. المراهق:هنا هو أبو تمام . الأهيف: ضامر البطن (نفسه مادة هيف)، وهو من صفات الشجعان.

9 . تحتذي: تجعل المجاذيف كالحذاء لها(نفسه مادةحذا)... العوج:القوائم(نفسه مادة عوج)وهي هنا المجاذيف. النفنف: الهواء(نفسه مادة نفنف).

أَمتـك والشَيطان يرهب ظلهـا فأتَتـك وهي تَفوقُ حام الأحنَـف[2]

فقد عمد إلى استنباط المعاني وأفاض في الحديث عن السفينة بدءاً بالأشجار التي صنعت السفينة من ألواحها وآنفاً قد تعهدت مدة طويلة حتى اشتدت وأصبحت صالحة لصنع السفن التي بدأت رحلتها مع اندفاع الرياح القوية لها وكانت المجاديف تساعدها في السير، وملاحها حاذق يقودها بحذر شديد ليرسيها، كما ذكر مقدمتها ومؤخرتها.

وهو وإن كان قد ابتعد عن الصور البدوية إلا أنه لم يستغن عنها، وآية ذلك ذكره في القصيدة لبعض الألفاظ الخاصة بالجاهلية، كالقوادم والفحول والزمام واللقاح والنتاج، مع تشبيهه للسفينة في سرعتها بالحية التي تنساب في توجس.

ثم جاءت مرحلة أخرى من مراحل الوصف البحري بعد فيها التأثر بالبيئة الصحراوية والخيال البدوي، وذلك نجده عند دعبل الخزاعي والحسين بن الضحاك من الشعراء العباسيين، يقول دعبل الخزاعي في وصف حراقة على نهر دجلة[3]:

عجِبتُ لِحراقة ابن الحسيـ ... ن كيفَ تَسير ولا تَغرقُ

وبحران من تَحتها واحد ... وآخَر من فَوقها مطبِقُ

وأَعجب من ذاك عيدانُها ... وقَد مسها كيفَ لا تورقُ

---

1 . أشرت:أشر:بطر (لسان العرب مادة أشر) أي بطرت بسمنها، يريد إحكام صنعتها، وقوة ألواحها، وإصلاح الملاحين لها.. الثبج: الوسط(نفسه مادة ثبج)...

2 . يرهب الشيطان ظلها: يخافها لعظمها وسرعة مرها(نفسه مادة رهب).

3 . ديوان دعبل الخزاعي: ص 183.

وقد راقنا منه معانيه اللطيفة كقوله إنها في بحرين، بحر من تحتها تعوم فيه، وبحر يعلوها ولا يغرقها، ذلك البحر الذي يعلوها هو ممدوحه ابن الحسين كما يروق إيجازه الذي مكنه من الوصف دون الخضوع إلى أوصاف الإبل والناقة.أما الحسين بن الضحاك فقد وصف السفينة مطيلاً، ولكنه تجنب استلهام التشبيهات البدوية الصحراوية، فيقول[1]:

رحلنـا غرابيـب زفافـة — بدجلة في موجها الملتطــم[2]

سكنا إلى خيـر مسكونة — تيممهـــا راغب عن أمـم[3]

كأن بها نشـر كافـورة — لبرد نداهـا وطيـب النسم[4]

كظهر الأديم إذا ما السحا — ب صاب على متنها وانسجم[5]

مبرأة من وحول الشتـاء — إذا ما طمي وحلـه وارتكم[6]

فما إن يزال بها راجـــل — يمـر الهوينـى ولا يلتطـم[7]

ويمشي على رسله آمنـاً — سليـم الشراك نقي القـدم[8]

---

1 . الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني: 7: 195، معجم الأدباء: 10: 19.

2 . غرابيب: جمع غربيب، وهو الأسود(نفسه مادة غرب)، الزفافة: السريعة(نفسه مادة زفف).

3 . أمم: قصد(نفسه مادة أمم).

4 . النشر: الرائحة الطيبة (نفسه مادة نشر).

5 . الأديم: الجلد(نفسه مادة ادم). .

6 . طمي: امتلأ (لسان العرب مادة طمي)

7 . الهوينى: السير البطئ (نفسه مادة نوا).

8 . على رسله: في هدوء ويسر (نفسه مادة رسل).

وللنون والضب في بطنها مراتـع مسكونـة والنعـم[1]

غدوت على الوحش مغترة روائع في نورهـا المنتظـم[2]

ورحت عليهـا وأسرابهـا تحـوم بأكنافهــا تبتسـم

ليصف لنا سفينته السريعة الضخمة، والتي تسير في نهر دجلة وسط الأمواج المتلاطمة المضطربة من حولها والنسمات الندية المعطرة تهب عليها، لم يلوثها وحل أو غثاء، ويستمر في هذه البهجة والسرور حتى يصف لنا الحيوانات المائية من حولها مبتهجة مسرورة بأضواء هذه السفينة تنتظر الخير من ركابها.

ونلاحظ أن سير السفينة في سهولة ويسر دون اعتراض الأمواج لها وسيرها في هدوء وأمن بمنأى عن الرعب والفزع والهواجس التي تتراوح بين الخوف من الموت والحنين للأهل، وبالرغم من حذق الملاح إلا إنه لم يكن الأمن في ركوب البحر متاحاً من قبل، بل كان يحفه الخوف وتتملكه المخاطر ، وتغوص في ألفاظه الوعورة والتشبيهات البدوية الصحراوية الخاصة بأوصاف الإبل والنوق والكثبان ،والرياح التي كانت تمثل عائقاً لها.

واستمر الشعراء في محاكاة النماذج التي كانت دائماً ما توازن بين البحر والصحراء، وبين السفينة والإبل أو النوق، متخذين أوجه الشبه: تلاطم الأمواج في البحر ووعورة الكثبان الرملية واعتراضها لحركة الدواب من جهة، ومشاعر الخوف وهواجس

---

1 . النون: الحوت (نفسه مادة نون).

2 . مغترة: غافلة (نفسه مادة غرر).

الموت من جهة أخرى، وخير دليل على ذلك أبيات البحتري التي يتحدث فيها عن رحلته إلى اسحق بن إبراهيم والتي يقول فيها[1]:

ورمت بنا سمتَ العراق أيانـقٌ   سحـم الخُـدود لُغامهن الطُحلُب[2]

من كُـل طائِرة بخَمس خَوافـق   دعـجٍ كما ذُعـر الظَليم المهذب[3]

يحملـن كُل مفّـرق في همـة   فُضلٍ يضيقُ بها الفَضاء السبسب[4]

ركبوا الفُراتَ إلى الفُرات وأملوا   جـذلان يبدع في السماح ويغرب[5]

إن أبيات البحتري السابقة أراد فيها وصف سفينة مطلية بالقار قد اخضر لونها لطول ما بقيت في الماء ولكثرة ما تعلق بها من أعشاب "الطحاب"، هذه السفينة سريعة مندفعة بسبب دفع مجاديفها الأربعة وهى في سرعتها هذي تشبه سرعة الظليم الجافل فزعاً في الصحراء. ثم يقول إنهم ركبوا "أي هو ورفاقه" الفرات إلى فرات آخر هو الممدوح بدافع الكرم والعطاء عند كلٍ همم يحملون في صدورهم عظيمة يريدون الوصول إلى الممدوح.

---

1 . ديوان البحتري: 1: 73، الموازنة: 2: 307.

2 . السمت: النحو والطريق(لسان العرب مادة سمت) الأيانق: جمع مفرده: أينق، وهو جمع ناقة(نفسه مادة نوق). سحم الخدود: أي سوادها (نفسه مادة سحم) وهو هنا سواد القار..، اللغام: زبد أفواه الإبل (نفسه مادة لغم). لغامهن الطحاب: أي الخضرة التي تتعلق بالسفن من طول المكث في الماء.

3 . دعج: سواد(نفسه مادة دعج). ذعر الظليم:خاف أي جفل بسرعة إذا فزع(نفسه مادة ذعر)، يريد سرعة السفن بسرعة الظليم. المهذب: السريع من الإهذاب (نفسه مادة هذب).

4 . السبسب: المفازة (نفسه مادة سبسب).

5 . جذلان: فرحان (نفسه مادة جذل).

ويظهر جلياً تأثر البحتري بألفاظ الصحراء من نوق سحم الخدود إذ جعل السفن نوقاً لها خدود ولغام، وشبهها في سرعتها بذكر النعام المفزع وهو يجفل في سرعة، هذا التأثر كان قد تخلص منه دعبل الخزاعي والحسين بن الضحاك.

أما ابن الرومي بوصفه أحد شعراء العصر العباسي فقد وصف رحلته في طول وتميز بقوله[1]:

ذكرتُك حين ألقتْ بي عصاها الـ ... نَوى بالنهر نهر أبي الخصيبِ[2]

وقـد أرسـتْ بنا في ضفتَيه الـ ... جـواري المنشآت مع المغيبِ[3]

غـدون بنـا ورحـن محمـلات ... قلوبـاً موقـرات بالكُـروبِ[4]

تجـوز بنـا البحار إذا استقلتْ ... وتُسلمها الشمالُ إلى الجنـوبِ[5]

وبيـن ضلوعهـا أبناء شـوق ... نـأتْ بهـم عن البلاد الرحيبِ[6]

إلـى دار أبـتْ فيهـا المنايـا ... رجوعـاً للمحـب إلى الحبيبِ

فقلـت ومقلتـاي حيـاء صحبي ... تـذودان الجفون عن الغروبِ[7]

لعـل الفـرد ذا الملكـوت يوماً ... سيقضي أوبةَ الفـرد الغريبِ[1]

---

1 . ديوان ابن الرومي: 1: 541.

2 . ألقت بى عصاها النوى:أي حين استقر. نهر أبى الخصيب: نهر بالبصرة لمولى من موالى أبى جعفر المنصور يدعى مرزوقاً.

3 . الجواري: السفن(لسان العرب مادة جرا). المنشئات: السفن المرفوعة الشرع (نفسه مادة نشا).

4 . موقرات بالكروب: مملوءة بالهم (نفسه مادة وقر).

5 . تجوز: تقطع(نفسه مادة جوز).

6 . الرحيب: الواسع (نفسه مادة رحب).

7 . الغروب: جمع غربو هي الدموع حين تجري(نفسه مادة غرب) ..

فمـا برحتْ عين العبرين حتى ردن إلـى الأبلـة من قريبِ[2]

وراحـت وهـي مثقلةٌ تهـادى إلى مغنى أبي الحسن الجديبِ[3]

محـل مـا تـرى إلا صـريعاً بـ ـه ملقـى وذا خـد تَريبِ[4]

وطـال مقامنـا فيـه وكـادتْ تنـال نُفُوسنـا أيدي شَعوبِ[5]

فلـم تـك حيلـةٌ نرجو خلاصاً بهـ ـا إلا التضـرع للمجيبِ[6]

ولمـا حـم مرجِعنَـا وصحـتْ على الإيجاف عزمات القلوبِ[7]

دخَلْنَـا من بنـات البحر جونـاً تهـادى بيـن شبانٍ وشيـبِ[8]

نـواجٍ فـي البطائـح ملقيـاتٌ حيازمهـا على الهول المهيبِ[9]

مـزممـةُ الأواخـر سائـرات علـى أصلابها شبَـه الدبيـبِ[10]

مسخّـرةً تجوب دجـى الليالي بمثـل الليـل كالفرس الذنوبِ[1]

---

1. الأوبة: الرجوع (لسان العرب مادة أوب)

2. العبر: جانب النهر. الأبلة: بلدة قرب البصرة من جانبها البحري(نفسه مادة ابل).

3. أبو الحسن: هو ممدوحة، واسمه علي بن محمد، وهو من أسرة بني فياض الفارسية، التي كان لها شأن في أيام ابن الرومي ببغداد.

4. خد تريب: علاه التراب(لسان العرب مادة ترب) .

5. شعوب: اسم للمنية، سميت به لأنها تفرق(نفسه مادة شعب).

6. التضرع: التذلل والمبالغة في السؤال والرغبة (نفسه مادة ضرع).

7. حم: حان وقرب(نفسه مادة حمم). الإيجاف: سرعة السير(نفسه مادة وجف)

8. الجون: السود(نفسه مادة جون).

9. نواج: مسرعات(نفسه مادة نجا). الحيازم: جمع حيزوم، وهو الصدر(نفسه مادة حزم). المهيب: الذي يهابه الناس ويخافونه(نفسه مادة هاب).

10. الصلب: الظهر(نفسه مادة صلب).

أبـــت أعجــازهــا بمقدمــات ... لهـــا إلا مطاوعــةَ الجنُوبِ[2]

غَنيــن عن القــوادم والهوادي ... وعــن إسراجهن لدى الركوبِ[3]

حططــن بواســط من بعد سبعٍ ... وقــد مال الشروقُ إلىالغروبِ

ووافتنــا ريــاح حامـــــلاتٌ ... إلينــا نشــر لابســة الشروبِ[4]

وألبســت الهواجــر في الفيافي ... نضــارةَ وجهه ثوب الشحوبِ[5]

فلــم نمــلك سوابــق مقْرحات ... من الأجفــان بالدمع السكوبِ[6]

ولمــا شارفــت بغداذ تســري ... بنــا والليــل مــزرور الجيوبِ

وقــد نُصبتْ لهــا شُرع ٌأقيمتْ ... بهــن صــدورهن عــن النكوبِ

تضايــق بي التصبر عنك شوقاً ... وأسلمنــي الزفيــر إلى النحيبِ[7]

ليبدأ وصفه لرحلته النهرية بالحديث عن ممدوحه، ثم عمد إلى رحلته التي أطال فيها وفصل، وصف السفينة وذكر أصحابه ورفاقه الذين امتلأت قلوبهم بالخوف الذي يزداد كلما ابتعدت السفينة عن بغداد ولكنه يتوجه بالدعاء إلى ا ليردهم غانمين سالمين. ثم ما برحت السفينة أن مالت وانحرفت إلى (الأبلة) فزال الخطر بوصوله إلى الممدوح

---

1 . الفرس الذنوب: وافر شعر الذنب(نفسه مادة ذنب).

2 . العجز: المؤخرة (نفسه مادة عجز).

3 . القوادم، والهوادي: الأعناق(لسان العرب مادة قدن ،وهدى على التوالي).

4) الشروب: جمع شارب(نفسه مادة شرب).

5 . الهوا جر: جمع هاجرة، وهي شدة الحر (نفسه مادة هجر).

6 . المقرحات: العيون المريضة(نفسه مادة قرح).

7 . النحيب: البكاء الشديد(نفسه مادة نحب).

الذي يذكره باسمه "أبى الحسن" ونال من عطاياه ولكنه ما لبث أن جنح إلى وصف رحلة الرجوع متضرعاً أن يتولاه برعايته في رحلة الإياب فتحمله سفينة ضخمة هو ورفاقه . وقد عمد في وصفه إلى بعض الألفاظ البدوية من قوادم وأعجاز وسروج في إيجاز سريع الغرض منه الإطراف وذلك حين قال:

مزممةُ الأواخر سـائرات   على أصلابها شبَـه الدبيبِ

غنين عن القوادم والهوادي   وعن إسراجهن لدى الركوب

غير أنه كان كثير الاهتمام وشديد العناية بتصوير مشاعره في رحلتى الذهاب والإياب وما كان يعتلج في نفسه من الوساوس والهواجس، الأمر الذي جعل رحلته تختلف عن رحلة سابقيه من الشعراء.

ومما قيل في تشبيه الممدوح بالبحر في الكرم قول صفي الدين الحلي:

لو أشبهتك بحار الأرض في كرمٍ   لأصبح الدر مطروحاً على الطُرق

ومما يجدر بنا أن نذكره أن الشاعر العربي سواء كانت بيئته صحراوية أثرت في وصفه وتشبيهاته الخاصة بالبحر ،أم ارتباطه بالبحر كان بسبب طبيعة المنطقة التي كان يعيش فيها ، فذلكم هو البحر الواسع المترامي الأطراف، والذي تنطوي أغواره وغواربه علي الرهبة والعطاء ، لجته عميقة، ولكنها تزخر بالجواهر والأسماك والحيتان فتارة يجود بالجواهر وتارة يجود بالأسماك،والممدوح مع هذا وذاك أجود منه في العطاء.

المبحثُ الثالثُ: وصف المرأة بالدرة

إن وصف الشعراء للحلي المستخرجة من البحر من در ولآليء، كان في الغالب الأعم بدافع وصف المحبوبة، ووصف ما عليها من حلي، فما أن يبدأ الشاعر في وصف محبوبته إلا ويتذكر صدرها ونحرها المملوء بالحلي والمجوهرات وما يلبث أن يشبهها بها .

والدر صعب المنال والطلب، وأكثر ما يتميز، بالصفاء واللون والصون لذلك شبه به الشعراء المرأة، ولكنهم اختلفوا في تشبيهاتهم ووصفهم للدر، فمنهم من شبه حديث المحبوبة بالدر المتناثر، ومنهم من شبه الدمع المتناثر بالدر وغير ذلك من التشبيهات .يقول امرؤ القيس:

كبِكر المقاناة البياض بصفرة   غذاها نَمير الماء غَير المحلل [1]

والبكر هي الدرة أي بكر الصدفة.

ومن التشبيه الغريب للدر والمرجان قول امرئ القيس في القوافي، والتي يذودها عن نفسه[2]:

أَذود القَوافي عني ذيادا   ذياد غلامٍ جرىء جوادا

فلمــا كثــرن وعنينَه   تَخيَّــر منهن ستا جِيادا [3]

---

1 . ديوان امرؤ القيس: 43 ،نمير الماء:الماء النامي أو الكثير عذبا كان أو غير عذب وهو الماء الناجع(لسان العرب مادة نمر)

2 . نفسه :98، العمدة في محاسن الشعر وآدابه:لابن رشيق القيرواني:413

3 . عنينه: أتعبنه(لسان العرب مادة عنا)

فأعـزلُ مرجانَها جانباً وآخذُ من درها المستَجادا

أي أن قوافيه تنقسم ما بين مرجان ودر، ولا يأخذ منها إلا الدر المستجاد مما يدل علي أن اللآليء والدر منها ما هو جيد ومنها ما هو يحمل عيباً.

وهذا هو طرفة بن العبد يوظفه في شعره عندما يلجأ إلى وصف عنق صاحبته البض، فيجد في اللؤلؤ خير ما يوصف به عنقها الأبيض، فيقول في معلقته المشهورة[1]:

وفي الحي أحوى ينفُض المرد شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

ويشبه قول طرفة بن العبد ما قاله علقمة الفحل في البيت[2]:

وجيد غزالٍ شادنٍ قردت له من الحلي سمطي لؤلؤ وزبرجد

وأما زهير بن أبي سلمي فقد شبه امرأة بثلاثة أوصاف في بيت واحد، كان من بين أحد هذه الأوصاف أن شبهها بالدرة فقال[3]

تَنازعها المها شَبهاً ودر الـ بحور وشاكهت فيها الظباء

ثم زاد فوضح ما في الدرةِ من صفات، وهي الملاحة والصفاء، فقال:

فأما ما فُويقَ العقد منها فمن أدماء مرتَعها الخَلاء

وأَما المقلتان فمن مهاة وللدر الملاحـةُ والصفاء [4]

1. ديوانه: 88
2. نفسه: 105
3. الأصمعيات ص 197 ، ديوانه ص 60
4. شعر زهير: 126

وهاهو كذلك[1] يشبه دموعه المتناثرة باللؤلؤ المنظوم وقد انقطع خيطه في وجه آخر من وجوه التشبيه بالدر، فيقول:

كأن عيني وقد سال السليلُ بهم   وعبرةٌ ماهم ، لو أنهم أمم[2]

غَرب على بكرة أو لؤلؤٌ قلقٌ   في السلك خان به رباتُه النُظُم

أما المرقش الأصغر فقد عد الدر من جملة ما يتحلى به ويتزين في قوله:

تَحلين ياقُوتاً وشَذراً وصيغَةً   وجزعاً ظَفاريا ودراً تَوائما

ومحبوبة الأعشى عندما رحلت من مكانها تخيلها وهي بين رفيقاتها فوصفها بأنها كانت إما بيضة مصونة في الرمل، أو هي درة مصونة حفظت وصقلت عند بائعي المجوهرات فيقول[3]:

أو بيضةٍ في الدعص مكنونة   أو درة شيفت لدي تاجر[4]

وعندما فاضت دموع الأعشى علي فراق محبوبته (ليلي) كفيض الدلاء انحدرت هذه الدموع المتساقطة تشبه حبات عقد من در خانه السلك فانفرط ،مشبهاً دموعه المنحدرة بحبات الدر فيقول:

فَفاضت دموعي كفَيض الغُرو   بِ إما وكيفاً وإما انحدارا [5]

---

1 . ديوانه: 102-103

2 . سال السليل: ساروا فيه سيراً سريعاً، والسليل واد بعينه(لسان العرب مادة سلل)، وما زائدة في قوله(ماهم)، وجواب لو محذوف في قوله (لو أنهم أمم).

3 . ديوان الأعشى: 178.

4 . الدعص:قور من الرمل مجتمع(لسان العرب مادة دعص) . شيفت:شاف الشئ شوفا جلّاه وشيفت: جليت (نفسه مادة شوف)

5 . ديوان الأعشى: ص 138، الغروب: واحدها الغرب:وهو: عرق في العين كثير سيلان الدمع، وهو هنا الدلو العظيمة(لسان العرب مادة غرب).

كما أسلم السـلك من نظمه   لآلئ منحـدرات صغارا

أما لبيد بن ربيعة فنجده يذكر الجمان البحري في معلقته في قوله [1]:

وتُضيء في وجه الظلام منيرةً   كجمانة البحري سل نظامها

ووجه آخر من وجوه تشبيه المحبوبة بالدرة عند المخبل السعدي عندما صور لنا رعشة الخوف من الموت عند الغائص وقد حفته المخاطر في لجة البحر،من هذه المخاطر سمك القرش والذي شبهه بسرعة السهم في سرعته وإمضائه، وينسل الغائص من الماء حاملاً درته الثمينة وقد تلبد علي صدره زبد البحر والزيت الذي علق به في أثناء قذفه له داخل البحر في بحثه عن الدر كما ذكر ذلك في الأبيات السابقة الذكر.

وقال قيس بن الخطيم في تشبيه المرأة بالدرة، وذكر غواصها وصدفها الذي يحتويها ويكون بمثابة الأم لها:

كأنهـا درةٌ أحاطَ بهـا الـ   غَواص يجلو عن وجهها الصدفُ [2]

أما حسان بن ثابت فقد وصف محبوبته عند خروجها في ساحة القصر بأنها قد فاقت تلك الدرة المصونة الخارجة من قعر الصدف وقد غالى بها الملوك قائلاً:

ولأنت أحسن إذ برزت لنا   يوم الخُروج بساحة القَصر

من درة أغلى الملوك بها   ممـا تَربب حـائر البحر[1]

1 . ديوانه: 209.

2 . يجلو: يكشف(لسان العرب مادة جلا)

أما الخنساء فقد انفرد تشبيهها للدمع باللؤلؤ في انسكابه وتتابعه حين تقول لعينيها اسكبي دمعا غزيراً بسخاء على أخي واجعليه يتتابع بعضه إثر بعض كما يتتابع اللؤلؤ في خيطه ويكر الواحدة تلو الأخرى فتقول[2]:

ياعينِ جودي بِدمعٍ منكَ مسكوبِ كلُؤلُؤٍ جالَ في الأسماطِ مثقوبِ

وقالت أيضاً في نفس المعنى (أي تشبيه الدمع في انسكابه وتتابعه بالدر المتتابع)[3]:

أَلا ما لِعينَيكِ لا تَهجع تُبكّي لَو ان البكاء ينفَع

كأن جماناً هوى مرسلاً دموعهما أَو هما أَسرع

تَحدر وانبت منه النظام فَانسل من سلكه أَجمع

أي كأن دموع عيني لؤلؤ قد انفرط عقده فانتثر، بل دمعهما أسرع.

والحطيئة قد جاء ذكره للدر أو اللؤلؤ في قوله[4]:

ِإذا هم بِالأعداء لم يثنِ همه كَعاب عليها لُؤلُؤٌ وشُنُوفُ [5]

وجميل بثينة "جميل بن معمر" فيصف المرأة باللؤلؤ، بل ويخص لؤلؤة معينة فيقول[6]:

---

1 . أراد بتريب: يعني الدرة التي يربيها الماء في قعر الصدف(لسان العرب ريب).

2 . ديوان الخنساء:183.

3 . نفسه: 205.

4 . ديوان الخطيئة: 95.

5 . الشنوف: جمع مفرده ا لشنف، وهو القرط.

6 . ديوان جميل بثينه : 91.

وأنت كلؤلؤة المرزبان   بماء شبابك لم تُعصري [1]

ثم يشبه كلام محبوبته بالدر حين يقول[2]:

غراء مبسام كأن حديثها   در تحدر نظمه منثور

أي أذا تكلمت كأن كلامها حباتُ در، انفرط عقدها فتحدر نظمها وانتثر.

أما ذوالرمة ، فيذكر تحدر اللؤلؤ المتناثر في تشبيهه لماء المزن المتحدر فيقول[3]:

فباتَ عذوباً يحدر المزن ماءه   عليه كحـدر اللؤلؤ المتناثـر

ويذكره باسم آخر هو الشذر والفرائد في قوله[4]:

سمعتَ من صلاصل الأشكال   والشذر والفرائد الغوالـي

أدباً على لباتها الحوالـي   هز السنى في ليلة الشمـال

والشذر: اللؤلؤ الصغار .. والفرائد: اللآلئ ..

ويصف كذلك الدموع المتناثرة باللؤلؤ المتناثر في قوله[5]:

أظن الذي يجدي عليك سؤالها   دموعاً كتبذير الجمان المفصل

وقوله: ما أجدي عليه أي لم يعطه.

1 . المرزبان: موضع قرب الشحر وهو رأس خارج إلى البحر على مكلأ(تاج العروس من جواهر القاموس مادة رزب) أو هو رئيس العجم....أعصرت المرأة: راهقت العشرين سناً أو دخلت عصر شبابها وأدركته(لسان العرب مادة عصر)

2 . ديوانه:90

3 . ديوان ذو الرمة:245

4 . أدباً:عجبا(لسان العرب مادة أدب).. اللبات: جمع لبه: وهي موضع القلادة من الصدر(نفسه مادة لبب).. "، الشذر: صغار اللؤلؤ(نفسه مادة شذر)، الفرائد: فرائد الدر كبارها(نفسه مادة فرد)

5 . ديوانه: 361

كذلك ذكر الأخطل أنواع الحلي التي تتزين بها المرأة وتتحلي بها من الدر والياقوت والشذر في قوله[1]:

والشذْر والدر والياقوتُ فصله نظام الزمرد فوق النحر معقود

زائداً في تعداد أنواع الزينة الزمرد، وذاكراً أنها تنعقد علي النحر لتزينه.

وقد شغله اللؤلؤ المنظوم شأنه في ذلك شأن سائر الشعراء فقال[2]:

وكأنما يجري على مدراته مما طَحاب لؤلؤٌ منظوم

وذهب علي بن الجهم مذهب أخرفي تشبيه الشيب الأبيض باللؤلؤ فقال[3]:

أنكرت ما رأت برأسي فقالت أمشيب أم لؤلؤٌ منظــــوم

وأما بشار بن برد فيقول:

تُريك أسيلَ الخَـــــد أشرقَ لونُه كشَمس الضحى وافت مع الطَلق أسعدا

ونَحراً يريك الـــــدر لما بدت لنا به لبــةٌ منها تَزين الزبرجـــَدا

وقال أيضا:

كأن الذي يأتيك من راحتَيهما عروس عليها الدر والنُفَساء

وابن الرومي كان قد جنح إلي وصف ثغرها بالدر في قوله [4]:

تُعنتُ بالمسواك أبيض صافياً تكاد عذارى الدر منه تَحدر

1 . ديوانه: 71

2 . ديوانه:4252

3 ديوانه:105

4 ديوانه:87

وممن ذكر وصف الدر في غير وصف المحبوبة وتشبيهها به صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي، الموصلي الأصل البغدادي اللغوي الأديب أبو العلاء[1] وكان عارفاً باللغة وفنون الأدب والأخبار، سريع الجواب، دخل الأندلس واتصل بالمنصور بن أبي عامر فأكرمه وأفرط في الإحسان إليه والإقبال عليه، ثم استوزره وألف للمنصور كتباً منها: كتاب سماه الفصوص على نحو كتاب النوادر لأبي عليٍ القالي. واتفق لهذا الكتاب حادثة غريبة وهي: أن أبا العلاء لما أتمه دفعه لغلامٍ له يحمله بين يديه وعبر نهر قرطبة فزلت قدم الغلام فسقط في النهر هو والكتاب، فقال في ذلك ابن العريف وكان بينه وبين أبي العلاء شحناء ومناظرات:

قَد غَاص في الْبحرِ كتَاب الفصوص وهكَـــــــــــذا كُلّ ثَقيلٍ يغُوص

فضحك المنصور والحاضرون فلم يرع ذلك صاعداً وقال على البديهة مجيباً لابن العريف:

عـــاد إلـى معـدنهِ إنــَما تُوجد في قَعرِ الْبحارِ الفصوص

1 معجم الأدباء:الحموي:2552ـ2553

الخاتمة

لقد تناول هذا البحث صورة البحر في الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى صدر الإسلام، وكشف عن أثر البيئة البحرية الجديد في الشاعر الجاهلي رغم تأثره الشديد بالصحراء وبيئتها.

وخلص إلى أنهم وصفوا البحر واعتمدوا في فنهم عليه في موضوعات عديدة، سواء كانوا قد أوجزوا وركزوا فيها، أو أطالوا وفصلوا، كل حسب بعده من البحر وعلاقته به.

فمنهم من ألم به إلماما سريعا كامرئ القيس بن حجر حين قال :

بعيني ظعن الحي لما تحملـ ـ ـوا　　　لدى جانب الأفلاج من جنب تيمرا

فشبهتهم في الآل لما تكمشـ ـوا　　　حدائـق دوم أو سفيناً مقيـ ـرا

وغيره من الشعراء كعبيد بن الأبرص وبشر بن أبي حازم الآسدي.

وقد ركز الشعراء على تشبيه الظعن المرتحلة بالسفن في حركتها وسرعتها وفي تجشمها الأخطار حين تسير في هذا البحر الهائج المضطرب ذاكرين كل ما يتعلق بهذه السفن من أنواع ،وملاحين وعدد مستعيرين أوصاف الإبل والخيل والنوق لنعت السفن، مبينين بذلك أن هنالك وجه شبه كبير بين الصحراء والبحر من جهة، وبين السفينة والإبل من جهة أخرى.

هذا الشبه يتمثل في الآتي :

السفر **وارتباطه بالمجهول** ،الفخامة ،حركة التموج ،حمل الأثقال ،والقار الذي تطلى به على أن أكثر التشبيهات شيوعاً تشبيه المحبوبة بالدرة، ووصفهم لاستخراج الدر من البحر ومعاناة الغواص في دخول البحر للحصول عليها ،حتى جاء وصفهم للغوص والغواصين في دقة وطرافة ، وشكلت أبياتهم في هذا الجانب وثائق تاريخية دقيقة.

ومن هذه الموضوعات أيضا وصف الرجل الكريم في كثرة نواله وعطائه بالبحر في حال فيضانه وامتلائه بالماء.

ولم يفتهم وصف الخوف والرعب الذي يتملك راكبي البحر، سواء كان هذا الركوب من أجل الغزو أو كان من أجل الانتفاع من البحر عندما يتكبد الغواص مشاق الغوص ويتعرض لخطر الأمواج المظلمة المضطربة أو خطر الأسماك الملتهمة (كسمك القرش).

وكذلك وصفوا الرحلات البحرية الشاقة، سواء كانت الرحلة إلى الممدوح أم رحلة الغواص ،والتي لم تكن بأقل مشقة من رحلاتهم البرية الصحراوية،لما يتخللها من هول ومشقة فضلا عن أغوار البحر ولجحه المظلمة وحيتانه..

وبالجملة فإن علاقة البحر بالإنسان علاقة ذات محاور متعددة وقضايا عديدة، ذكرها العربي في شعره وذكرت في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي، لتوضح مدى انتفاع الإنسان من البحر اقتصادياً واجتماعياً وحربياً (في الغزو والجهاد)كما ذكرت سفنه التي تمخر عباب الماء (التي تجري في البحر) ليبتغوا من فضله وينتفعوا به.

وسواء كان هذا أو ذاك فإن هذا الاسم "البحر" قد وقع على مسماه موقعا حسناً من ناحية معناه ومعاني أحرفه ودلالاتها اللغوية، لما في ذلك من توافق بين صفاته وصفات أحرفه .

وبالرغم من أن أدب البحر قد أضاف للشاعر العربي تشبيهات جديدة ومكنهم من أوصاف لم يألفوها إلا أنه لا يقارن بتشبيهاتهم وأوصافهم المرتبطة بالصحراء، بل إن المقارنة تكاد تكون مجحفة بالنسبة للبحر وأدبه.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

المتسلسل	السورة	رقمها	الآية الكريمة	رقمها
1	البقرة	2	"وإذْ فَرقْنَا بِكُم البحر فأنجيناكُم وأَغْرقْنَا آلَ فرعون وأَنتُم تَنظُرونَ"	50
	البقرة	2	"إن في خَلْق السماوات والأرض واخْتلاف الليل والنهار والفُلْك التي تَجري في البحر بِما ينفع الناس وما أَنزلَ اللّه من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كُل دآبة وتَصريف الرياح والسحابِ المسخرِ بين السماء والأرض لآيات لقَومٍ يعقلُون"	164
2	المائدة	5	أُحل لَكُم صيد البحرِ وطَعامه متَاعا لكُم وللسيارة وحرم عليكُم صيد البر ما دمتُم حرما واتقُواْ اللّه الذي إِليه تُحشَرون	96
3	الأنعام	6	وهو الذي جعلَ لَكُم النجوم لِتَهتَدواْ بِها في ظُلُمات البر والبحرِ قَد فَصلْنَا الآيات لِقَومٍ يعلَمون	97
4	الأعراف	7	وجاوزنَا بِبني إِسرآئيلَ البحر فَأَتَواْ علَى قَومٍ يعكُفُون علَى أَصنَامٍ لَّهم قَالُواْ يا موسى اجعل لَّنَا إِلَها كَما لَهم آلِهةٌ قَالَ إِنَّكُم قَوم تَجهلُون	138
5	يونس	10	وجاوزنَا بِبني إِسرائِيلَ البحر فَأَتْبعهم فرعون وجنُوده بغْيا وعدوا حتى إِذَا أَدركَه الغَرقُ قَالَ آمنتُ أَنه لا إِله إِلا	90

			الذي آمنَتْ بِه بنُو إسرائيلَ وأَنَا من المسلمين	
6	إبراهيم	14	اللّه الذي خَلَقَ السماوات والأرض وأَنزلَ من السماء ماء فأخْرج بِه من الثمرات رزقًا لكُم وسخر لكُم الفُلْك لِتَجري في البحر بِأَمره وسخر لكُم الأنْهار	32
7	النحل	16	وهو الذي سخر البحر لِتَأْكُلُوا منْه لحما طَرِيا وتَستَخْرِجوا منْه حليةً تَلبسونَها وتَرى الفُلْك مواخر فيه ولِتَبتَغُوا من فَضله ولعلكُم تَشكُرون (14) وأَلقَى في الأرض رواسي أَن تَميد بِكُم وأَنْهارا وسبلاً لعلكُم تَهتَدون (15) وعلامات وبِالنجمِ هم يهتَدون	14- 15
8	الكهف	18	أَما السفينَةُ فَكَانَتْ لِمساكين يعملُون في البحر فَأَردت أَن أَعيبها وكَان وراءهم ملك يأْخُذُ كُل سفينَة غَصبا	79
10	الكهف	18	وإِذْ قَالَ موسى لِفَتَاه لَا أَبرح حتى أَبلُغَ مجمع البحرين أَو أَمضي حقُبا	60
9	الحج	22	أَلَم تَر أَن الله سخر لَكُم ما في الْأَرضِ والْفُلْك تَجرِي في البحرِ بِأَمرِه ويمسك السماء أَن تَقَع علَى الْأَرضِ إِلَّا بِإِذْنه إِن الله بِالناس لَرءوف رحيم	65
11	لقمان	31	ولَو أَنَّما في الْأَرضِ من شَجرة أَقْلَام والْبحر يمده من بعده سبعةُ أَبحر ما نَفدتْ كَلماتُ الله إِن الله عزِيز حكيم	27

12	الفرقان	25	وما يستَوِي الْبحران هذَا عذْب فُراتٌ سائِغٌ شَرابه وهذَا ملح أُجاج ومن كُل تأْكُلُون لحما طَريا وتَستَخْرِجون حلْيةً تَلْبسونَها وتَرى الْفُلْك فيه مواخر لِتَبتَغُوا من فَضله ولَعلَّكُم تَشكُرون	53
13	الرحمن	55	ولَه الْجوارِ الْمنشَآتُ في الْبحرِ كَالْأَعلَامِ	24
15	الإنفطار	82	وإِذَا الْبِحار سجرتْ	3
16	قريش	106	(لِإِيلَافِ قُريشٍ، إِيلَافهِم رِحلَةَ الشتَاءِ والصيف"	1، 2

مسرد الأبيات الشعرية

صدر البيت	البحر	القافية	الروي	القائل
تنازعها المها شبها ودر الـ	الوافر	باء	ء	زهير بن أبي سلمى
ومهدل الشطين تحسب أنه	الكامل	قائه	ء	عبد ا محمد بن غالب البلنسي
لساني صارم لا عيب فيه	الوافر	لاء	ء	حسان بن ثابت
ذاب السحاب فهو بحر كله	الكامل	ماء	ء	ابن مطير
لقد أصبحتُ في فرعي معد	الوافر	ماء	ء	ذو الرمـة
ـ نهر سالَ في بطحاء	الكامل	ناء	ء	أبو إسحق بن خفاجة
يا حبذا من بنات الماء سابحـةٌ	البسيطُ	تُطْفئه	ء	أحمد بن محمد بن الأبار
سخر الله للأمين مطايا	الخفيفُ	رابِ	ب	أبو نواس
جزى الإله إياسا خير نعمته	البسيطُ	شابا	ب	الأعشى
ترى الملاح محتجزاً بليف	الوافر	غابا	ب	الأخطلُ
كأن الريطَ فوقَ ظباء فلجٍ	الوافر	يابا	ب	الأخطلُ
أعجب بأسطول الإمام محمد	الكاملُ	تغْربِ	ب	علي بن محمد الإيادي
حدثْ عن الروم في أقطار أندلس	البسيطُ	بالعربِ	ب	أبو الحسن عبد الملك بن عياش القرطبي
ذكرتُك حيثُ ألقتْ بي عصاها	الوافر	صيبِ	ب	ابن الرومي
فالماء يجلو متونهن كما	المنسرح	وًا قُشُبا	ب	لبيد بن ربيعة

فكأن ظُعنَهم غَداةَ تَحملوا	الكامِلُ	مغْربِ	ب	بِشْر بن أَبِي خَازِمٍ
ولو تَفَلَتْ في البحرِ والبحر مالِح	الطويلُ	عذْبا	ب	جميلُ بن معمر
كالبحر يقْذفُ لِلقَرِيبِ جواهرا	الكامِلُ	حائِبا	ب	لاَ يعرفُ قَائِلُه
لا أَركَب البحر أَخْشَى	المجتَث	عاطب	ب	ابن حمديسٍ الصقلي
لا تَعجبن لِرأْسي كيفَ شَاب أَسى	البسيطُ	لم يشبِ	ب	**مصعب بن محمد بن أَبي الفُرات القُرشي**
لَكِيز لها البحران والسيفُ كلّه	الطويلُ	كارِب	ب	الأَخْنَس بن شهابٍ التغْلِبي
وبحر يحار الطرفُ فيه قَطَعتُه	الطويلُ	لا جربِ	ب	أَبو الشيص
ورمتْ بِنَا سمتَ العراق أَيانقٌ	الكامِلُ	ن الطحلُب	ب	البحتُري
ولابِسٍ ثُقّب الأعراض جوهره	البسيطُ	ـه الحبب	ب	ابن حمديسٍ
وملْعب النون يرى بطْنُه	السريع	تَصعب	ب	بشار
ياعين جودي بِدمع منْك مسكُوبِ	البسيطُ	ثُوبِ	ب	الخَنْساء
لو رأَى في السقْف مرجا	الرملُ	موتا	ت	أَبو نُواسٍ
موسى وموسى فَوقه التابـوتُ	الرجز	التابوت	ت	العجاج
لو رأى في الجو صدعاً	مجزوء الرمل	يموتا	ت	أَبو نُواسٍ
نجا يونس في اللجة	الهزج	الحوت	ت	ابن الرومي
وما صبري عن الذلَـفاء إلّا	الوافر	الفرات	ت	جرير

وبحري تلاعب في شريط	الوافر	موت	ت	لسان الدين بن الخطيب
فجاء بها ما شئتَ من لطمية	الطويلُ	موج	ج	أبو ذُؤَيبٍ الهذَلي
يمانيةٌ هوجاء أو قطَريةٌ	الطويلُ	سيج	ج	الراعي النميري
كأن ابنة السهمي درةُ قامسٍ	الطويلُ	هيج	ج	أبو ذُؤَيبٍ الهذَلي
وزالتْ بهم صهب سباطٌ كأنها	الكاملُ	عمج	ج	مليح بن الحكم
أجالِد صفهم ولقد أراني	الوافر	باح	ح	بشْر بن أبي خَازِمٍ
وإن لنا بر العراق وبحره	لطويلُ	يسبح	ح	الأخْطَلُ
كأن الظعن حين طفَون ظهرا	الوافر	راحا	ح	النابغَةُ
تبصر خَليلي هلْ ترى من ظعائنٍ	الطويلُ	روح	ح	عبيد بن الأبرص
جوانبها تغشى المتالِفَ أشرفَتْ	الطويلُ	نُوح	ح	عبيد بن الأبرص
معبدة السقائِف ذات دسر	الوافر	داح	ح	بشْر بن أبي خَازِمٍ
فطابت ريحهن وهن جون	الوافر	لاح		بشْر بن أبي خَازِمٍ
وما خَليج من المروت ذو حدبٍ	البسيطُ	ضال	ح	أوس بن حجر
لقد نَزلتُ بعبد الله منزلةً	البسيطُ	منْتَقَد	د	الأخْطَلُ
تكاد إذ حرك مجدافُها	السريع	واليد	د	المثقب العبدي
هام صرفُ الردى بهامِ الأعادي	الطويلُ	ياد	د	ابن الحداد
أخَذَ العذارى عقْده فنَظمنَه	الكاملُ	سرد	د	النابغَةُ
إن تَكُ عبس ولدتْ وليدا	الرجز	زيدا	د	الأخْطَلُ

بالدر والياقوت زين نحرها	الكاملُ	برجد	د	النابغَةُ
عوم القوادس فقّى الأردمون بها	البسيطُ	ب الزبـ د	د	زهير بن أبي سلمى
فما الفُراتُ إذا هب الرياح له	البسيطُ	بالزبد	د	النابغَةُ
كأن حدوج المالكية غُدوةً	الطويلُ	من دد	د	طَرفَةُ بن الْعبد
لك البر والبحر العظيم عبابه	الطويلُ	بيد	د	ابن هانئ الأنْدلُسي
ما البحر حين تهب الريح شامية	البسيطُ	بالزبد	د	حسان بن ثابت
يظلُّ من خوفه الملّاح معتَصماً	البسيطُ	والنجد	د	النابغَةُ
وأتلع نهاض إذا صعدت به	الطويلُ	مصعد	د	طَرفَةُ بن الْعبد
وجيد غزالٍ شادنٍ فردت له	الطويلُ	برجد	د	علْقَمةُ الْفَحل
وفي الحي أحوى ينفُض المرد	الطويلُ	برجد	د	طَرفَةُ بن الْعبد
وقُربت لِمسير منك يومئذ	البسيطُ	لا تَلد	د	بشار بن برد
وما مزبد يعلو جزائر حامز	الطويلُ	غَرقَدا	د	الأخْطَلُ
أذود القوافي عني ذيادا	المتَقَارب	وادا	د	امرؤ الْقيس
يا من رأى الفُلك فوق الموج طافيةً	البسيطُ	ها العمد	د	أبو عمر بن حربون
يسعى بها ذو تُومتين مشَمر	الكاملُ	صاد	د	الأسود
يشُق حباب الماء حيزومها بها	الطويلُ	باليد	د	طَرفَةُ بن الْعبد
يظل من خَوفه الملاح معتَصما	البسيطُ	والنجد	د	النابغَةُ الذبياني

لأدماء منْها كالسفينة نَضحتْ	الطويلُ	ديدها	د	الْحطَيئَةُ
والشذْر والدر والياقُوتُ فَصلُه	الْبسيطُ	معقُود	د	الْمرقشُ الأَصغَر
كمضيئة صدفية غَواصها	الْكَاملُ	ويسجد	د	النابِغَةُ
والنهر بين اعتدالٍ	الْكَاملُ	أَود	د	كشَاجِم
أَقُولُ وقَد لاح السفين ملججا	الطويلُ	صور	ر	أَعرابِي
إِذا الحوتُ من حوماتهن اختَلَجنَه	الطويل	جرجر	ر	الفرزدق
يكُب السفين لِأَذقانه	الْمتَقَارِب	دورا	ر	الأَعشَى
فَألقَيتُه يوماً يبيد عدوه	الطويلُ	عابِرا	ر	النابِغَةُ
ولاعبني على الأَنْماط لعس	الوافر	ريِر	ر	عمرو بن الأَهتَم
غَرائِر في ركْنٍ وصونٍ ونعمة	الطويلُ	قَترا	ر	امرؤُ الْقَيسِ
وأَنت كلُؤلُؤة الْمرزبانِ	الْمتَقَارِب	تُعصري	ر	جميلُ بن معمرٍ
وما مزبِد من خَليج الْفُرات	الْمتَقَارِب	سورا	ر	الأَعشَى
إِذا رهب الموج نُوتيه	الْمتَقَارِب	بِيارا	ر	الأَعشَى
بعثْن لِتَأْمين الْبحورِ جنُودها	الطويلُ	حورها	ر	القاضي أبو عبد ا محمد بن يحيى ابن غالب
تَرى مترع الشيزى الثقال كأَنما	الطويلُ	ض الْبحرِ	ر	الأَخْطَلُ
لها منْسم مثْلُ المحارة خفَةً	الطويلُ	أَعسرا	ر	الشماخُ بن ضرارٍ
مثْلَ الْفُراتي إِذا ما طَما	السريع	ماهرِ	ر	الأَعشَى

وما رائح روحته الجنوب	المتقارب	يارا	ر	الأعشى
أو بيضة في الدعص مكنونة	السريع	تاجر	ر	الأعشى
ولأنت أحسن إذ برزت لنا	الكامل	قصر	ر	حسان بن ثابت
بعيني ظعن الحي لما تحملوا	الطويل	تيمرا	ر	أمرؤ القيس
تمنيتُ من حبي بثينة أننا	الطويل	وفْر	ر	جميل بن معمر
حيثُ الجزيرةُ والخليج يحفها	الوافر	واره	ر	أبو الحسين محمد بن سفْر
غراء مبسام كأن حديثُها	الكامل	نُور	ر	جميل بن معمر
فأسبل دمعي كفض الجمان	المتقارب	منْحدر	ر	أمرؤ القيس
فبات عذوباً يحدر المزن ماءه	الطويل	ناثر	ر	ذُو الرمة
ففاضت دموعي كفيض الغروب	المتقارب	دارا	ر	الأعشى
كأن بغُلّان الرسيس وعاقل	الطويل	فيرا	ر	زهير بن أبي سلمى
كجمانة البحري جاء بها	الكامل	بحر	ر	المسيب بن علس/ الأعشى
كشفْتُ أهاويل الدجى عن مهولة	الطويل	بكْر	ر	مسلم بن الوليد
ولما تولى البحر والجود صنوه	الطويل	أبحر	ر	البحتُري
ما يجعلُ الجد الظنون الذي	السريع	زاخر	ر	الأعشى
من البيض معطار يزين لبانها	الطويل	وافُ	ر	جميل بن معمر
وما الفُراتُ إذا جاشت حوالبه	البسيطُ	ه العشر	ر	الأخْطلُ
وإجانةٌ فيها الزجاج كأنها	الطويل	بحر	ر	الأخْطلُ
وعذراء لا تجري بلحم ولا دم	الطويل	دبر	ر	بشار

ومطرد الأمواج يصقُلُ متْنَه	الطويلُ	ميره	ر	ابن حمديس
وملتَطم الأمواج يرمي عبابه	الطويلُ	فَالْعبر	ر	مسلم بن الْوليد
يغادر صرعى من أراك وتنضبٍ	الطويلُ	غَادر	ر	كُثَير عزةَ
النهر قَد رقتْ غَلالَةَ صبغه	الْكاملُ	راز	ر	ابن قَبـاوةَ
وحربية تَرمي بمحرق نَفْطَها	الطويلُ	عاطسا	س	ابن حمديس
كليلٍ مظلمِ الحجرات داجٍ	الوافر	واص	ص	عبيد بن الأبرص
عاد إِلى عنْصره إِنما	السريع	صوص	ص	صاعد بن الْحسن بن عيسى
يداك يد خَيرها يرتَجى	المتَقَارب	غَائِظَه	ض	الخليل بن أحمد
يلام أَبو الفَضل في جوده	المتَقَارب	فيضا	ض	دعبل
أَلا ما لِعينَيك لا تَهجع	المتَقَارب	ينْفَع	ع	الْخَنْساء
ولأَنتَ أَجود من خَليجٍ مفعمٍ	الكاملُ	قَاع	ع	الْمسيب بن علَسٍ
أَتَيناك نَرجو من نَوالك نَفحةً	الطويلُ	تَابِع	ع	ذُو الرمة
كأن دوي الحلي تَحتَ ثيابِها	الطويلُ	عازعا	ع	ابن أحمر
كالتؤَامية إِن باشَرتَها	الرملُ	مضطَجع	ع	سويد بن أَبِي كاهلٍ الْيشْكُري
وكأن غاربها رباوةُ مخرِمٍ	الْكاملُ	راع	ع	الْمسيب بن علَسٍ
وما مجاوز هيت إِن عرضتَ له	الْبسيطُ	واطلَعا	ع	الأَعشَى
إِذا هم بِالأَعداء لم يثنِ همه	الطويلُ	نُوفُ	ف	الحطَيئَةُ
حملت رجاي إِليك بنتُ حديقة	الْكاملُ	مقْرِف	ف	أَبو تَمامٍ
كالبحر يرسب فيه لُؤْلُؤُه	الْكاملُ	ـه جيفُه	ف	ابن الرومي

كأنها درةٌ أحاطَ بها الْ	الْمنْسرِح	ها لصدفُ	ف	قَيس بن الْخَطيمِ
من كلّ مرجانَة في البحرِ أخرجها	البسيط	هاالصدفُ	ف	الأعشَى
غَدوا من دورجِ الكَريون	الْوافِر	هم حزقُ	ق	عبد ا ـ بن قَيسٍ الرقيَاتُ
قَدمعي لُؤلُؤٌ ساس عراه	الرملُ	ِليقُ	ق	الْمفَضلُ النكَرِي
أغَرَ أبيض فَياض يفكك	الْبسيطُ	ها الربقا	ق	زهير
ألا فارجه واخشَه إِنه	الْمتَقَارِب	والْغَرقْ	ق	ابن الرومي
بشْرى بيوم المهرجانِ فَإِنه	الْكَاملُ	رونَقُ	ق	ابن اللبانَة
عجِبتُ لِحراقة ابنِ الحسيـ	الْمتَقَارِب	تَغْرقُ	ق	دعبِل
كأنها درةٌ زهراء أخرجها	الْبسيطُ	ها الغَرقا	ق	الأعشَى
لَو أشْبهتْك بِحار الأرضِ في كَرمٍ	الْبسيطُ	علَى الطرق	ق	صفي الدينِ الْحلي
مررنَا بِشَاطي النهرِ بين حدائِق	الطويلُ	فُ الْحدقْ	ق	ابن الْعطارِ
وزاقَت كموجِ البحرِ تَسمو أمامها	الطويلُ	لاَحقُ	ق	أَبوذُؤيبٍ الْهذَلي
ومارِد من غُواة الجِن يحرسها	الْبسيطُ	ها تَرقَا	ق	الأعشَى
يامن يميزني لا تَزدري خَلْقي	الْبسيطُ	عن خُلُقي	ق	يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر
يقمص بِالبوصي فيه غَوارِب	الطويلُ	يغرق	ق	سلامةُ بن جنْدلٍ
أَو سركُم إِذ لحقنا غَير فَخركُم	الْبسيطُ	ةَ السمك	ق	أَوس بن حجرٍ

وجدتَ علياً بانياً فَورثتَه	الطويلُ	ماِلكا	ق	الأعشَى
يغشى الحداةُ بِهِم وعثَ الكثيبِ كما	البسيطُ	ة العرك	ق	زهير بن أَبِي سلْمى
سمعتَ من صلاصلِ الأشْكالِ	الكاملُ	الغَواِلي	ق	ذُو الرمة
حرصاً عليها لو ان النَفس طاوعها	البسيطُ	أَو عَرِقا	ق	الأعشَى
الحمد لله الـذي نـجى السمك	الرجز	الشبك	ك	ابن الرومي
تَـقَرد فـَلبي فَما يشـتَيِك	الْمتَقَارب	السمك	ك	أَبو نُواسٍ
فَإِذا رأَوه خاشعاً	الكاملُ	لاحلْ	ل	الأعشَى
إِذَا ما استَحمتْ كان قَطْر حميمها	الطويلُ	حاِلي	ل	امرؤ الْقَيسِ
أَضحى بِعانَةَ زاخراً	الكاملُ	ساِئلْ	ل	الأعشَى
ولكن ربي رب يونُس إِذ دعـا	لطويلُ	ساِئلْ	ل	الفرزدق
ألم تَر أَن ا َ ذَللَ بحره	الطويلُ	حلاِئِل	ل	لبيد
تَحملَ منْه البحر بحرا من الْقَنَا	الطويلُ	هولُ	ل	ابن دراجٍ الْقَسطَلي
تَدافُع غَسانية وسطَ لُجة	الطويلُ	تُرسلا	ل	ضابِئُ بن الْحارِث
تَكاد يداه تُسلمانِ رداءه	الطويلُ	ماِئِلُ	ل	الْحطَيئَةُ
خَشي الصراري صولةً	الكاملُ	وازِل	ل	الأعشَى
دلاص كظَهرِ النون ما يستَطيعها	الطويلُ	واخلُ	ل	المزرد الغطفاني
كَبِكرِ المقاناة البياضِ بِصفرة	الطويلُ	حلال	ل	امرؤُ الْقَيسِ

له بحر يقمص بالعدولي	الْوافر	ثقَال	ل	النابِغَةُ
هل تَرى عيرها تُجيز سراعاً	الْخَفيفُ	وال	ل	عمرو بن قُميئَةَ
واستَقْبلتْك السابحاتُ مواخرا	الْكاملُ	وَملُ	ل	لِسان الدين بن الْخَطيبِ
وإن أدبرت قُلتَ مشحونَةٌ	الْمتَقَارب	قُولاَ	ل	بشَامةُ بن الغَديرِ
ولو جاراك أبيض مثْلِئب	الوافر	يالُ	ل	بِشْر بن أبِي خَازِمٍ الأسدي
وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سدوله	الطويلُ	ببتَلي	ل	أمرؤ الْقَيسِ
وما قيمةُ الدر الثمين وقدره	الطويلُ	فَصلُ	ل	أبوالْفَرجِ بن هنْدو
خُدلجة روُْدة رخْصة	المتَقَارب	دي الْخَولْ	ل	امرؤ الْقَيسِ
تعلم حـوتُ يونس منـه	الْوافر	سلما	م	ابن الرومي
فما نيلُ مصرِ إذ تَسامى عبابه	الطويلُ	مفْعما	م	الأعشَى
وما مزبِد من خَليج الفُرات	الْمتَقَارب	ينْحطم	م	الأعشَى
بِلبانه زيتٌ وأخرجها	الْكاملُ	لَخْم	م	الْمخَبلُ السعدي
تَكَأكَأ ملّاحها وسطَها	الْمتَقَارب	بِلْتَزِم	م	الأعشَى
حباني أخي الجِني نَفسي فداؤُه	الطويلُ	خضرِمِ	م	الأعشَى
وجلا السيولُ عن الطلُول كأنها	الْكاملُ	لامها	م	لَبِيـد
ألا خَيلت مي وقد نام صحبتي	الطويلُ	لامها	م	ذُو الرمة
أنكرت ما رأت بِرأسي فقالت	الْخَفيفُ	ظُوم	م	علي بن الْجهمِ
أو درةٌ من هجان الدر أدركها	الْبسيطُ	قَد سهما	م	الْقَطامي
تَحلين ياقُوتًا وشَذْرا وصيغَةً	الطويلُ	وائما	م	الْمرقشُ الأصغَر

تَغْدو إذا حرك مجدافُها	السريع	كالدلم	م	المرقشُ الأكبر
حتّى إذا ألقَت يداً في كافر	الكاملُ	لامها	م	لبيد
رحلنَا غَرابيب زفافةً	المتَقَارِب	ملتَطم	م	الحسين بن الضحاك
كعقيلة الدر استَضاء بها	الكاملُ	ها العجم	م	المخَبلُ السعدي
عوم السفين فلما حالَ دونَهم	البسيطُ	فَالكرم	م	زهير
كالحوت لا يكْفيه شَيء يلْهمه	الرجز	ماء فَمه	م	رؤْبةَ
كأن عيني وقَد سالَ السليلُ بِهم	البسيطُ	هم أمم	م	زهير
هل تَرى من ظَعائِنٍ باكرات	الخَفيفُ	ن انْقحام	م	أَبو داؤود الأيادي
وحفٌ كأن الندى والشمس مانعةٌ	البسيطُ	تُوم	م	ذُو الرمة
وكأنما يجري على مدراته	الكاملُ	ظُوم	م	المرقشُ الأصغَر
صادت القَلْب بِعينَي جؤْذُرٍ	الرملُ	جم	م	طَرفةُ بن العبد
وما مزبِد من خَليج الفُرات	المتَقَارِب	تَلْتَطم	م	الأعشَى
تغمه النشـ ـرة والنسيـ ـم	الرجز	عوم	م	أبو نخيلةَ الراجز
ينزعن إِمةَ أَقوامٍ لِذي كرمٍ	البسيطُ	إِذْ عدموا	م	زهير
وتُضيء في وجه الظلامِ منيرةً	الكاملُ	ظَامها	م	لبيد
تَبين صاحبِي أَتَرى حمولاً	الوافر	فينِ	ن	عبيد بن الأبرص
لك الخَير قد أَوفى بعهدك	الطويلُ	طَانِ	ن	ابن دراجٍ القَسطَلي
يقطعن أَميالَ أَجواز الفَلاة كما	البسيطُ	بِالسفُنِ	ن	زهير

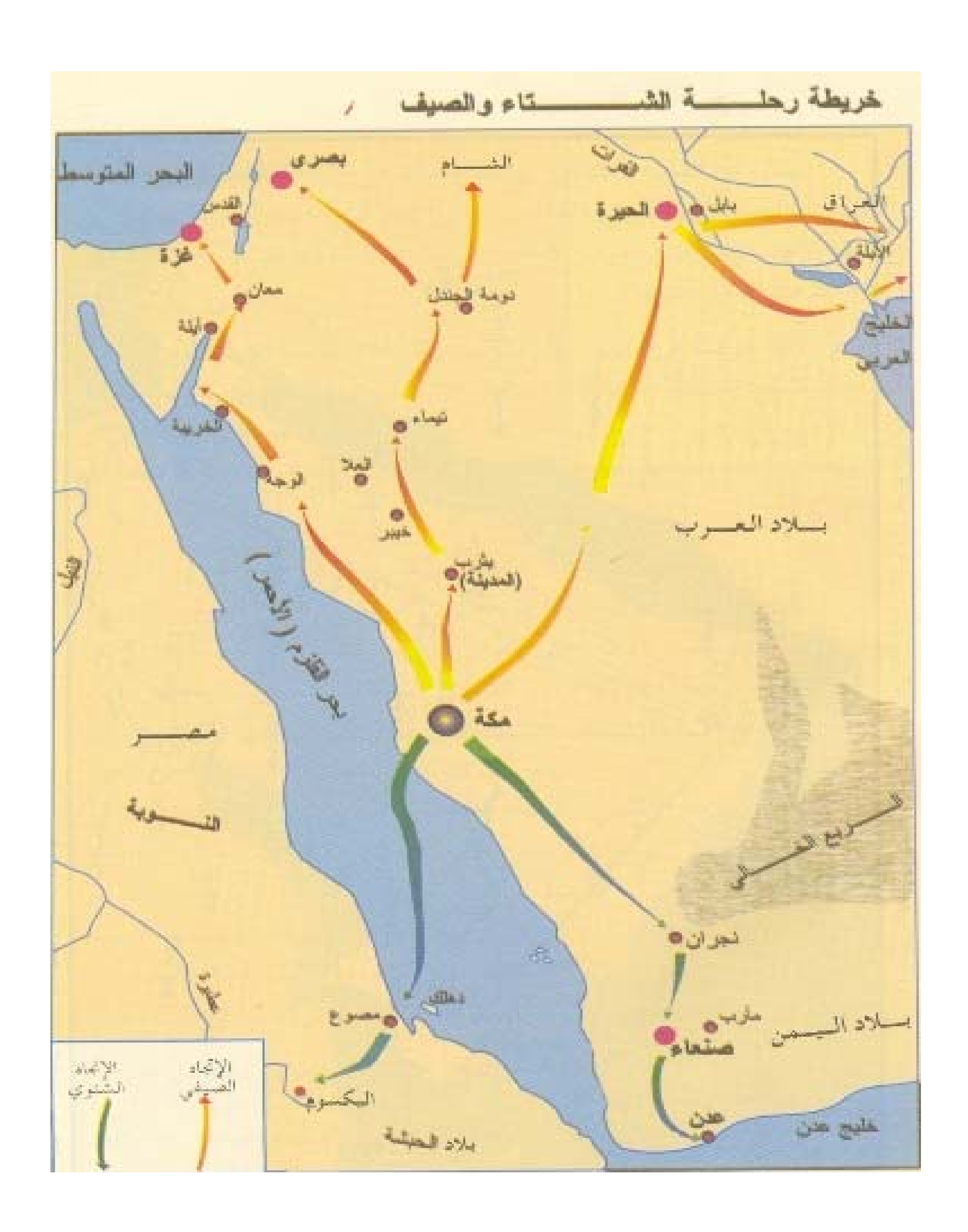
أَقاطم قبلَ بينك متعيني	الْوافر	تَبِيني	ن	الْمثَقب الْعبدي
تَناهى البحر في عرضٍ وطول	الْوافر	كُنْه	ن	ُأميةُ بن َأبِي الصلْت
رأَوا "حربِيةً" تَرمي بِنفْط	الْوافر	عان	ن	ابن حمديس
رأى من جريها الغَواص هولاً	الْوافر	نُونَا	ن	ابن أحمر
كأَن الكُور والأَنْساع منْها	الْوافر	هينِ	ن	الْمثَقب الْعبدي
كسفينَة الْهنْدي طَابقَ درءها	الْكَاملُ	هانِ	ن	لَبِيد
متَى تَأْتيه تَأْتي لُج بحرِ	الْوافر	فين	ن	زهيرٍ
لَك الْخَير قَد َأوفَى بِخَيرِك خَيران	الطويلُ	سلْطَان	ن	ابن دراجٍ الْقَسطَلي
ملَأْنَا البر حتى ضاقَ عنا	الْكَاملُ	فينَا	ن	عمرو ابن كُلْثُومٍ
لِمنِ الظعن بالضحى طافيات	الْخَفيفُ	فينِ	ن	الْمرقش الأَكْبر
وتَهفُو بِهاد لَها ميلعٍ	الْمتَقَارِب	مونَا	ن	ُأميةُ بن َأبِي عائِذ
ما النيلُ َأصبح زاخراً من مده	الْكَاملُ	رى لَها	هـ	الأَعشَى
الْبحر مر الْمذَاق صعب	الْبسيطُ	تي ِإلَيه	هـ	ابن رشيق
تَـغَمده آذي بـحر فَـغَمه	الطويلُ	آكله	هـ	جرير
قَواصد كافور تَوارِك غَيره	الطويلُ	وافيا	ي	الْمتَنبي
تَرفع في جرِيٍ كأن اطيطه	الْخَفيفُ	والِيا	ي	أميةُ بن َأبِي الصلْت

فهرس الأمثال

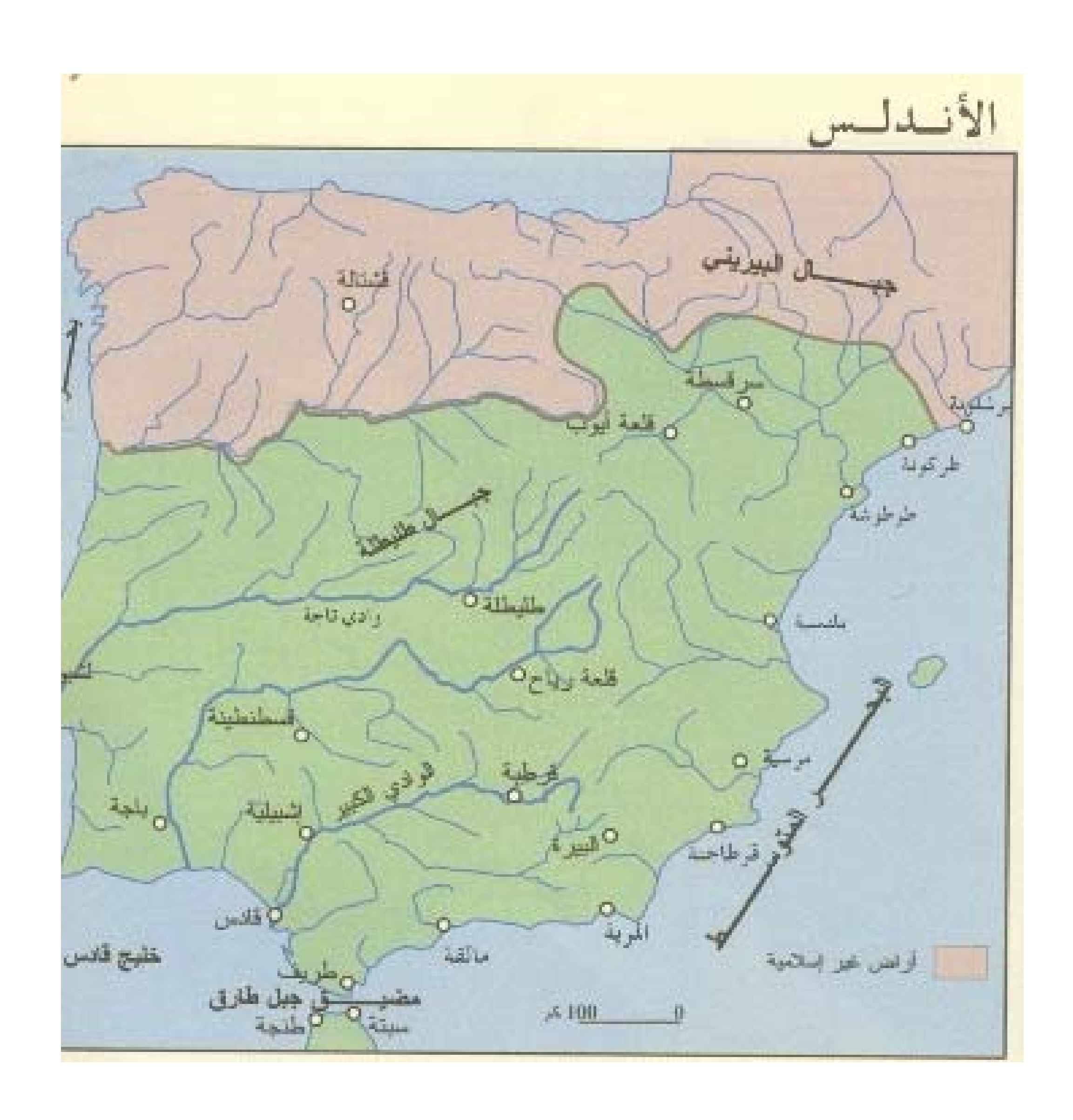
المثـ ـ ـل	المتسلسل
أعمق من البحر	1-
أندى من البحر	2-
جاء بالطمّ	3-
أجود من لافظة	4-
إنما هو الفجر أو البحر	5-
دأماء لا يقطع بالأرماث	6-
سال بهم السيل وجاش بنا البحر	7-
أسمع من لافظة	8-
لا تقعن البحر إلا سابحاً.	9-
يصبح ظمآن وفي البحر فمه	10-
غني حتى غرف البحر بدلوين	11-
من كثرة الملاحين غرقت السفينة.	12-
إن السفينة لا تجري على اليبس	13-
سفينة نوح، للشيء الجامع	14-
شر السمك يكدر الماء.	15-
هذا يصيد وهذا يأكل السمكه	16-
الغريـق بكـلّ حبـل يعـلق	17-

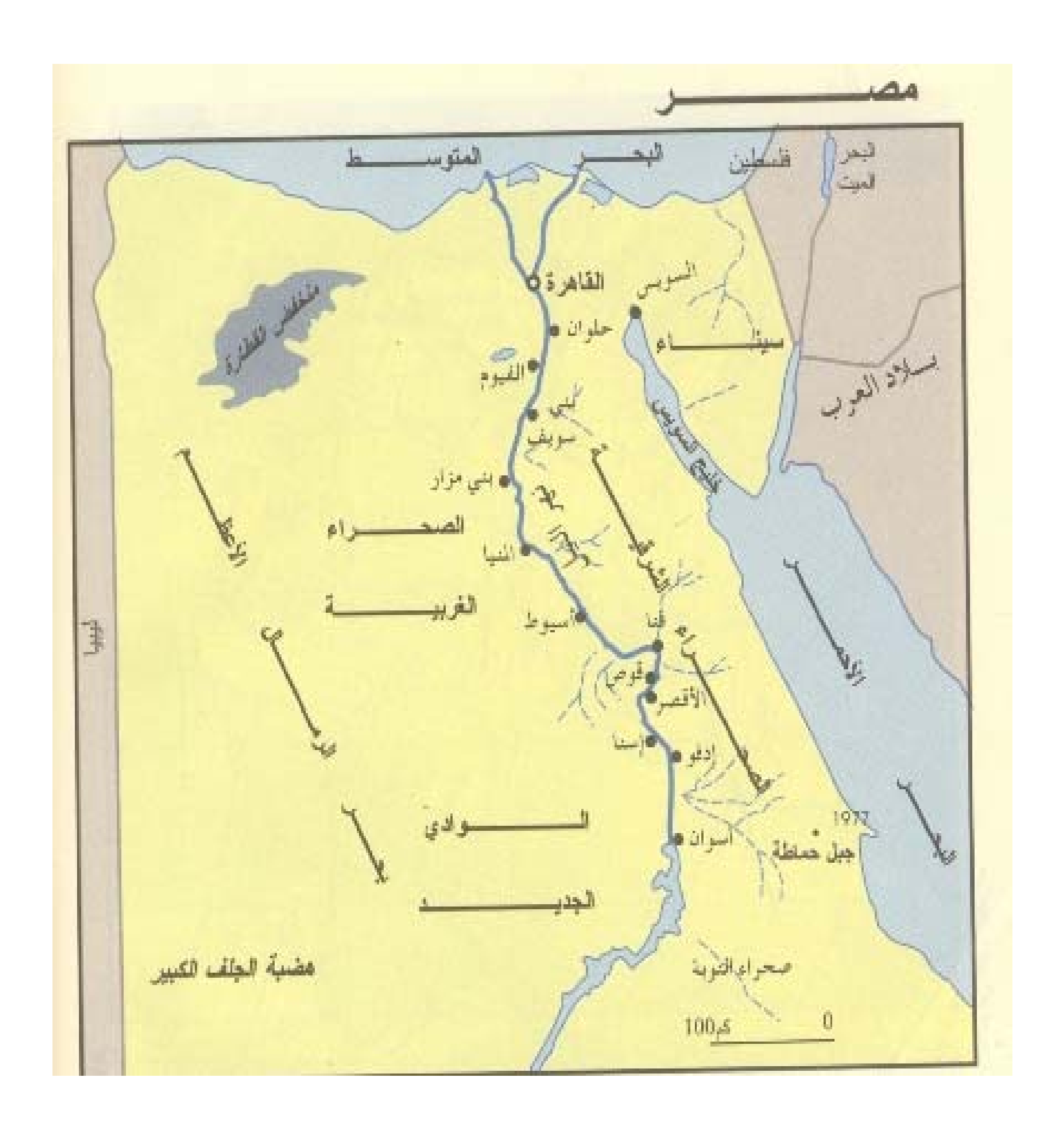
18-	ومـن قـصد البـحر استـقلّ الســواقـيا
19-	إلـى أن يـرجـع المـاء عائـداً وتعشب شطّاه تموت ضفادعه
20-	ألا فارجـه واخـشه إنـه هو البـحر فيـه الغنى والغرق
21-	كالبـحر يقذف للقريب جواهـراً منه، ويرسل للبعـيد سحائب
22-	سأبقى بقاء الضب في الماء أو كما يعيش بديموم المفازة حوتها
23-	يعـود الماء فـي النّـهر بعدمـا عفت منه آثار وجفّت مشارعه
24-	كمثل البحر يغرق فيه حـي ولا ينـفك تـطفو فيـه جيـفه
25-	كـيـف يـرجـو البقـاء إن فـارق المـاء حـوته
26-	ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له: إياك، إياك أن تبتل بالماء
27-	يـلام أبو الفضل في جـوده وهـل يمـلك البـحر ألاّ يفيـضا
28-	هو البحر إلا أنّه عذب مورد وذا عـجب أن العـذوبة في البحر
29-	إذا كنت قرب البحر ما لي مخاص إليه فما يغني اقترابي من البحر
30-	دهـر عـلا قدر الوضيع به وهـوى الرفيع بحـطّه شرفـه
31-	كالبـحر يرسـب فيه لؤلؤه سـفلاً ويعـلو فوقـــه جيفـه

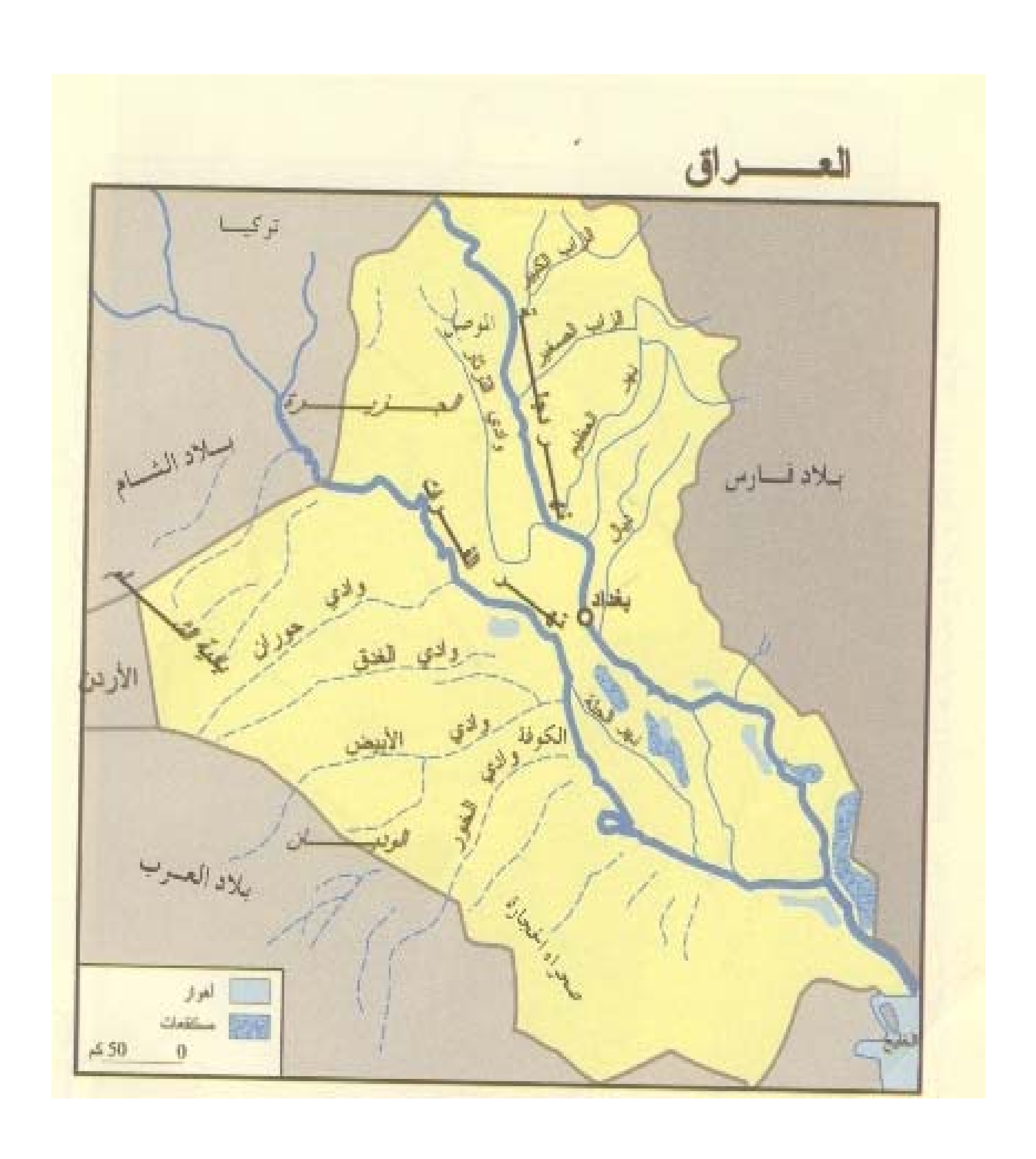
الملاحق



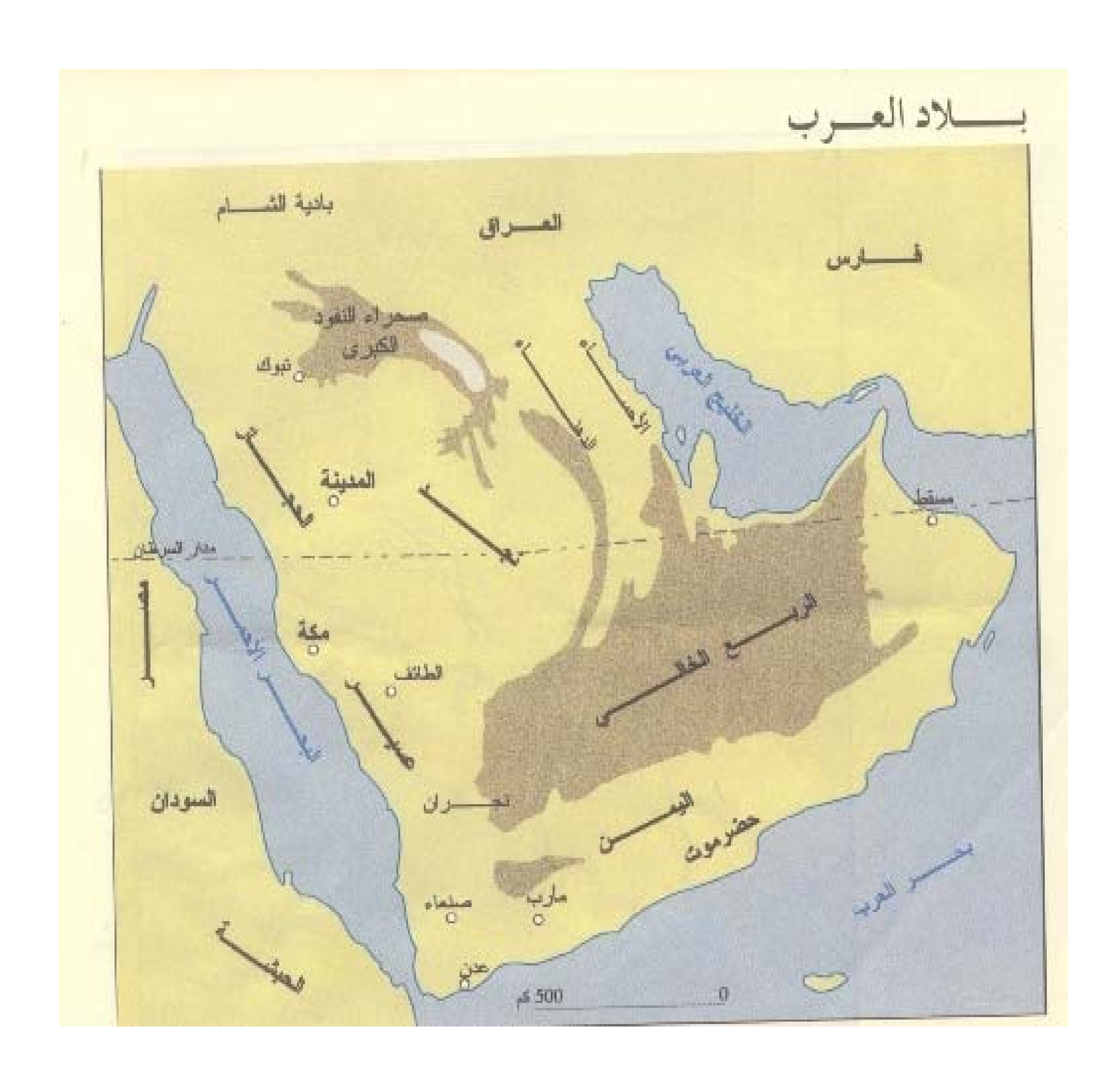
خريطة رحلـــة الشـــــتاء والصيف
البحر المتوسط
بصرى
الشام
الفرات
الحيرة
بابل
العراق
الأبلة
الخليج العربي
القدس
غزة
معان
أيلة
دومة الجندل
تيماء
العلا
الوجه
خيبر
يثرب (المدينة)
بلاد العرب
بحر القلزم (الأحمر)
مكة
مصر
النوبة
الربع الخالي
نجران
دهلك
مصوع
مأرب
بلاد اليمن
صنعاء
عدن
خليج عدن
بلاد الحبشة
الإتجاه الشتوي
الإتجاه الصيفي


الأنـدلـس
جبـــال البيريني
قشتالة
سرقسطة
قلعة أيوب
برشلونة
طركونة
طرطوشة
جبال طليطلة
طليطلة
وادي تاجة
بلنسية
قلعة رباح
قسطنطينة
مرسية
الوادي الكبير
قرطبة
بلجة
اشبيلية
البيرة
قرطاجنة
قادس
المرية
مالقة
خليج قادس
طريف
مضيـــق جبل طارق
سبتة
طنجة
أراض غير إسلامية
0
100 كم


مصر
البحر المتوسط
فلسطين
البحر الميت
القاهرة
السويس
حلوان
سيناء
بلاد العرب
منخفض القطارة
الفيوم
بني سويف
خليج السويس
بني مزار
الصحراء الغربية
المنيا
أسيوط
قنا
قوص
الأقصر
إسنا
إدفو
أسوان
جبل حماطة
1977
الوادي الجديد
ليبيا
هضبة الجلف الكبير
صحراء النوبة
0
100كم



العـــــراق
تركيا
الجزيرة
بلاد الشام
بلاد فارس
بغداد
الأردن
وادي حوران
وادي الغدق
وادي الأبيض
وادي الكوفة
بلاد العرب
أهوار
مستنقعات
0
50 كم


بــلاد العــرب
باديـة الشــام
العــراق
فــارس
صحراء النفود
الكبرى
تبوك
الخليج العربي
المدينة
مسقط
مدار السرطان
مكة
الربــع الخالــي
الطائف
السودان
نجــران
اليمــن
حضرموت
بحــر العرب
صنعاء
مارب
عدن
الحبشــة
500 كم
0

المصادر والمراجع

1- ابن الآبار:(القضاعي) المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، 1957م.

2- بن أبي عون إبراهيم بن محمد: التشبيهات:ط:بيروت

3- أحمد صقر: طبقات الشعراء المحدثين/ تحقيق عبد الستار فراج طبع دار المعارف بمصر 1956م.

4- أحمد محمد عطية: أدب البحر، دار المعارف مصر 1981م.

5- الأخطل:(غياث بن غوث) شعره/ نشر أنطون صالحاني، طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت 1891م

6- الأصمعي:(أبو سعيد عبد الملك بن قريب): الأصمعيات، تحقيق أحمد شاكر (أحمد محمد شاكر) وعبد السلام هارون، طبع دار المعارف بمصر 1964م.

7- الأعشى ميمون بن قيس: ديوانه، شرح الدكتور محمد حسين، طبع مكتبة الآداب بالجماميز.

8- الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

9- الآمدي: أبو القاسم الحسن بن بشر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد، طبع دار المعارف بمصر 1961م.

10- امرؤ القيس بن حجر الكندي: ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل، طبع دار المعارف بمصر 1958م.

11- أوس بن حجر: ديوانه، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، طبع دار صادر بيروت 1960م.

12- البحتري: أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي: ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي، طبع دار المعارف بمصر.

13- بشار بن برد: ديوانه شرح محمد ناصر الدين. دار الكتب المصرية.

14- بشر ابن أبى خازم الأسدي: ديوانه، تحقيق الدكتور عزة حسن، طبع دمشق 1960م.

15- البغدادي:(عبد القادر بن عمر): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، طبع المطبعة الأميرية ببولاق 1299هـ.

16- البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، مكتبة المتنبي القاهرة.

17- التلمساني:(أحمد بن محمد المغربي التلمساني): نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.

18- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوانه، تحقيق دكتور محمد عبده عزام، طبع دار المعارف بمصر.

19- الثعالبي:عبد ا محمد أبو منصور:التمثيل والمحاضرة :دار الكتب المصرية.

20- الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر بن محبوب: الحيوان: تحقيق عبد السلام هارون، طبع مكتبة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى 1938م.

21- جميل بن معمر: ديوانه طبع دار الكتب مصر.

22- ابن جني: سر صناعة الأعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم دمشق 1985م.

23- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، طبعة دار العلم للملايين بيروت 1971م.

24- جورج فاضلو حوران: العرب والملاحة في المحيط الهندي مكتبة الانجلو المصرية ترجمة الدكتور يعقوب بكر.

25- حسان بن ثابت: ديوانه، دار صادر بيروت.

26- حسين عطوان: وصف البحر والنهر في الشعر العربي، دار الجيل بيروت.

27- الحطيئة: جرول بن أوس: شرح أبى سعيد السكري، دار صادر ، بيروت، 1981م.

28- ابن حمديس: ديوان ابن حمديس، طبعة رومية 1897م.

29- الحميري: صفة جزيرة الأندلس، دار بيروت للطباعة والنشر.

30- حوليات كلية الآداب: الحولية السابعة:الرسالة الأربعون، القاهرة، 1986م.

31- الخالديان:سعيد ومحمد ابنا وعلة الخالدي:الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين:لجنة التأليف والترجمة والنشر:مصر القاهرة.

32- ابن خفاجة: ديون ابن خفاجة، ت: اسحق إبراهيم، ط صادر، بيروت 1961م.

33- الخنساء (تماضر بنت عمر): رواية تغلب (أحمد بن يحيى)، تحقيق أنور أبو سويلم، دار عمار، ط 1988م.

34- الدرامي:(عبد الرحمن بن الفضل السمرقندي): سنن الدار مي، دار إحياء السنة النبوية.

35- ابن دريد: الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة المتنبي بغداد1979. وجمهرة اللغة، حققه: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت.

36- دعبل الخزاعي: ديوانه_تحقيق دكتور محمد يوسف نجم طبع دار الثقافة بيروت، 1960

37- ذو الرمة: ديوانه، شرح الإمام أبى نصر الباهلي، دار الجيل، بيروت.

38- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، شرح وتحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت.

39- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي القاهرة .

40- الزبيدي: السيد محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت.

41- زهير بن أبي سلمى: شعره، تحقيق د فخر الدين قناوة، دار الكتب العلمية بيروت.

42- الزمخشري: المستقصي في أمثال العرب:دار الكتب المصرية

43- سعيد العريان: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية بيروت 1969م.

44- سلامة بن جندل: ديوانه، تحقيق د فخر الدين قناوة، حلب 1968م.

45- سيبويه: كتاب سيبويه، عالم الكتب بيروت.

46- ابن سيدة: علي بن إسماعيل: المخصص، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع بيروت. والمحكم والمحيط الأعظم، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر.

47- السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية بيروت لبنان.

48- السكري (أبو سعيد الحسن بن الحسين): شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة القاهرة.

49- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، المكتبة الأهلية بيروت.

50- الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، حققه وخرج أحاديثه محمود محمد شاكر: راجع أحاديث محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.

51- طرفة بن العبد: ديوانه، شرح الشنتمري، مطبعة دار الكتب مصر .

52- عبد الحميد سلامة: قضايا الماء عند العرب قديما من الجاهلية القرن 6م إلى17م. ط1 دار الغرب الإسلامي بيروت.

53- ابن عبد ربه: أحمد بن محمد: العقد الفريد، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

54- ابن عبد البر: يوسف بن عبد ا القرطبي: بهجة المجالس وانس المجالس، تحقيق د محمد مرسي الخولي، الدار المصرية للتأليف القاهرة 1969م.

55- عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مطبعة مصطفي محمد، المكتبة التجارية الكبرى.

56- عبد الرحمن صيام: شعر لبيد بن أبي ربيعة بين جاهليته وإسلامه.

57- عبد ا بن قيس الرقيات: ديوانه/ تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم طبع ببيروت 1958م

58- عبد الملك بن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم وارثين، تحقيق عبد الهادي النازي، ط بيروت.

59- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص إخبار المغرب، تحقيق محمد القاهرة 1947.

60- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة 1947م.

61- عبيد بن الأبرص: ديوانه، تحقيق د حسين نصار، طبع مكتبة مصطفى البابا الحلبي 1975م.

62- العسقلاني، أحمد بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري،.

63- علقمة الفحل: ديوانه، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، دار الكتاب العربي.

64- علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، دار نهضة مصر القاهرة .

65- عمر بن قميئة: ديوانه /تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر.

66- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين بيروت.

67- عمرو بن كلثوم: ديوانه: دار المعارف بمصر.

68- غياث بن غوث التغلبي، الأخطل التغلبي: شعره، نشر أنطوان صالحاني، طبع المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1891م.

69- الفقه على المذاهب الأربعة، وزارة الأوقاف، الإدارة العامة للإرشاد والثقافة، ط 8، 1400ه - 1981م.

70- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، دار الثقافة بيروت.

71- الفيروز آبادي: مجد الدين: القاموس المحيط، الطبعة الثالثة، المطبعة المصرية.

72- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق د مفيد قميحة والأستاذ محمد الضناوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

73- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، طبعة دار الريان للتراث.

74- ابن دراج القسطلي: ديوانه، تحقيق د. محمود مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، 1961م.

75- الحصري القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل بيروت.

76- ابن كثير: تفسير القران العظيم، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.

77- لبيد بن أبي ربيعة: ديوانه، تحقيق إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1984م.

78- لسان الدين بن الخطيب: الكتب الكامنة في كل من لقيناه من شعراء المائة الثامنة ط الثقافة بيروت 1963الثامنة. ونفاضة الجراد في علالة الاغتراب تحقيق أحمد مختار االعبادي، دار الكاتب العربي القاهرة.

79- ابن ماجة: سنن ابن ماجة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

80- المثقب العبدي: ديوانه، حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات القاهرة 1971م.

81- مجلة مجمع اللغة العربية، مطبعة الكيلاني الصغير القاهرة .

82- محمد رواس قلعة جي: موسوعة فقه عبد ا مسعود، مطبعة المدني، القاهرة.

83- محمد سيد كيلاني: مختار الشعر الجاهلي،المكتبة الشعبية القاهرة.

84- مسلم بن الوليد: ديوانه، تحقيق الدكتور سامي الدهان، طبع دار المعارف بمصر.

85- مصطفي الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته ومتونه، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

86- مصطفي صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

87- ابن المعتز:عبد ا (296هـ)، طبقات الشعراء المحدثين، تحقيق عبد الستار فراج، ط دار المعراف بمصر، 1956م.

88- معجم ألفاظ القران الكريم من الهمز إلى الضاد، جمهورية مصر العربية 1988.

89- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، عن الكتاب والسنة وعن مسند الدارمي، وموطأ مالك، ومسند أحمد بن حنبل.

90- المغربي (أبو الحسن علي بن سعيد المغربي): رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق جومى، مدريد 1942م.

91- المغربي: المغرب في حلي المغرب، تحقيق د0شوقي ضيف، دار المعارف مصر 1980م.

92- المفضل الضبي: المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، طبع دار المعارف مصر 1964م.

93- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ،جمال الدين بن منظور:لسان العرب، طبعة دار صادر بيروت.

94- مهدي علام: المشرف على مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1406هـ : 1985م.

95- محمد أمين المحبي:نفحة الحانة ورشحة طلاء الحانة:دار المعارف بمصر:ص:3486

96- الميداني: احمد محمد بن إبراهيم ،مجمع الأمثال::طبعة بولاق 1867

97- ميشيل أمارى، المكتبة العربية الصقلية، ط ليبسك، 628م.

98- النابغة الذبياني: ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة 1977م.

99- النابغة الذبياني: ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر 1963، تحقيق وشرح كرم البستاني.

100- النسائي: أبمعبد الرحمن شعيب: سنن النسائي، مصطفى البابا الحلبي.

101- النعمان عبد المتعال القاضي: شعر الفتوح الإسلامية، دار المنارة للنشر والتوزيع.

102- أبو نواس الحسن بن هانئ: ديوانه ط أسكندر آصف، 1898. وطبعة بيروت (تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي) 1953م.

103- النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة 1933م.

104- الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب مؤسسة المعارف بيروت لبنان.

105- العسكري (أبو هلال العسكري) الحسن بن عبد ا بن سهل: ديوان المعاني، نشر مكتبة القدس بالقاهرة 1352،جمهرة الأمثال ،طبعة بمباي 1309

106- الهمداني الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة الرياض 1974م.

107- ياقوت الحموي: معجم البلدان طبع طهران سنة 1965م. ومعجم الأدباء ط1 مطبعة ألبابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

108- 108اليوسي: للحسن بن مسعود نور الدين زهر الأكم في الأمثال والحكم: المغرب:الدار البيضاء 1401